إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

أُصُولُ العَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَأَثَرُهَا عَلَى الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ

تأليف

أ.د عبد الوهاب فرحات
أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي
جامعة البحرين

د. جمال الأشراف
أستاذ العقيدة
جامعة الوادي - الجزائر

أصول العقيدة الإسلامية وأثرها على الفرد والمجتمع — أ.د. عبد الوهاب فرحات - د. جمال الأشراف

Publications of Laboratory of Algerian scientists contributions to enrich the Islamic studies
Faculty of Islamic Sciences - University of El Oued - Algeria

The Origins Of The Islamic Faith And Its Impact On The lindividual And Society

'usul aleaqidat al'iislamiat wa'athariha ealaa alfard walmujtamae

Written by

Pr. Abdelouahab Ferhat
Professor of Islamic doctrine and thought
University of Bahrain

Dr. Djamel Lachraf
Faculty of Islamic Sciences
University of El Oued - Algeria

ISBN: 978-9969-574-24-1

إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي - الجزائر

أصول العقيدة الإسلامية وأثرها على الفرد والمجتمع

تأليف

أ.د عبد الوهاب فرحات
أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي
جامعة البحرين

د. جمال الأشراف
أستاذ العقيدة
جامعة الوادي - الجزائر

سامي
للنشر والطباعة والتوزيع

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
Laboratory of Algerian scientists contributions to enrich the Islamic studies
كلية العلوم الإسلامية – جامعة الوادي
Faculty of Islamic Sciences - University of El Oued - Algeria
مخبر بحث معتمد من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
تحت رقم (70). بتاريخ: 2015/02/21. الرمز: E0780400
الموقع الإلكتروني: https://faculty.univ-eloued.dz/faculty/isi/laboratory/6

- الطبعة الأولى: 1446هـ / 2024م
- رقم الإيداع القانوني: ديسمبر 2024
- ردمك: 978-9969-574-24-1
- عدد الصفحات: 300.
- المقاس: 16.5 × 24 سم.

© محفوظة جميع الحقوق

- التنفيذ الطباعي:

سامي للنشر والطباعة والتوزيع
ولاية الوادي ـ الجزائر
032 14 93 39
0557 97 44 43
imp.alwady@gmail.com

مقدّمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، والسلام على الرسول الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبد الله، المنزل عليه القرآن الذي حفظه الله من التحريف والتبديل، كتابٌ ﴿ **لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾ ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد..

فإن قضيَّةَ العقيدة تُعّدُّ قطب الرحى في الدين الإسلامي، إذ أن الإيمان بالله، وبالنبوة، واليوم الآخر لها أهمية ذاتية في نفسها من جهة، وأهمية بالنسبة لسائر العلوم الإسلامية من جهة الأخرى، إذ ما من تكليف شرعي إلا وهو قائم عليها، ومستند إليها.

وإذا كانت لقضية العقيدة هذا القدر من الأهمية في حياة الإنسان في كل زمان، فإن هاته الأهمية تتضاعف الآن في هذا العصر، إذا علمنا أن التشكيك فيها أشتدَّ وطأه، وبلغ ذروته نتيجة الاتساع المهول لوسائل التواصل الاجتماعي.

لهذا حرصنا أن تكون صياغة هذا الكتاب "**أصول العقيدة الإسلامية وأثرها في حياة الفرد والمجتمع**" تتناسب مع المخاطبين في هذا العصر من حيث طريقتهم في التفكير وأسلوبهم في التعبير، مع الحفاظ على المفاهيم الإسلامية دون تعطيل أو تحريف.

ولقد وظفنا في هذا الكتاب المنهج العلمي في دراسة المسائل التي يتناولها، قصدنا من ذلك خدمة النص الديني من جهة، وتوسيع مدارك الطالب بما يؤكدها، ويزيل الشبه الواردة عليها من جهة أخرى.

إيمانا منَّا بأن العقيدة لا تتمكّن من القلوب ما لم تكن من الوضوح بمكان، قال

تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ﴾، (الحجرات، الآية: 15)، لذلك ارتبط الإيمان في التصور الإسلامي بالعلم، وانبنى عليه قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، (محمد، الآية: 19).

ولهذا السبب دعا القرآن الكريم في الكثير من آياته، إلى إعمال الفكر والعقل والنظر، وصولا إلى الاعتقاد الصحيح من مثل قوله تعالى:﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾، (يونس، الآية: 101)، وقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾، (فصّلت، الآية:53). ونعى التقليد، وذمّ المقلدين الذين يأخذون عقائدهم من الغير من غير نظر أو تدبر، كما في قوله: ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ (الصافات، الآيتان:69-70). وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾، (البقرة، الآية:170).

والنتيجة الواضحة من هذا، أن للعقل مدخلا كبيرا في تأكيد صحة العقائد الإيمانية، وفي الوقت نفسه يكشف هذا المنهج بطلان وزيف العقائد المخالفة.

ولقد جاءت مباحث الكتاب متوافقة مع مضمون مقررات العقيدة الإسلامية في الجامعات الجزائرية، بل هو في الأصل معَّد خصيصا لسدّ هذا الفراغ الذي تعاني منه المكتبةفي هذا الشأن.

ولقد حاولنا في هذا الكتاب أن نزاوج بين القديم والحديث في أسلوب الاستدلال والعرض، اعتقادا منَّا أن الكتابات الإسلامية في مجالاتها كلّها لا يمكن أن تتجاوز هذه القضية، قضية المزاوجة بين الأصالة والمعاصرة. ومن ثم فإن الكتابات التي تنقل نصوص التراث وحدها دون أن تعرف شيئا عن التطورات الهائلة في علوم الدنيا، قد تضر بالدعوة الإسلامية أكثر من أن تنفع، بل إن حال أصحابها أشبه بمن ينادي في وادي أو ينفخ في رماد. وهي في الوقت نفس منافية لروح والإسلام ولعموم رسالته التي جعلها الله عامة في المكان والزمان، والواقع

إن هذا العموم نابع من **مبدأ الاجتهاد**، أو كما يسميه محمد إقبال **مبدأ الحركة في الإسلام**، هذا المبدأ الذي خوَّل للإسلام الربط بين التغيّر والثبات، ومكَّنه أن يعمل على أن لا ينِّد من الحياة المتجددة شيء، لا يدخل تحت مظلته وأصوله.

كما أن الكتابات التي لا تستمد من التراث، بل تعمد إلى تفكيكه كما هو ملاحظ اليوم، يكون مثلها كمثل من بنى بنيانه على غير أساس، فخرَّ به. قال تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ (الفرقان، الآية:23).

ولقد حرصنا في هذا الكتاب أن نكون موحِّدين لا مبدِّدين، بانين لا هادمين، جامعين لا مفرقّين، نائين بأنفسنا عن المنهجية الجدلية التي حفلت بها الدراسات الكلامية، ومبتعدين عن إثارة الخلافات القديمة التي لا تنفع صديقا ولا تضرّ عدوا. واضعين نصب أعيننا قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾، (الأنعام، الآية:159)، وقوله: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ (آل عمران، الآية:103).

ولقد جاء في هذا الكتاب مدخل نظري ألقينا فيه الضوء على مجموعة من القضايا المهمة والتي ينبغي أن يلَّم بها كل من يتصدى للبحث في العقيدة وذلك كي يتسنى للطالب فهم الإطار المرجعي الذي تقوم عليه النظم والأحكام العلمية والعملية التي تحتويها الشريعة الإسلامية.

ثم قفّينا ذلك بفصول ستّة وهي الأصول الإيمانية التي جاءت في حديث جبريل – علية السلام– وهي الإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالوحي والكتب الإلهية، والإيمان بأنبياء الله ورسله، والإيمان بالقضاء والقدر وقوفا على أهم عناصر كل أصل من هذه الأصول تقريرا واستدلالا، ومناقشة للشبهات التي أثيرت حوله، مع تزييف هاته الشبهات.

وقد حرصنا أن تأتي هذه الأصول – في المقام الأول – بأدلّتها من الكتاب والسنة، لأن هذا هو الطريق الذي ينبغي اتّباعه في تأصيل قضايا العقيدة، ولأن أدلة

القرآن والسنة أدلة قاطعة جليّة، تسبق إلى الأفهام ببادي الرأي وأول النظر، ويشترك كافة الخلق في إدراكها وفهمها. وهي بذلك مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان، بل كالماء الذي ينتفع به الصبي، والرضيع، والرجل القوي. ولهذا كانت أدلة القرآن سائغة جلية.يتحقق بها ما لا يتحقق لغيرها، ثم إن فيها من السعة والشمول ما يفي بالاستدلال لهذه الأصول الإيمانية، على نحو ينبغي معه البدء بها قبل غيرها، ويستوجب الاهتمام بها، وعدم الاكتفاء بغيرها عنها.

لكن هذا لم يمنعنا من الاستفادة مما ظهر في ميادين أخرى سواء كانت علمية أو فلسفية مادامت مستوفية لشرائط التّحقيق العلمي، والقول الفلسفي، وما دامت تتوافر في إمكانياتها خدمة الحقائق الشرعية، لذلك لم تخل الدراسة من لمحات منها، وإشارات ولطائف مأخوذة مما جادت به قرائح رجالها، لكن ترتيبها جاء- غالبا – بعد الأدلة الشرعية.

كما لم نغفل في الأخير الإحالة إلى المظانّ المفيدة والمراجع السّديدة، لعل وعسى يجد فيها المجدُّ طلبته، والمجتهد بغيته.

فإن نك قد وقفنا فيما نحن بصدده من مباحث العقيدة، وهي مباحث دقيقة المأخذ، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء وإن كانت الأخرى فهذا مبلغ جهدنا وكدّنا ولا يكلِّف الله نفسا إلا وسعها.

والله نسأل أن يلهمنا سداد النظر، وسلامة الفكر، كما نسأله أن يجعل هذا العمل عملا خالصا لوجهه الكريم، إنه أكرم مسؤول وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أ.د/ عبد الوهاب فرحات
أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي بجامعة البحرين
abdelouahabferhatlaroussi@gmail.com

د/ جمال الأشراف
أستاذ العقيدة بكلية العلوم الإسلامية – جامعة الوادي – الجزائر
lachraf-djamel@univ-eloued.dz

الباب الأول
فصل تمهيدي: مدخل نظري

1. مفهوم العقيدة

1-1- معنى العقيدة لغة: إن كلمة "العقيدة" مشتقة من المصدر "عقْد"، والعقد هو الجمع بين أطراف الشيء، يقال عقد الحبل إذا شدَّ بعضه ببعض نقيض حلِّه[1]، وتستعمل هذا الكلمة عادة في اللغة العربية في الأجسام الصّلبة، لكن توسع في الاستعمال فأصبح يستعمل في المعاني كعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد البناء...

وهذا ما كان ملحظا للرّاغب الأصفهاني فقال: "العقد: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عقد البيع والعهد وغيرهما، فيقال: عاقدته وعقدته، وتعاقدنا وعقدت يمينه..."[2].

والمادة (عقد) في العربية تدور حول الإحكام واللزوم، والقوة، والاستيثاق، والثبات والاستمرار، يقول ابن فارس: "العين والقاف والدال (عقد)، أصل واحد يدل على شدٍّ، وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها"[3]، وفي القرآن الكريم: ﴿ **لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ** ﴾، (المائدة، الآية: 89)، وتعقيد الأيْمان إنما يكون بقصد القلب وعزمه، بخلاف لغو اليمين التي تجري على اللسان بدون قصد. والعقود: أوثق العهود، ومنه قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ﴾، (المائدة، الآية: 01).

فالعقيدة إذا عبارة عن ذلك الشيء الذي يصل ذهن الإنسان وقلبه، بمبدأ أو فكرة أو مذهب معيّن، فعندما يعتقد الذهن مثلا أن العالم غير متناه الحدود، أو

1-ابن منظور الأفريقي، **لسان العرب، مادة** عقد.ط1. قم: نشر أدب الحوزة، 1405 هـ، ج3، ص296.

2-الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تح: صفوان الداودي، دمشق: دار القلم، الدار الشامية 1412هـ ص576.

3- أحمد ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، ط3. القاهرة: الخانجي 1981م، ج4، ص86.

متناهي الحدود، أو أن الأرض جسم كروي أولا، فيقينه- سواء أكان حقا أم باطلا – صار كالبديهة، وكالواحد زائد واحد يساوي اثنين، ومن ثم لا تقيل هذه البديهة أي نقاش أو جدال أو شك، أو مراجعة أو إعادة نظر.

فإذا وجدنا فكرة من الأفكار، أو منهجا معينا أو نظرية، أو نحو ذلك، ووجدنا أن تلك الفكرة ترتفع عند صاحبها إلى مستوى الإذعان التام، والخضوع المطلق، واليقين الراسخ الذي لا يخالطه شك، ولا يمازجه ريب فإن هذا اليقين أو التقبّل يسمى "عقدا"، وتلك النظرية تسمى "عقيدة". ومن شأن هذه العقيدة أن يكون لها عند المصدّق بها، من التعظيم ما يدفعه إلى التسليم الكامل لها، والالتزام بمقتضياتها وأحكامها في شتى مناشط الحياة – فرديا كان أو اجتماعيا- بحيث يترجم عليها بأعماله وتصرفاته وفي علاقاته بالناس وبالكون الذي يعيش فيه. وربما تحمله إلى التضحية في سبيلها بكل غال أو نفيس.

ولقد أشار إلى هذه الحقيقة الكاتب المصري الشهير "أحمد أمين" فقال: "فرق كبير بين أن ترى الرأي وأن تعتقدَه؛ إذا رأيت الرأي فقد أدخلته في دائرة معلوماتك، وإذا اعتقدته جرى في دمك، وسرى في مخ عظامك، وتغلغل إلى أعماق قلبك. ذو الرأي فيلسوف، يقول إني أرى الرأي صوابا، وقد يكون في الواقع باطلا، وهذا ما قامت عليه الأدلة اليوم، وقد تكون الأدلة على عكسه غدا، قد أكون مخطئا فيه، وقد أكون مصيبا، أما ذو العقيدة فجازم باتٌّ، لا شك عنده ولا ظن، عقيدته هي الحق لا محالة، هي الحق اليوم، وهي الحق غدا، خرجَتْ على أن تكون مجالا للدليل، وسمَتْ عن معترك الشكوك والظنون"[1].

ويمضي الرجل قائلا: "من العقيدة ينبثق نور باطني يضيء جوانب النفس، ويبعث فيها القوة والحياة، يستعذب صاحبها العذاب، ويستصغر العظائم،

1- أحمد أمين، **فيض الخاطر**، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م، ج1، ص11.

ويستخف بالأهوال؛ وما المصلحون الصادقون في كل أمة إلا أصحاب العقائد فيها"[1].

1-2- معنى العقيدة اصطلاحا:

ومن هذا المعنى اللغوي نستطيع أن نتعرف عن المعنى الاصطلاحي الشرعي، فقد عرّفها العلماء قديما وحديثا، فمن التعريفات القديمة ما ذكره الجرجاني بقوله: " ما يقصد الاعتقاد نفسه دون العمل "[2].

وورد في "كتاب لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية" أن "الاعتقاديات هي التي لم تتعلق بكيفية عمل، مثل: اعتقاد وجوب وجود القادر المختار ووحدانيته، وتسمى أصلية أيضا.. والمتعلق بالاعتقاديات هو علم التوحيد والصفات، وعلم الكلام، وعلم أصول الدين[3].

أما تعريفات هذا العلم في الكتب الحديثة فهي كثيرة نذكر منها ما أورده شارح "العقيدة السفارينية" حيث رأى: "إن العقيدة هي "حكم الذهن الجازم". [ويقول]: قولنا: حكم الذهن خرج به قول اللسان لأنه لا يعتبر عقيدة؛ إذ قد يقول الإنسان ما لا يعتقد. وخرج بقولنا: الجازم الشك فإن الشاك لم يعتقد. ولا يشترط أن يكون الحكم مطابقا للواقع، فإن طابق الواقع فالعقيدة صحيحة، وإن خالف الواقع فالعقيدة فاسدة.فاعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة هذه عقيدة، ولكنها فاسدة لأنها غير مطابقة للواقع [4].

1- المرجع السابق، ج، ص13. والمقالة جد ماتعة ولا تغني عنها هاته المقتطفات.

2- علي بن محمد الشريف الجرجاني، **التعريفات**، ط1. بيروت: لبنان ناشرون 1985م، ص 158؛ وينظر أيضا: إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط2، القاهرة: دار المعارف 1973م، ج2، ص614.

3- محمد السفاريني، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، ط1. دمشق: مؤسسة الخافقين 1982م، ج 1، ص4.

4- محمد صالح عثيمين، **شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية**– ط1. الرياض: مدار الوطن للنشر 1426هـ، ص 75.

وجاء في كتاب "عقيدة المؤمن": بأنها "مجموعة من القضايا الحقّ البديهية المسلّمة بالعقل، والسمع، والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، وينثني عليها صدره جازما بصحتها، قاطعا بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبدا"[1].

ويذكر فاروق أحمد الدسوقي: أن معنى العقيدة "مجموعة من الأفكار والمبادئ يؤمن صاحبها بأنها التفسير الحق، والصحيح للكون والحياة والإنسان، وتنبثق جميعا من فكرة واحدة تصبح كأساس لمنهج الحياة، أو لشريعة كاملة"[2].

ونحن لا نريد أن نثقل كاهل الدارس باستقراء كثير من التعاريف، إذ كفتنا ذلك كتب العقائد وهي على حبل الذراع لمن يريد، ولكن حسبنا أننا سنعمد إلى إيراد تعريف الإمام " محمد عبده " لهذا العلم لأنه عرفه باعتبار موضوعاته ومسائله التي يبحث فيها، محاولين استدراك ما فاته فنقول:

العقيدة الإسلامية: علم يبحث فيه عن وجود الله، وما يجب أن يثبت له من صفاته، وما يجب أن ينفي عنه، وعن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم[3]، والإيمان الجازم بكل ما أوحي به إلى نبيه ﷺ، منخبر: الملائكة، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، مع الرضا التام، والارتياح النفسي لهذه العقيدة.

2. أسماء هذا العلم

- **الفقه الأكبر:** وهو الاسم الذي ارتضاه أبو حنيفة (ت150ه) لهذا العلم في كتابه "الفقه الأكبر" تمييزا له عن مباحث الفقه العمليّة، وذلك لأن العقيدة أصل العمل والطاعة، فيكون الفقه فرعا لهذا الأصل. ويبدو أن الإمام أبا حنيفة نظر في

1-أبو بكر جابر الجزائري، **عقيدة المؤمن**، ط2. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية 1978م، ص21.

2-فاروق الدسوقي، **محاضرات في العقيدة الإسلامية**، ط1، القاهرة: دار الدعوة للنشر والتوزيع، 1983م، ص5.

3-محمد عبده، **رسالة التوحيد**، ط1، الجزائر: موفم للنشر 1989م، ص 5

الأحكام الدينية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية فوجد أن منها أحكاما تتعلق بذات الله، كوجوب الإيمان به فسمى هذه الأحكام فقها أكبرا، وأطلق على الأحكام التي تتعلق بفعل المكلف سواء ما تعلق منها بالعبادات أو المعاملات بالفقه.

والفقه في اللغة، العلم بالشيء، والفهم له، كما قال تعالى على لسان نبيه شعيب: ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ** ﴾، (هود، الآية:91). ثم أطلق لفظ الفقه في الاصطلاح الشرعي على جميع الأحكام الدينية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، وبهذا المعنى جاء تعريف أبي حنيفة له بقوله: "هو معرفة النفس ما لها وما عليها"[1]، فيشمل معرفة الدين عقيدة وشريعة، ويؤيده في هاته التسمية الإمام أبو حامد الغزالي: الذي يرى أن لفظ الفقه "كان في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا. بالنسبة للآخرة. وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب، ويدلك على هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿ **لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ** ﴾ (التوبة، الآية:122)، وما يحصل به الإنذار والتخويف. هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والإجارة.... فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف...ولست أقول إن اسم الفقه لم يكتب متناولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة، لكن بطريق العموم والشمول، أو بطريق الاستتباع، فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر..."[2]، ثم طرأ تغيير على مفهوم الفقه، فاقتصرت التسمية عرفا على العلم بالأحكام الشرعية، فيقال فقيه لمن تخصص في أمور الدين العملية.

ومن المؤلفات التي وصلتنا بهاته التسمية كتاب منسوب لأبي حنيفة وهو "الفقه الأكبر" وعليه شروح كثيرة، نخص منها شرح أبي الليث السّمرقندي (373هـ)،

1- مسعود التفتازاني، **شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه**، تح: زكريا عميرات، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت)، ج1، ص16.

2- الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ط1. بيروت: دار ابن حزم، 2005م، ج1، ص41-42.

وشرح ملا علي القاري (1014هـ). وهي كتب مطبوعة ومتداولة بخاصة في شبه القارة الهندية.

– **التوحيد:** وهي راجعة إلى أنه يضع التّوحيد الإلهي ذاتا، وصفات، وأفعالا وتنزيهه عن كل ما سواه عقيدة أساسية يركز عليها بناء العلم كله، فصار التوحيد أهم موضوعاته، فسمي الكل بأشرف أجزائه

وكلمة التوحيد لا إله إلا الله تشير إلى أن الله هو المتفرد بالخلق والتدبير والضرر والنفع والمنع والعطاء، ويزداد الوعي بهذه الحقائق عمقا عندما يدرك أن الخلق لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا، وأن الأمور كلها بلا استثناء بيد القوي العزيز، وفي هذا المعنى يقول المقريزي، وحقيقة التوحيد: "أن ترى الأمور كلها من الله – تعالى – رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى، وهذا المقام يثمر التوكل، وترك شكاية الخلق، وترك لومهم، والرضا عن الله – تعالى –، والتسليم لحكمه"[1].

ولهذا كان التوحيد لبّ الإسلام وأساسه، ومنه تنبثق سائر نظراته التي تمد باقي أجزائه بالحياة، وتحدد اتجاهاتها ومعالمها، فلا غرو إذا سميت بعض كتب العقيدة تحت هذا الاسم مثل: "كتاب التوحيد" لأبي منصور الماتريدي (333هـ)، و"المغني في أبواب التوحيد والعدل"[2]، للقاضي عبد الجبار المعتزلي (518هـ)، وكتاب "تجريد التوحيد المفيد "للإمام تقي الدين، أحمد بن علي المقريزي (854هـ)، وهو كتاب صغير الحجم كثير الفائدة، و كتاب "رسالة التوحيد" للعلامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (1246هـ)، و"رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده.(ت1323

1– المقريزي، **تجريد التوحيد المفيد،** المحقق: طه محمد الزيني، ط1.المدينة المنورة: الناشر: الجامعة الإسلامية، 1989م، ص6.

2–ولقد تجاوز في حجمه أكثر من عشرين مجلدا ضخما، ولعله أكبر موسوعة في علم الكلام لا أقول في الحضارة الإسلامية، ولكن في حضارات العالم بأسره.

ه). ولو رحنا نستقصي أكثر لخرج بنا ذلك عن النطاق، ولكن حسبنا هاته الأمثلة الدالة على ما ورائها.

-الإيمان: وهو اللفظ المستعمل في القرآن الكريم والحديث الشريف، سمي بهذا لأن مداره على التصديق بالحق والانقياد له، فإذا عُدم هذا الشيء انعدمت حقيقة الإيمان، وهذا اللقب روعي فيه الجانب النفسي الذي تعمر به القلوب وتزكو به النفوس، والذي يكون أساسا تنبني عليه كل سلوكيات الفرد، ونظام الجماعة.

وتحت هذا العنوان ألَّف الإمام البخاري (كتاب الإيمان) في صحيحه حيث أورد الأحاديث التي تتحدث عن علامات الإيمان وأموره، ومنها ما ورد في آية البر[1]، ومنها ما يتعلق بحب المؤمن لأخيه المؤمن، إلى غير ذلك من شعب الإيمان، وكذلك فعل الإمام مسلم، وأفرد له بعضهم له كتبا مستقلة، كما نجد ذلك عند الحافظ محمد ابن مندة (ت395ه)، وللإمام ابن تيمية (728ه) كتابا حافلا بهذا العنوان طبع أولا ضمن مجموعة الفتاوى، ثم طبع طبعة مستقلة بالمكتب الإسلامي مع تخريج موجز للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

وفي العصر الحديث وجدنا كتبا كثيرة تحت عنوان "الإيمان"؛ إما لبيان حقيقته وأركانه ومسائله كما فعل، محمد نعيم ياسين في كتابه "الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه"وإما لبيان أثره في الحياة، على غرار محمد عبد الله الشرقاوي في كتابه "الإيمان حقيقته وأثره"، أو لدراسة جانب معيّن من العقيدة، كصنيع "عبد المجيد النجار" في "الإيمان بالله وأثره في الحياة" وهو كتاب يتميز بالعمق والجدّة والصرامة المنطقية.

- الكلام: سمي بذلك لأن مباحثه كانت مصدرة بقولهم: الكلام في كذا وكذا [2]،

1- وهي الآية 177 من سورة البقرة.

2-سعدالدين التفتازاني، **شرح المقاصد**، تح: عبد الرحمن عميرة، ط2. بيروت: عالم الكتب 1998م، ج1، ص164.

أو لأن مباحث هذا العلم مباحث علميّة (أي: نظرية) ذلك لأنه يبحث في الأمور الاعتقادية (التصورية) التي لا يندرج تحتها عمل، أما الفقه فهو يبحث في أحكام عملية يندرج تحتها فعل، وعلى هذا فالكلام مقابل الفعل، وهذا يتبين مما ذكره "ابن عبد البر" (463هـ): "أن مصعبا قال: كان مالك بن أنس يقول الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه، وينهون عنه، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل"[1]، فالكلام على هذا مقابل الفعل، كما يقال فلان قوال لا فعَّال.

والمتكلمون قوم يقولون في أمور ليس تحتها عمل، فكلامهم نظري لا يتعلق به فعل، بخلاف الفقهاء الذين يبحثون في الأحكام الشرعية العملية. وهذا ما يتبيِّن مما يرويه جلال الدين السيوطي: "إن مالكا قال: إياكم والبدع، قيل: يا عبد الله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان"[2].

وتحت هذا اللقب ظهرت عناوين كثيرة نذكر منها:"الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية" للشيخ محمد طاهر الجزائري، وكتاب "القواعد الكلامية" للشيخ عبد القادر المجاوي التلمساني، بل لا زالت هاته التسمية حاضرة في وقتنا الراهن.

- **أصول الدين:** وترجع تسميته بعلم أصول الدين، لأن مسائله مثل وجود الله ووحدانيته، والنبوة، والمعاد هي أساس الإيمان والدين. والأصل في اللغة هو أساس الشيء أو ما يبتنى الشيء عليه وما يقوم عليه، فأصول الدين هي ما يقوم الدين عليه ويعتبر أصلا له. والدين الإسلامي يقوم على عقيدة التوحيد، ومن هنا سمي التوحيد أو العقيدة "أصول الدين".

1- ابن عبد البر القرطبي، **جامع بيان العلم وفضله**، تح: أبو الأشبال الزهيري، ط2. الرياض:1994م، ج2، ص938.

2-جلال السيوطي، **صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام**، تح: علي سامي النشار وسعاد علي عبدالرزاق، ط1. القاهرة سلسلة إحياء التراث، 1970م، ج1، ص96.

ولعل أول من استخدم هذا الاسم كلقب على هذا الفن الإمام أبو الحسن الأشعري (ت 324هـ) في كتابه "الإبانة عن أصول الديانة"، وهو كتاب متوسّط الحجم، عرض فيه العقيدة مؤيدة بالبراهين العقلية، حُقق هذا الكتاب من طرف الدكتورة فوقية حسين وطبع في القاهرة عن دار الأنصار.

ثم تلاه ابن بطة العكبري (378هـ) الذي ألف "الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة"، ويعرف باسم "الإبانة الصغرى". ولإمام الحرمين الجويني (478هـ) "الشامل في أصول الدين" وهو كتاب ضخم، يقول عنه الدكتور علي سامي النشار: "يعد دائرة معارف، طرق فيها الجويني شتى فروع العلم والمعرفة"[1].

وهكذا أصبحت كلمة "أصول الدين"، لقبا لعلم العقيدة، وأصبحت هذه المادة تدرس تحت هذا العنوان، وقد توسع فيها فأصبحنا نجد كليات جامعية لأصول الدين، تعنى بدراسة العقيدة والقرآن وعلومه والحديث وعلومه، على غرار كلية أصول الدين بالأزهر، أو المعهد العالي لأصول الدين بالجزائر.

- **التصور الإسلامي:** هو الفكرة العامة التي جاء بها الإسلام عن الوجود كله الله، الكون، الحياة، الإنسان، وما وراءه من قدرة مبدعة وإرادة مدبرة، وما يقوم بين هذا الوجود وهذه الإرادة من صلات وارتباطات[2].

ولعل أول من استخدم هذا المصطلح "التصور الإسلامي" أبو الأعلى المودودي، فكتب في ذلك كتابه "الحضارة الإسلامية: أسسها ومبادئها" وكتابه "نظام الحياة في الإسلام" وأقامهما على هذه الفكرة[3].

ثم سار على السُّنة نفسها الدكتور عثمان ضميرية حيث كتب "التصور الإسلامي

1- الجويني، **الشامل في أصول الدين**، تحقيق: علي سامي النشار وآخرون، ط1. الإسكندرية: منشأة المعارف 1965م، ص 79.

2- عثمان ضميرية، **المدخل لدراسة العقيدة الاسلامية**، ط3. جدة: مكتبة السوادي للتوزيع 1999م، ص130.

3-المرجع السابق، ص131.

للكون والحياة والإنسان"، ثم أعقبه بآخر وهو "عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي"، ثم تلاهم حامد صادق قنيبي، الذي كتب "الكون والإنسان في التصور الإسلامي"، ثم جاء من بعدهم صدر الدين قبنجي فألَّف "الله بين الإيمان والإلحاد في التصور الإسلامي".

– **العقيدة:** والمقصود به العلم الذي يحصل له انعقاد القلب انعقادا لا يقبل الانفكاك أبدا بناء على وضوح البراهين القطعية على موضوع الاعتقاد. وقد درج بعض علماء هذا الفن – قديما– على استخدام هذه التسمية، ولعل أول من صنف تحت هذا العنوان كتابا مستقلا هو "أبو الحسن العامري"[1](ت381هـ)، حيث سمى كتابه "الإرشاد لتصحيح الاعتقاد"[2]، وتكرر استخدامه لهذا المصطلح في كتابه الحافل "الإعلام بمناقب الإسلام" [3]؛ وجاء من بعدها أبو بكر البيهقى (458هـ) الذي كتب كتاب: "الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة". ثم تلاهم أبو المعالي الجويني الذي كتب "العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية"، وكتب أيضا "الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد"، وسار الغزالي (505هـ)على هذا في كتابيه: "قواعد العقائد"، و"الاقتصاد في الاعتقاد"، وألف شيخ الإسلام ابن تيمية "العقيدة الواسطية"، وصنف الإيجي (ت756هـ) كتابه "العقائد العضدية"، وكتب حكيم الأمة شاه ولي الله الدهلوي (1176هـ)، " العقيدة الحسنة "وهو كتاب صغير

1– هو أبو الحسن محمد بن يوسف العامري (ت 381هـ)، من كبار فلاسفة الإسلام، من أهم مؤلفاته: الإعلام بمناقب الإسلام، الأمد على الأبد، والسعادة والإسعاد. ينظر في ترجمته: أحمد عبد الحميد غراب، **مقدمة الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن العامري،** ط1. الرياض: دار الأصالة 1988 م، ص7–21؛ وأوفى ترجمة له ولآرائه هي ما قدمته: منى أحمد أبوزيد، **الإنسان في الفلسفة الإسلامية دراسة مقارنة في فكر العامري،** ط1. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 1994م.

2– سحبان خليفات، **رسائل أبي الحسن العامري وشذراته الفلسفية – دراسة ونصوص** – ط1.عمان: منشورات الجامعة الأردنية 1988م، ص471–473؛ وينظر: أبو الحسن العامري، **الإعلام بمناقب الإسلام**، تح: أحمد عبد الحميد غراب، ط1. الرياض: دار الأصالة 1988 م، ص144؛ وينظر أيضا: ص200.

3– المرجع نفسه، ص 70؛ ص75.

الحجم، لكنه نافع ومفيد، شرحه صديق حسن خان البوفالي في كتاب سماه "الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح"، وعليه شرح آخر لأويس الندوي عنوانه "العقيدة السنية شرح العقيدة الحسنة".

ولقد غلب هذا الاسم حديثا حيث ألف عبد الحميد بن باديس "العقائد الإسلامية"، ثم تتابعت الكتب والمؤلفات تحت هذا العنوان، منها: "العقيدة والعبادة والسلوك" للشيخ أبي الحسن الندوي، و"العقيدة في القرآن "للأستاذ محمد المبارك، وله أيضا": نظام الإسلام في العقيدة والعبادة"، وكلاهما يتميز بالرصانة والجدة في العرض كشأنه في سائر كتبه كلها.

وفي العصر الحديث تطلق بعض المعاهد الجامعية على كل قسم يتخصص في دراسة هذا العلم اسم "قسم العقيدة"، وقد لقيت هاته الكلمة قبولا وانتشارا في عصرنا الحاضر، ربما لخلوها من التهم التقليدية التي ارتبطت بعلم الكلام، ولذلك آثرناها دون غيرها حتى نضمن لهذا العلم استمراره وحيويته في مواجهة التحديات الداخلية من جهة، والتحديات الوافدة من جهة أخرى، وحتى نتيح له أن يقدم "الأسس النظرية" التي تقوم عليها النظم والأحكام العملية المختلفة التي تحتويها الشريعة الإسلامية.

3. موضوع علم العقيدة:

تتناسب الموضوعات التي يدرسها علم العقيدة مع الأهداف، والمقاصد التي نهض هذا العلم لتحقيقها والوفاء بها، وتتركز هذه الأهداف على إثبات العقائد الدينية بالبراهين العقلية والدفاع عنها في مواجهة الشبهات، والشكوك التي تصوب إليها، ومن هنا فإن موضوع علم العقيدة يتناول "المعلوم"[1] من حيث يتعلق به

1-المعلوم أي ما يدرك ويتصور في الجملة لأنه هو الذي يعم الموجود والمعدوم والحال.

إثبات العقائد الدينية تعلقا قريبا أو بعيدا[1].

ويسوي بعض المتقدمين بين موضوع علم العقيدة والفلسفة. أما ابن خلدون فيفرق بينهما وفي هذا المعنى يقول: "إن الجسم الطبيعي ينظر فيه الفيلسوف من حيث يتحرك، ويسكن، والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل وكذا نظر الفيلسوف في الإلهيات إنما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته، ونظر المتكلم في الوجود من حيث أنه يدل على الموجد "[2].

ويقرر ابن خلدون أن موضوع علم العقيدة، وهو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن إن يستدل عليها بالأدلة العقلية، فترفع البدع وتزول الشكوك، والشبه عن تلك العقائد.

ومن كل ما سبق يمكن أن نستنتج أن موضوعات علم العقيدة متعددة وتضم مسائل شتى، لكنها ليست على درجة واحدة من الأهمية لأن بعضها يعتبر بمثابة مقدمات لمباحث العلم الأساسية، ويمكن إجمال هذه الموضوعات فيما يلي:

3-1 –العقائد الدينية: وتندرج تحت هذه العقائد ثلاثة مباحث هي الإلهيات التي يدرس فيها ما يتعلق بالله تعالى وصفاته، وأفعاله، والرد على ما لهج به المشركون بما لا يليق بجنابه المقدس كزعمهم" من أن الملائكة بناته، وأن له ولدا وشريكا، وأنه ثالث ثلاثة "[3].

والنبوات التي يدرس فيها النبوة وأحوالها وصفات الأنبياء والرسل والمعجزات التي يؤيدهم الله بها، وتفنيد ما يدعيه الكفار من أن النبي ﷺ ساحر وكاهن

1-ينظر: عضد الدين الإيجي، **المواقف في علم الكلام**، ط. بيروت: عالم الكتاب (د.ت)، ص 7؛ سعد الدين التفتازاني، **شرح المقاصد**، (مرجع سابق) 1998م. ج1، ص167؛ وينظر أيضا: محمد السفاريني، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، (مرجع سابق)، ج1، ص 5.

2- ابن خلدون، **المقدمة**، ط بيروت: دار الجيل [د.ت]، ص516.

3-أبو حامد الغزالي، **جواهر القرآن** ن ط4، بيروت: دار الآفاق الجديدة 1974م، ص15.

وكذّاب، وإنكار نبوته وأنه بشر كسائر الخلق فلا يستحق أن يتّبع[1].

والسمعيات هي المسائل التي لا تتلقّى إلا بالسمع أي الخبر من المعصوم ﷺ، كالجنة والنار والحوض، والميزان وغيرها ومحاجة من ينكرها [2].

2-3 –دراسة طبيعة الشبه الموجهة إلى العقيدة: من أجل الإلمام بأبعادها حتى يتسنى الرد عليها لدفعها، ومن هنا كان لزاما على من يتصدى لبيان العقيدة أن يتقن دراسة الأديان المخالفة والمذاهب، والنحل، والآراء التي من خلالها توجه الطعنات إلى العقيدة، ولعل هذا هو الذي أدى إلى اعتبار علم العقيدة من العلوم غير الدينية عند البعض وتوجيه النقد اللاذع المقذع إليه لاشتماله على عناصر من العلوم الأخرى فلسفية، وغيرها إلا أن وجود هذه العناصر الدخيلة في علم العقيدة الإسلامية كان بغرض دفع الشبهات لا أكثر، ولأنهم أي علماء العقيدة رأوا أن أحسن وسيلة لرد شبهات الخصوم هي أن يكون هذا الرد بوسائل الخصوم التي اعتادوها وإلا بعدت الشقة بينهم بين المناوئين، وطال الجدال في الأخذ والرد إذ ليس أقوى من سلاح الخصم للقضاء على أسلوب الخصم، ولعل أبرز من توسع في دراسة آراء الخصوم الإمام أبي حامد الغزالي وقد تجلّي هذا في كتبه التالية: "مقاصد الفلاسفة "الذي بيّن فيه كنه مذهب الفلاسفة، ثم كرّ عليهم بالنقد في كتابه "تهافت الفلاسفة"، ونفس الأسلوب استخدمه في نقده للنصارى وقد ظهر جليا في كتابه "القول الجميل في الرد على النصارى بصريح الإنجيل " وقد توسع الغزالي رحمه الله في دراسة الأديان والعقائد، والملل والنحل والمذاهب المختلفة المتنوعة توسعا كان مثارا للإعجاب، وأعانه على ذلك ما طبع عليه من ذكاء حاد، وبصيرة نافذة وفي هذا المعنى يقول: "إنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في أصل ذلك، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته، فيطلع

1-المرجع السابق، والصفحة نفسها.

2-المرجع نفسه والصفحة.

على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدّعيه من فساد حقا، ولم أر أحدا من علماء الإسلام صرف عنايته وهمته إلى ذلك[1]."

والحقيقة أن هذا المنهج الذي سلكه علماء العقائد لم يبتدعوه ابتداعا وإنما كان بتأثير مباشر من القرآن الكريم الذي حفل بالحديث المستوعب عن الأديان، والعقائد، والملل والنحل، وعرض مقالات هذه الملل والمذاهب بدقة واستقصاء، ثم ناقشها وبين وجوه القصور والزلل فيها، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر قوله تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾، (المائدة، الآية: 17). وقوله في آية أخرى ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم** ﴾، (الأنعام، الآية: 101).

لذلك سجل القرآن مقالة من أنكروا وجود الصانع وقالوا بقدم العالم كالدهرية فيقول على لسانهم: ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** ﴾، (الجاثية، الآية: 24).

وسجل القرآن مقالة من أنكر البعث في قوله: ﴿ **بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾، (المؤمنون، الآيات: 81-83).

لذا اهتم علماء الإسلام اهتماما بالغا بدراسة أديان الأمم وعقائدها، وعقدوا لهذا الغرض كتبا مفردة أو فصولا مطولة، وأحسب أن توسيع موضوع علم العقيدة ليشمل سائر العلوم التي يتوقف عليها إثبات العقائد الدينية -كالطب والفلك والإحصاء.. أولى بالقبول في عصرنا الحاضر، عصر الانفجارات العلمية وحسب

1- أبو حامد الغزالي، **المنقذ من الضلال**، تح: عبد الحليم محمود، ط. القاهرة: دار الكتب الحديثة، ص126.

الدارس أن يرجع إلى الكتب التي اصطبغت بالمنهج العلمي في تدعيم قضايا الإيمان نخص منها" الله يتجلى في عصر العلم" و"العلم يدعو للإيمان"، و"الإسلام يتحدى"، و"الطب في محراب الإيمان"، و"علم الإيمان" ليعرف أن موضوع علم العقيدة في عصرنا الراهن هذا يحتاج إلى الكثير من المباحث التجريبية والنظرية في إيضاح حقائق العقيدة الإسلامية بأسلوب العصر وروحه ومنهجه.

4. منهج العقيدة:

أما منهجه فهو يقوم على المزاملة بين الشرع والعقل، وهو إن كان يستند إلى الأدلة العقلية وصورها، فإنَّ العقل لا يستقل بإثبات القضايا العقدية، بل الوحي هو الذي يقرر تلك القضايا كي تصير جزءا من الدين، ودور العقل يقتصر على الدفاع عن تلك العقائد التي جاء بها الوحي والاستدلال لها. وتفصيل ما تركته لنا العقيدة على العموم وفي هذا المعنى يقول الإمام السفاريني: "واعلم أنا لا نأخذ الاعتقادات الإسلامية من القواعد الكلامية، بل إنما نأخذها من النصوص القرآنية، والأخبار النبوية، وليس القصد من الأوضاع الكلامية إلا دفع شبه الخصوم، والفرق الضالة عن الطرق الحقيّة، فإنهم طعنوا في بعض منها، بأنه غير معقول، فبين لهم بالقواعد الكلامية معقولية ذلك البعض "[1]، وهذه الخاصية التي اتسم بها المنهج في علم العقيدة نابعة من كون العقيدة جاءت عن طريق الوحي لذلك اصطبغ **المنهج** في علم العقيدة بصبغتين: صبغة دفاعية وصبغة استدلالية.

4-1-الصبغة الدفاعية: هذا العلم منطلق من حقائق ثابتة تكفل الوحي ببيانها والدفاع عن العقيدة سلك مسلكين:

أ-مسلك الإثبات: وبه تظهر صحة وأحقية تلك الأحكام.

1- محمد السفاريني، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، (مرجع سابق)، ص5.

ب-مسلك الرد: وبه تزيف وتبطل العقائد المخالفة والمناوئة.

4-2-الصبغة الاستدلالية: بين الدفاع والاستدلال خصوص وعموم والاستدلال يدخل في الدفاع وقد نشأ متساوقا في وجوده مع نشأة العلم ذاته وينقسم إلى قسمين:

أ-الاستدلال النقلي: يقصد به أن يقع الانتصار لحقيقة ما بنص مأخوذ من الوحي قرآنا أو سنة، أو إجماعا، وقد ساد استعمال هذا الدليل عند السلف وأهل السنة -وهم جموع المحدثين والفقهاء ومن ورائهم -وكانوا يعولون عليه كثيرا، لكن بمجيء الإمامان: الأشعري والماتريدي نشأ ضرب من التوازن بين الدليل النقلي والعقلي، ثم أخذت كفة الدليل العقلي ترجح على حساب النقل عند المتأخرين منذ الجويني ومن جاء بعده.

ب-الاستدلال العقلي: يقرر معظم علماء العقيدة أن الدليل العقلي مقبول في قضايا العقيدة إلى جانب الدليل النقلي ما دام الوحي قد حث على استخدام العقل، وأمر بالنظر والاعتبار في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾، (فصلت، الآية: 53).

ويقول القرآن الكريم في معرض حديثه عن منافذ المعرفة التي يدرك بها الإنسان الوجود حوله بعد أن يصبح مستعدا لذلك: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾، (النحل، الآية: 78).

ويقول أيضا: ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾، (الغاشية الآيات: 17-20) إلى

غير ذلك من الآيات التي تحض على النظر والاعتبار[1]، وقد توسع المعتزلة والزيدية في استعمال هذا الدليل توسعا ملحوظا وكذلك فعل متأخرو الأشاعرة والماتريدية والإمامية، كما نجد ذلك عند الإيجي، والتفتازاني، ونصير الدين الطوسي .

والحقيقة أن أغلب علماء هذا الفن أوجبوا النظر العقلي في الاستدلال على أصول العقيدة، ولم يقبلوا الاكتفاء فيها بالتقليد إذا وجدت القدرة والأهلية على النظر. وإن حدث خلاف حول طريق وجوب النظر بين المعتزلة وجمهور علماء العقيدة إذ يرى الفريق الأول أن أصل الوجوب العقل، والجمهور على خلافهم إذ يراه يرجع إلى الشرع.

والواقع أن الاستدلال العقلي أدى دورا مهما في الدفاع عن العقيدة، ونصرتها، والاستدلال لها لتثبيتها وتقويتها بدلائل قدرة الله المبثوثة في كونه المنظور.

5. مصادر العقيدة:

5-1-القرآن الكريم: الكتاب أو القرآن هو كلام الله تعالى، المنزل على محمد – ﷺ – بلسان عربي مبين، تبياناً لما به صلاح الناس في دنياهم وأخراهم وهو كما قال الإمام الشاطبي: "كلية الشريعة، وعمدة الملّة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور البصائر والأبصار، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه. وهذا كله معلوم من الدين علما ضروريا لا يحتاج إلى استدلال عليه".[2]

وقد جعله الله معجزة رسوله الكبرى، وتعبَّد المؤمنين بتلاوته، وألهمهم حفظه وكتابته في المصاحف، ويسَّر أمر نقله إلى الأجيال المتتابعة بالتواتر تحقيقا لوعده في

1-انظر: الأعراف، الآية:14، يونس، الآية: 101، الرعد، الآية:3-4، النحل، الآيات:66-69، النور، الآية: 45، الروم، الآيات: 48-50، يس، الآيات: 33-40، فصلت، الآيات: 9-12، الملك، الآيات: 3-5، عبس، الآيات:24-32.

2- إبراهيم الشاطبي، **الموافقات**، تح: أبو عبيدة آل سلمان، ط1. القاهرة: دار ابن عفان، 1997م، ج4، ص144.

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، (الحجر، الآية:9).

وقد أوفى القرآن الكريم الغاية في بيان العقيدة وتصحيحها في النفوس، على أتم وجه وأكمله، حتى يمكن القول بأنه لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من اهتمام بأمر العقيدة في جانب من جوانبها: إثباتا لحقائقها، وردا للشبهات الواردة عليها، أو بيانا للجزاء الذي يترتب على التصديق أو التكذيب بها. ويأتي هذا الاهتمام بها في السور المكية بخاصة، ومن شأن ذلك أن تقوم العقيدة في نفس المؤمن ووجدانه على الاقتناع والإيقان.

ولقد أشار الإمام الغزالي إلى هذه الحقيقة حينما قال بأن تسعة من محاور القرآن العشرة تدور حول العقيدة، وفي هذا المعنى يقول وعلوم القرآن: "عشرة أنواع: ذكر الذات، وذكر الصفات؛ وذكر الأفعال؛ وذكر المعاد؛ وذكر الصراط المستقيم، أعني جانبي التزكية والتحلية؛ وذكر أحوال الأولياء؛ وذكر أحوال الأعداء، وذكر محاجة الكفار؛ وذكر حدود الأحكام"[1].

بل إنَّ المتتبع للآيات التي ذكرت حدود الأحكام يجدها هي أيضا مؤسسة على العقيدة كقول الله تعالى في تشريع الطلاق والعدة والرجعة: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** ﴾، (الطلاق، الآية:1)؛ وقوله في رعاية اليتامى: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** ﴾، (النساء، الآية:9)؛ولننظر كيف جمع الله بين العقيدة وبين الصلاة والزكاة، وهي أحكام عملية في قوله في مفتتح البقرة ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**

1- أبو حامد الغزالي، **جواهر القرآن**، تح: محمد رشيد رضا القباني، ط2. بيروت: دار إحياء العلوم، 1986م، ص34.

﴾، (البقرة، الآيتان:2-3)، وهكذا عموم الأحكام العملية ليست معزولة قط عن العقائد والأخلاق، فالاعتقاد هو منطلق الحل والحرمة، ويحضُّ على الفعل أو يمنع منه الوازع الديني والأخلاقي، وما ملأ النفوس حرصا على الفعل أو امتناعا عنه إلا الهيبة من منشئها والخضوع له. وهذا هو الإيمان[1].

وبسبب هذا قال صاحب "كتاب تبيين كذب المفتري": "والعجب ممن يقول ليس في القرآن علم الكلام، والآيات التي هي في الأحكام الشرعية نجدها محصورة، والآيات المنبهة إلى علم الأصول نجدها توفي على ذلك، وتربي بكثير "[2].

وأكد الإمام الرازي هاته الحقيقة فقال: "إن الآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية، وأما البواقي ففي بيان التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين"[3].

والغريب أن القرآن لم يسق هاته الآيات المتعلقة بأصول الدين والعقيدة مساق الأخبار، ولم يطلب التسليم بها لمجرد أنه جاء بحكايتها، ولكنه أقام الدعوى وبرهن، وحكى مذاهب المخالفين، وكرَّ عليها بالحجة وخاطب العقل، واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإحكام، والإتقان على أنظار العقول وطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه، ودعا إليه.. وتآخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل بتصريح لا يقبل التأويل[4].

1- نقلا عن: أحمد بخيت الغزالي، **المدخل إلى الفقه الإسلامي**، ط1.المنامة: منشورات جامعة البحرين 2016م، ص32.

2- أبو القاسم ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري**، ط2.بيروت: دار الفكر 1399هـ.ص359.

3- فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب – التفسير الكبير**– ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، ج2، ص 324

4-محمد عبده، **رسالة التوحيد**، القاهرة: دار الكتاب العربي، (د، ت)، ص6.

وشعاره الذي رفعه للناس في إثبات العقائد والرد على المخالفين هو: ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾، (البقرة، الآية:111). و﴿ **قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا** ﴾، (الأنعام، الآية:148).

ولقد استنبط علماء الإسلام من هاتين الآيتين تلك القاعدة الذهبية التي تأسس عليها المنهج العلمي في الحضارة الإسلامية وهي "إذا كنت ناقلا فالصحة وإذا كنت مدعيا فالدليل".

والواقع أن القرآن قد بيَّن الأدلة العقلية أحسن بيان، وهدى الناس إلى البراهين اليقينية، وفصَّل الشبهات تفصيلا كاملا في الألوهية والوحدانية، والنبوة والرسالة، والبعث والنشور، وأعقبها بالدليل والبرهان.

والحقيقة أن ما هو صحيح من أدلة المتكلمين يمكن رده بغير عناء إلى القرآن الكريم، وإلى هذه الحقيقة يشير أحد كبار المتكلمين في الملّة فيقول: "أنت لو فتشت علم الكلام لم تجد فيه إلا تقرير هذه الدلائل والذبُّ عنها، ودفع المطاعن والشبهات القادحة فيها، أفترى أن علم الكلام يذم لاشتماله على هذه الأدلة التي ذكرها الله أو لاشتماله على دفع المطاعن والقوادح عن هذه الأدلة "[1].

فجميع أدلتهم -مثلا- على وجود الصانع لا تخرج عن قوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾، (آل عمران، الآية:12).

وعمدة أدلتهم على الوحدانية لا يندُّ عن قوله تعالى: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾، (الأنبياء، الآية:22). وقوله: ﴿ **مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾،

1- الرازي، **التفسير الكبير**، (مرجع سابق)، ج2، ص 325.

(المؤمنون، الآية:91).

سردت بعضا من هاته الأدلة كما وردت آيات بينات، اقتناعا منيِّ، بأن أسلوب القرآن في الإقناع أبلغ وأنفع، وأعم، وأشمل لجميع طبقات المخاطبين ومستوياتهم الثقافية، ولئن كانت أدلة المتكلمين والفلاسفة محدودة التأثير إلا على طائفة بعينها من الناس، وهم أصحاب النظر و الفكر الذين يتأثرون بالدليل العقلي المجرد الذي قد لا يدل دلالة قطعية على مدلوله إلا بتكلف ومعاناة في طلبها؛ وليس هذا شأن أدلة القرآن، فهي كالغذاء الصالح، والماء السائغ، يحتاج إليهما كل إنسان وينتفع، يقول الإمام الغزالي في كتابه: "إلجام العوام عن علم الكلام": فأدلة القرآن مثل الغذاء، ينتفع به كل إنسان، وأدلة المتكلمين مثل الدواء، ينتفع به آحاد الناس، ويستضرُّ به الأكثرون، بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع، والرجل القوي. وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة، ويمرضون بها أخرى، ولا ينتفع بها الصبيان أصلا".[1]

والتجربة شاهدة على صحة المنهج الذي سلف، فما من أحد من العلماء لجأ إلى القرآن الكريم في مسألة إلا وجد لها فيه أصلا[2]؛ ولذلك كان فيه الكفاية والغناء، وبخاصة "أن أدلته تجري للعوام مجرى الماء، الذي جعل الله منه كل شيء حيًّا"[3].

5-2- السنة النبوية: وإذا كان القرآن الكريم هو مصدر الدين، عقيدة وشريعة، فإن السنة النبوية مبيِّنة وموضحة لمعاني القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾، (النحل، الآية:44). ولا شك أن المبيِّن متأخر في الرتبة عن المبيَّن[4].

1-الغزالي، **إلجام العوام عن علم الكلام**، ط1. بيروت: دار المنهاج 2017م، ص.93

2-إبراهيم الشاطبي، **الموافقات**، تح: أبو عبيدة آل سلمان، (مرجع سابق)، ج4، ص489.

3- الغزالي، **إلجام العوام عن علم الكلام**، (المرجع السابق)، ص94

4-إبراهيم الشاطبي، **الموافقات**، (مرجع سابق)، ج4، ص296.

والسنة المطهرة خير مبين للكتاب، فقد كان عمر رضي الله عنه يقول: "إِنَّهُ سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ"[1]. وقيل لِمُطَرِّف بن عبد الله": لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال: والله ما نريد بالقرآن بدلا، ولكن نريد منه وأعلم بالقرآن منَا "[2]

وقال علي- رضى الله عنه-لعبد الله بن عباس حينما بعثه إلى الخوارج: "ولا تخاصمهم بالقرآن، فإنه حمَّال ذو وجوه، ولكن حاججهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً"[3].

ولذلك لما استدل الخوارج على كفر مرتكب الكبيرة بظواهر بعض النصوص، لم يجد علي- رضي الله عنه- أبلغ في الردِّ عليهم من السنَّة إذ قال: "وقد علمتم أن رسول الله ﷺ رجم الزاني المحصن، ثم صلىَّ عليه، ثم وَرثَّه أهلَه. وقتل القاتل، وورث ميراثَه أهلَه، وقطع السارق، وجلد الزاني غير المحصَن، ثم قسم عليهما من الفيء، ونكح المسلمات، فأخذهم رسول الله ﷺ بذنوبهم، وأقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يُخرج أسماءهم من بين أهله"[4].

وعلى هذا لا ينبغي في الاستنباط من القرآن، الاقتصار عليه دون النظر في شرحه، وبيانه وهو السنة[5].وبخاصة أنها بينت كثيرا من المباحث العقدية من ذلك الأحاديث الدالة على خطر الشرك، وحرمة مظاهره، كما وضحت، أصول المباحث الإلهية، والنبوات، وفصلت في الأمور السمعية.

والناظر في السنة النبوية يجده - عليه الصلاة والسلام -، قد لبث في مكة

1-عبد الله الدارمي، **السنن، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة**، حديث رقم: 121، تح: حسين أسد، ط1. الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية 2000م، ج1، ص 240.

2-ابن عبد البر، **جامع، بيان العلم وفضله**، تح: أبو الأشبال الزهيري، (مرجع سابق)، ج2، ص193.

3-محمد عبده، **شرح نهج البلاغة للإمام علي**، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر 1412هـ، ج 3، ص136.

4-المرجع نفسه، ج2، ص7-8.

5-إبراهيم الشاطبي، **الموافقات**، (مرجع سابق)، ج4، ص183.

المكرمة ما يقرب من ثلاث عشرة سنة – وهي المدة من بعثته إلى هجرته– وهو يوجه الجانب الأعظم من اهتمامه إلى تقرير "ثلاثة معان، أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى:

أحدها: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق، غير أنه يأتي على وجوه؛ كنفي الشريك بإطلاق، أو نفيه بقيد ما ادعاه الكفار في وقائع مختلفة، من كونه مقربا إلى الله زلفى، أو كونه ولدا أو غير ذلك من أنواع الدعاوى الفاسدة.

والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد، وأنه رسول الله إليهم جميعا، صادق فيما جاء به من عند الله؛ إلا أنه وارد على وجوه أيضا؛ كإثبات كونه رسولا حقا، ونفي ما ادعوه عليه من أنه كاذب، أو ساحر، أو مجنون، أو يعلمه بشر، أو ما أشبه ذلك من كفرهم وعنادهم.

والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة وأنه حق لا ريب فيه بالأدلة الواضحة، والرد على من أنكر ذلك بكل وجه يمكن الكافر إنكاره به؛ فرد بكل وجه يلزم الحجة، ويبكت الخصم، ويوضح الأمر.

فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمر، وما ظهر ببادئ الرأي خروجه عنها؛ فراجع إليها في محصول الأمر، ويتبع ذلك الترغيب والترهيب، والأمثال والقصص، وذكر الجنة والنار ووصف يوم القيامة وأشباه ذلك"[1]. ولم يتعرض القرآن إلى الأحكام العملية إلا لماما، وبشكل كلِّي لا تفصيلي غالبا. والسبب في هذا النهج أن العقيدة هي الأساس الأول لكل ما تأتي به الشريعة من أحكام وتكاليف، فلابد إذن أن يقع التعهد المستمر لهذا المعتقد بالصون والرعاية، وغير خفي أنه إذا اختل الأساس، اختل البناء كلّه.

وجاء ذلك بطريقين: بطريق مباشر حيث كانت آيات القرآن تنزل موضحة

1 -إبراهيم الشاطبي، **الموافقات**، (مرجع سابق)، ج4، ص269-270.

أصول العقيدة بالدليل والبرهان، داعية المخاطبين للنظر العقلي في السماوات والأرض لتحصيل العلم اليقيني بأصول العقيدة، مشددة النّكير على من لا يستجب منهم للأمر بالنظر قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾، (الأعراف، الآية:179). ومقرِّعة للمعرضين عن طريق الحق من ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ** ﴾، (الصافات الآيتان:69-70).

أما الطريق الثاني: فهو طريق غير مباشر حيث تعرض لقضايا العقيدة، وبخاصة **عقيدة توحيد التدبير** في ثنايا القصص القرآني عن الأنبياء السابقين وأممهم، لأن الغرض الأساسي من هاته القصص هو التسرية على قلب النبي ﷺ.

وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، واتخاذها مركزا لدولة الإسلام... ظل الاهتمام بالعقيدة مساوقا لبيان التشريعات العملية. والسبب في هذا المنهج يرجع إلى عدة عوامل من أهمها:

1- التقاء المسلمين مع اليهود والنصارى على صعيد واحد، ولاشك أن هذا الالتقاء مدعاة إلى التحاور، بل التناظر، وبخاصة أن العقيدة الإسلامية قد أعلنت وهاء العقائد المخالفة قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾، (آل عمران الآية:85). فحركت هاته الآية دواعي الاستحثاث عند المخالفين، في إبراز ما يُرى لديهم أنه حق، فاقتضى ذلك الرد على أهل الكتاب فيما بدلوه في أصول عقائدهم، ومجادلتهم فيما أوردوه من شبه عن عقائد الإسلام[1].

2- وقد كان النبي ﷺ يعلم الدعاة الذين كان يبعثهم إلى البلاد المفتوحة أن

1- لمزيد من التوسع ينظر: عصام السيد محمود، **حوارات النبي مع أهل الكتاب وعلى أي شيء نتحاور؟**، مقال منشور ضمن مجلة المدينة العالمية المحكمة، العدد 03، السنة 2012م، ص9-62.

يبدأوا بدعوة الناس إلى العقيدة أولا وفي مقدمتها الإقرارِ بوَحدانيَّةِ اللهِ تعالَى، والإيمان برسالةِ نبيِّه محمَّدٍ ﷺ؛ وهذا ما يتبين من قول الرسول ﷺ لما بَعَثَ مُعَاذَا نَحْوِ اليَمَنِ قالَ له: إنَّكَ تَقْدَمُ علَى قَوْمٍ مِن أهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إلى أنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّهَ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في يَومِهِمْ ولَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عليهم زَكَاةً في أمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِن غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ علَى فقِيرِهِمْ، فَإِذَا أقَرُّوا بذلكَ فَخُذْ منهمْ، وتَوَقَّ كَرَائِمَ أمْوَالِ النَّاسِ[1].

هكذا يبدأ بتأسيس الاعتقاد أولا، ثم تأتي الأحكام التكليفية بعد ذلك، وتبيِّن لنا السيدة عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – وجه هذا الترتيب في قولها عن نزول القرآن: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار. حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا. ولو نزل: لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدا...)[2].

5-3- العقل والفطرة: قلنا سابقا أن القرآن الكريم والسنة الصحيحة هما مصدرا العقيدة الإسلامية أما العقل الصريح والفطرة المستقيمة فيوافقان الأدلة المذكورة، ويدركان ضرورة النبوات، وإرسال الرسل، وضرورة البعث والجزاء على الأعمال على الإجمال لا على التفصيل، أما أمور الغيب فلا سبِيلَ لإدراك شيءٍ منها على التفصيل إلاَّ عن طريق الكِتابِ والسنة، ولذلك كان دور العقل في العقيدة أشبه

1- البخاري، **الجامع الصحيح،** كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله، تح: جماعة من العلماء، ط1. بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ، ج6، ص114.

2-البخاري، **الجامع الصحيح،** كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، (المصدر نفسه)، ج6، ص185؛ والمفصل في اصطلاح علماء التفسير: هي السور التي يكثر الفصل بينها بالبسملة لقصرها، و سبب تسميتها بالمفصل، قيل لكثرة الفصول فيه، وقيل: لكثرة الفصل بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم، وقيل: لقلة المنسوخ فيه.وآخره :﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾، ينظر: بدر الدين الزركشي، **البرهان في علوم القرآن،** تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1.بيروت: دار المعرفة 1957م، ج1، ص245.

بدور المحامي، كما أشار إلى ذلك المؤرخ أحمد أمين حينما قال: "إن موقف المتكلم كموقف محام مخلص اعتقد صحة قضية، وتولى الدفاع عنها يصوغ لها من الحجج والأدلة ما يؤيدها ويثبت ما اعتقد من صحتها. أما موقف الفيلسوف فهو كموقف قاض عادل تعرض عليه قضية فهو لا يكوِّن فيها رأيا حتى يسمع حجج هؤلاء وهؤلاء، ويزنها بميزان دقيق من غير تحيُّز، ثم يكوِّن فيها رأيه ويصدر حكمه"[1].

وهذا الكلام إذا سلمنا به فإنه يحتاج إلى تدقيق أكثر، لأنه من الممكن أن يتوصل به إلى إثبات أمرين خطيرين.

أولها: العقل في الفلسفة منتج، وفي علم العقيدة عقيم.

الثاني: العقل في الفلسفة حر، وفي علم العقيدة مقيَّد.

إلا أنه يمكن تفنيد هذين الزعمين بما توصلت إليه آخر اكتشافات العلوم الحديثة، إذ يقرر علماء العصر الحديث أن العقل لا يعمل إلا فيما تأتي به الحواس، ونحن نعلم أن الحواس محدودة ولها مجالات لا تتعداها فلا شك أن النتائج، والأحكام التي تأتي من هذا الطريق تكون محدودة وصحيحة في هذا المجال، لكن إذا تجاوزنا مجال المحسوسات فإن العقل لا يكون منتجا لعدم وجود معطيات له خارج هذا المجال ومثال ذلك المسائل الغيبية [2]...

كما أن العقل يمكن أن يثبت وجود قوة عظيمة تدبِّر أمر هذا الكون، والمخلوقات التي يراها وبذلك يصل إلى إثبات وجود الصانع ولكن يقف عند هذا الحد.

فعندما يتجاوز العقل المحسوس يقع في التيه كما أن ما وصلت إليه الفلسفة يعد

1- أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ط 10، بيروت: دار الكتاب العربي (د.ت) ج3، ص18.

2- لمزيد من التوسع ينظر: علي الطنطاوي، **تعريف عام بدين الاسلام**، ط11. بيروت: مؤسسة الرسالة 1981م، ص 48 وما بعده.

إشكالا لا إنتاجا، وهو معنى يوضحه لنا العلامة ابن خلدون فيقول: "والعقل ميزان صحيح، وأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال"[1].

ويزيد ابن خلدون هذا المعنى إيضاحا فيقول: "مثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال. وهذا لا يُدرَكُ على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن للعقل حد يقف عنده، ولا يتعدى طوره. حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه، وتفطن من هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا، وقصور فهمه واضمحلال رأيه"[2].

وهذه الحقيقة التي قررها ابن خلدون منذ مئات السنين هي نفسها التي وصل إليها الفيلسوف الألماني الشهير "إيمانويل كانط"[3]، (Immanuel Kant)، في كتابه الشهير "نقد العقل الخالص".

وليس من الصحيح في شيء أن نقرر أن دور العقل في علم العقيدة عقيم بمجرد أن العقل لا ينتج العقيدة، بل الوحي هو الذي يتكفل ببيانها، والواقع أن علم العقيدة ظل وفيّا للعقل في أحكامه مقدرا لدوره في الاستدلالات غاية ما في الأمر أنه كان يرى أن هناك أطوارا وراء طور العقل لا يدركها، ولكن هذه الأطوار لا

1-ابن خلدون، **المقدمة**، ط بيروت: دار الكتاب اللبناني والاشتراك مع مكتبة المدرسة 1982م، ص825.

2-ابن خلدون، **المقدمة**، (مرجع سابق)، ص825.

3- فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر (1724- 1804). عاش حياته كلها في مدينة كونيغسبرغ في مملكة بروسيا .كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة. وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة، أما أكثر أعماله شهرة فهو كتابه نقد العقل المجرد الذي نشره سنة 1781، وبحث فيه واستقصى محدوديات وبنية العقل البشري ذاته.ثم نشر أعمالا رئيسية أخرى منها كتابه نقد العقل العملي الذي بحث فيه جانب الأخلاق.ينظر في آرائه وترجمته:عبدالرحمن بدوي، **إيمانويل كانت**، ط1. الكويت: وكالة المطبوعات 1977م.

تتناقض مع العقل البتة وهنا ينبغي أن نميز بين ما يتناقض مع العقل، وبين ما يتجاوز حدودهـ أي ينبغي أن نفرق بين محالات العقول ومحاراتها- على حد تعبير حجة الإسلام الغزالي

فالقضايا الغيبية التي أتى بها الوحي مثلا تمثل ما يتجاوز حدود العقل لأنه لا يستقل وحده بإدراكها، ولكنها في الوقت نفسه لا تتناقض مع المعطيات العقلية هذا ما يمكن أن نرد به بالنسبة للزعم الأول.

أما بالنسبة للزعم الثاني فإن منطقنا يكون هل الفكر البشري حر؟

إن الحرية أمر نسبي ذلك لأن كثيرا من الفلاسفة الذين ادعوا الحياد، وعدم الانحياز لجانب أيِّ فكرة كانوا في الواقع ضحايا أفكار خفية في نفوسهم، وقد عملت عملها دون أن يشعروا، وهناك حقيقة في علم النفس مفادها أن النفس البشرية تعمل أضعاف أضعاف ما لا تشعر به مما تشعر به، وهناك حقيقة أخرى يؤكدها علماء الاجتماع مؤداها أن الإنسان لا بد أن يتأثر ببيئته وبمجتمعه، ولعل هذا ما كان ملحظا للفيلسوف "باسكال"[1](Pascal) حينما قال: للإيمان وسائل ثلاث: العقل، والعادة، والوحي (الإلهام)[2].

وقديما قال: "أبو العلاء المعري "[3]:

وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ مِنّا ... عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبـوهُ

1- فيزيائي ورياضي وفيلسوف فرنسي اشتهر بتجاربه على السوائل في مجال الفيزياء، وبأعماله الخاصة بنظرية الاحتمالات في الرياضيات، توفي في عام 1662م ينظر في ترجمته وآرائه: يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ط1.القاهرة: مؤسسة هنداوي 2017م، ص95-103.

2-بليز باسكال، **الخواطر**، ترجمة أدوار البستاني، ط1. بيروت: المكتبة الشرقية 1972م، ص90.

3-أحمد بن عبد الله التنوخي المعري. شاعر وفيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فثلاثة أقسام: (لزوم ما لا يلزم) ويعرف باللزوميات، و (سقط الزند)، و (ضوء السقط) توفي عام (449ه). ينظر في ترجمته: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ط15. بيروت: دار العلم للملايين، 2002م، ج1، ص157.

وما دانَ الفَتى بِحِجىً وَلَكِن ... يُعَلِّمُهُ التَدَيُّنَ أَقرَبوهُ[1]

فأغلب الناس يأخذون عقيدتهم، ويؤمنون بما يؤمن به ذووهم، وفي الحديث الصحيح "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه"[2].

والحقيقة أن العقل في العقيدة حر لأن العقيدة عرضت علينا لنقبلها أو نرفضها، ومن أخص منهج علم العقيدة أنه يرفض الإكراه رفضا قاطعا في تثبيت قضاياه في نفوس الناس ذلك أن قضايا العقيدة حقائق باطنة مستقرها القلب البشري، وما كان كذلك فلا ينبغي أن يفرض بل يعرض، ولذا قال القرآن الكريم ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾، (البقرة، الآية: 256)، وقال في آية أخرى ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾، (الكهف الآية 29)، وخاطب رسوله ﷺ في آية أخرى بقوله ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ** ﴾، (البقرة، الآية: 272)، ولذا طلب الدين الإسلامي من البشر تحرير العقول وتطهير الأذهان من الشوائب والموروثات. وما دام المنطلق ينبني عن طريق النظر العقلي الحر، فإن ما يأتي بعده فهو منبن بطريق حر.

ولعلنا على ضوء ما سبق نستطيع أن نقرر أن دور العقل في الدراسات العقدية هو دور دفاعي بحت، وهذه الخاصية نابعة من كون العقيدة جاء بها الوحي، لكن للعقل دوره في الاستدلالات لصحة قضايا العقيدة، وتزييف ما في شبهات الخصوم من وهاء، وأحسب أن الوضع الصحيح له ألا يتجاوز هذه المهمة

وإلا لو حاول اقتحام لجة الغيبيات، فإنه لن ينتج إلا ركاما من التيه، وما ذاك إلا لعدم امتلاكه مبادئ تلك الحقائق. وعلى ضوء هذا نفهم ما ورد عن تكامل بين العقل والشرع. وندرك العلاقة العضوية بينهما، والتي عبّر عنها الإمام الغزالي

1- وعنوان القصيدة قد اختَلّ الأنامُ بغيرِ شَكٍّ. ينظر: أبو العلا المعري، **ديوان اللزوميات**، تح: أمين عبد العزيز الخانجي، ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1342هـ، ج2، ص413.

2-مسلم، كتاب القدر رقم الحديث 2658. البخاري، كتاب الجنائز، رقم الحديث 1359 و1385.

بعبارته البليغة: "العقل لن يهتدي إلا بالشرع والشرع لم يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأس والشرع كالبناء، ولن يغني أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس.

وأيضا فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر فلهذا قال تعالى: ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ** ﴾، (المائدة، الآيتان:15-16).

وأيضا فالعقل كالسراج، والشرع كالزيت الذي يمده فما لم يكن زيت لم يحصل السراج وما لم يكن سراج لم يضئ الزيت وعلى هذا نبَّه الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ** ﴾، (النور، الآية: 35).

فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل وهما متعاضدان بل متحدان ولكون الشرع عقلا من خارج سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو قوله تعالى: ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾، (البقرة، الآية: 18)، ولكون العقل شرعا من داخل قال تعالى في صفة العقل: ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، (الروم، الآية: 30)، فسمى العقل دينا ولكونهما متحدين قال:﴿ **نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ** ﴾، (النور، الآية: 35)؛ أي: نور العقل ونور الشرع"[1]

ويؤكد الغزالي محدودية العقل هذه فيقول:"اعلم أن العقل بنفسه قليل الغناء لا يكاد يتوصل إلى معرفة كليات الشيء دون جزئياته نحو أن يعلم جملة حسن اعتقاد

1-أبو حامد الغزالي، **معارج القدس في مدارج النفس**، ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة 1975م، ص57 وما بعده.

الحق، وقول الصدق وتعاطي الجميل وحسن استعمال المعدلة وملازمة العفة ونحو ذلك من غير أن يعرف ذلك في شيء والشرع يعرف كليات الشيء وجزئياته ويبين ما الذي يجب أن يعتقد في شيء شيئا وعلى الجملة فالعقل لا يهدي إلى تفاصيل الشرعيات والشرع تارة يأتي بتقرير ما استقر عليه العقل وتارة بتنبيه الغافل وإظهار الدليل حتى يتنبه لحقائق المعرفة وتارة بتذكير العاقل حتى يتذكر ما فقده، وتارة بالتعليم وذلك في الشرعيات وتفصيل أحوال المعاد فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة، والأفعال المستقيمة والدال على مصالح الدنيا والآخرة ومن عدل عنه فقد ضل سواء السبيل وإلى العقل والشرع أشار بالفضل والرحمة بقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾، (النساء، الآية: 83) وعنى بالقليل المصطفين الأخيار"[1].

6. أهميّة العقيدة والحاجة إليها:

إنّ علم العقيدة هو أهم العلوم على الإطلاق بالنسبة للفرد المسلم، ذلك لأن سلوك الإنسان وليد عقيدته ونتاج تفكيره، فإن الإنسان يفكر أولا ثم يعمل، وعقيدته هي التي تملي عليه مواقفه، وترسم مسيرة حياته، وتحدد كيفية سلوكه في واقع الحياة المعيش.

ويؤكد هذا المعنى "أبو الحسن العامري" بقوله الاعتقادات: "معدودة من حيز العلم، والأصناف الأُخَر هي معدودة من حيز العمل. وليس يُشك أن نسبة العلم إلى العمل مضاهية لنسبة العلة إلى المعلول، أو لنسبة البدء إلى التمام. والشيء متى فسدت علته، واختل بدؤه لم يلحقه الصلاح أبدا"[2].

ويقول ابن تيمية:"والدين القائم بالقلب من الإيمان: علما وحالا، هو الأصل.

1-أبو حامد الغزالي، **معارج القدس في مدارج النفس**، (مرجع سابق)، ص58.

2-أبو الحسن العامري، **الإعلام بمناقب الإسلام**، (مرجع سابق)، ص123.

والأعمال الظاهرة هي الفروع. فالدين، أول ما يبني من أصوله، ويكمل بفروعه. كما أنزل الله بمكة أصوله من التوحيد، والأمثال، التي هي المقاييس العقلية، والقصص والوعد والوعيد. ثم أنزل بالمدينة – لما صار له قوة – فروعه الظاهرة، من الجمعة والجماعة، والأذان والإقامة، والجهاد، والصيام، وتحريم الخمر... إلخ "[1].

ولذا كان لابد من حماية هذه العقائد من أخطار التشكيك، وتقويتها بالأدلة والبراهين العقلية، والحفاظ عليها راسخة الجذور متينة الأركان في مواجهة حملات التضليل التي يشنها الماديون على الأديان بعامة و الإسلام بخاصة، ولا بد من استبقاء هذه العقائد الإيمانية قوية دافقة بالحيوية في قلوب الشباب المسلم الذي تعلق عليه الآن آمالا عراضا في استعادة الوصاية على البشرية في مشارق الأرض، ومغاربها بما أوتي من رصيد الوحي المعصوم قال تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﷻ ﴾، (آل عمران، الآية:110)، وقال في آية أخرى ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾، (البقرة، الآية 143).

ومن هنا تكتسب مسألة البحث في العقيدة أهمية خاصة وتتجلى هذه الأهمية على مستويين:

المستوى الأول: الذاتي باعتبار أن العقيدة هي أساس الفلاح في الدنيا والآخرة.

المستوى الثاني: وهو مهمتها بالنسبة للعلوم الأخرى باعتبار أن التصور الفكري والعقائدي هو أصل النظم التطبيقية في حياة الجماعة أيضا.

أما بالنسبة للمستوى الأول، فإن الإنسان الذي يعتقد بوجود خالق للكون يرى ما يفعله من حقير أو خطير، دقيق أو جليل، ويستشعر بأنه يراقبه أو يحاسبه فإنه

1- أحمد ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1415هـ، ج10، ص355.

يتخذ سلوكا خاصا في الحياة بخلاف من ينكر وجود خالق عالم يرى ما يفعل ويحاسب على ما يعمل، ويعتقد بأنه خلق عبثا، وترك سدى، إنه من الواضح أن يختلف هذان الشخصان في نمط حياتهما ونوع سلوكهما تبعا لما يعتقدانه.

كذلك فإن المسائل العقدية تمس صميم حياة الإنسان، وتجيب عن الأسئلة الوجودية الكبرى التي يطرحها الإنسان على نفسه، ويسعى إلى معرفتها مهما كان لونه أو جنسه وهي:

- من أنا ؟
- و من أين أتيت ؟
- و لماذا جئت ؟
- و إلى أين سأذهب ؟

ولا شك أن الأبحاث الاعتيادية مهمتها الإجابة على هذه التساؤلات المطروحة، والتي تطرح بإلحاح عميق من جانب البشر.

أما أهميتها في النجاة في الآخرة فهو أهم من العناصر السالفة الذكر، وذلك لأنها أساس القبول والاعتبار، فالأعمال صور قائمة وأرواحها هو وجود سرّ الاعتقاد فيها، فالأعمال لا قيمة لها دون إيمان بالله تعالى، حتى ولو كانت صالحة في ذاتها. ولذلك جعل الله أعمال الكافرين كالهباء المنثور (الفرقان، الآية: 23)، أو كالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء. حتى إذا جاءه لم يجده شيئا (النور، الآية: 39)، أو كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف (إبراهيم، الآية: 18) وهكذا...ومعني ذلك أن هذه الأعمال مهدَرة؛ لأنها فقدت الإيمان والتصديق الذي هو سبب قبولها، فإذا انتفى وجوده انتفى اعتبارها، وزالت قيمتها. وللاعتقاد – إذن – هذه الأهمية البالغة، التي تجعله محور الإيمان وجوهره، ونقطة البدء فيه، وأساس القبول لكل ما

سواه من الأقوال والأعمال[1].

وقد تضمنت السنة أيضا كثيرا من الأدلة على ذلك بما يؤكد أهمية العقيدة ومن هذه الأدلة قوله عليه الصلاة والسلام: "يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه حبة من خردل من إيمان..."[2]. ومنها ما رواه معاذ عن النبي ﷺ قال: "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، صدقا من قلبه، إلا حرمه الله على النار"[3] إلى أحاديث أخرى كثيرة[4].

ويتضح من هذا كله أهمية عنصر الاعتقاد، ومكانته بين عناصر البنية الإسلامية، لذلك فإنه على قدر ما يكون بيِّنا في الأذهان مكينا في النفوس، يكون ما يقوم به من التكليف التصديقي والسلوكي قويا، ومحققا للغرض من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وهو صلاح الإنسانية في العاجل والآجل، أما إذا كان فاسدا فسد بعده كل شيء.

أما بالنسبة للمستوى الثاني، فإن التحقيقات التاريخية، والنفسيّة قد أثبتت أن العقيدة كانت دائما سببا للتحولات، والتطورات العظيمة التي شهدتها البشرية، كما بينت أيضا أن العقيدة الدينية كانت في أغلب الأحايين هي الملهم الحقيقي للعلوم والآداب والفنون، كل هذا إلى جانب أن أكثر المواقف الإنسانية التي تجسد قيم الإيثار، والنجدة، والمروءة والفتوة كانت ولا تزال تستمد جذورها وعناصرها من العقيدة الدينية، وتتحقق بفضل تأثيرها وفي ضوء هدايتها.

1-عبد الحميد مدكور، **دراسات في العقيدة الاسلامية**، (مرجع سابق)، ص60.

2- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، (مرجع سابق)، ج1، ص13

3- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية ألا يفهموا، (المرجع نفسه)، ج1، ص37.

4- انظر مثلا: البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب اللباس باب الثياب البيض، (مرجع سابق)، ج7، ص149؛ وينظر أيضا: كتاب الرقاق باب المكثرون هم المقلون، ج 8، ص94؛ كتاب الجنائز باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، ج2، ص71.

وقد تنبَّه العلماء إلى أهمية العقيدة ودورها في الحياة البشرية واعترفوا بذلك في مختلف المناسبات، فهذا عضد الدين الإيجي يقول: "منه تستمد جميع العلوم وهو لا يستمد من غيره فهو رئيس العلوم على الإطلاق"[1]، ويقصد من قوله أن ليس هناك حقائق يطوع لها علم العقيدة فيصبح فرعا منها، أما الاستدلال العقلي فلا يمنع إن يستمد من علوم أخرى، لا لتغيير و جهته وإنما لتدعيم ذاته.

يقول المفكر المسلم رجا غارودي في كتابه: "الإسلام الحي"[2]: لقد بنى النبي محمد ﷺ في المدينة مجتمعا مثاليا حيث الإيمان بوحدة الله " التوحيد " هو الموجه الرئيسي لكل المؤسسات سواء الاقتصادية منها أو التشريعية أو السياسية انطلاقا من المبادئ الإسلامية التي هي:

6-1- في المجال الاقتصادي: الملك لله وحده قال تعالى: ﴿ **لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾، (البقرة، الآية:284). وقوله في سورة المائدة: ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ** ﴾، (المائدة، الآية: 120). والإنسان خليفة الله في الأرض، مكلف بإدارة هذه الملكية في سبيل الله فليس عليه أن يبذّره أو يكدّسه أو يبخل به عمّن يستحقه لأن المال مال الله وهو مستخلف فيه فقط.

6-2- في المجال السياسي: الأمر لله وحده، ومادام الأمر لله وحده، فإنه هو المشرع الوحيد. قال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾، (النساء، الآية:65).

6-3- في المجال الثقافي: لكي نفهم العلم الإسلامي في مضمونه ومغزاه -كما يقول غارودي بحق – ينبغي "أن لا نفصله عما تفرض عليه غايته ألا وهو الإيمان الإسلامي. فلا يمكن فهم العلم الإسلامي دون فهم الإسلام ذاته، تلك القوة الحيّة

1-الإيجي، **المواقف في علم الكلام**، (مرجع سابق)، ص 8

2-ينظر: رجاء غارودي، **الإسلام الحي**، تر: دلال ظاهر مع محمد ظاهر. ط1 بيروت: دار البيروني 1995 م.ص 19-22.

التي كانت روح ذلك العلم.

إن مبدأ التوحيد وهو حجر الأساس في تجربة الإسلام لمعرفة الله، يلغي كل ما يفصل بين العلم والإيمان، وبما أن كل شيء في الطبيعة هو دلالة على الوجود الإلهي تصبح معرفة الطبيعة مثلها في ذلك مثل العمل شكلا من أشكال الصلاة وسبيلا للتقرب من الله"[1].

وإذا كان القرآن في التصور الإسلامي هو كتاب الله المسطور، فإن الطبيعة تغدو كتابه المنظور الذي يدل على إبداعه، ووجوده، فالطبيعة في هذا التصور ليست شيئا خاليا من المعنى كما يجعلها علم الطبيعة المعاصر بل هي دلائل صدق على الله قال تعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾، (فصلت، الآية: 54)، وقال في آية أخرى: ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾، (يونس، الآية:101).

ومن هنا فلا نعجب إذا وجدنا أحد تلاميذ هذه المدرسة ألا وهو "البتّاني" الفلكي المشهور يقول: "بعلم النجوم يصل الإنسان إلى برهان على وحدانية الله وإلى معرفة حكمة الله في ما خلق"[2].

وإذا كانت سماء الفلكيين هي دليل على وجود الله تجلّى الله لنا من خلالها فإن أرض الجغرافيين هي مثلها في ذلك قال تعالى: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾، (سورة العنكبوت:20).

6-4- **في المجال العمراني: إذ** أن هناك علاقة حميمة بين العمران الإسلامي وبين

1-رجاء غارودي، **الإسلام دين المستقبل**، ترجمة عبد المجيد بارودي، ط بيروت: دار الإيمان 1983م ص 88-193.

2-رجاء غارودي، **الإسلام دين المستقبل**، (مرجع سابق)، ص94.

العقيدة التي صاغته فهو ليس معمارا يشق مجراه الخاص بعيدا عن الرؤية العقدية أنه نتاجها الصرف... وبصماتها مطبوعة في تكوينه وسطوحه ومنحنياته. لذلك كان المسجد يتوسط المدينة عند المسلمين وكذلك كل الطرق في المدينة كانت تؤدي إلى المسجد والمسجد إلى الصلاة، فالمسجد هو المنطلق والمصب.

أكثر من هذا فإن الحجارة التي ترتفع بها المساجد و المآذن والأعمدة، تريد أن تنقلك بعيدا إلى عالم آخر فيما وراء هذا العالم... مشع في هذا المجال وهي حقيقة لمسها فليب حتى فقال: "ما يكاد المسلم يدخل الصحن الذي ينكشف للسماء والذي تحيط به الأروقة حتى يجد في نفسه ميلا شديدا إلى الانعتاق من البيئة المادية التي حوله ثم نزوعا في الوقت نفسه إلى السمو نحو الملأ الأعلى، وما هذه المئذنة الطويلة الرشيقة إلا أشبه بالإصبع التي تنتصب مشيرة إلى السماء، وما في جوف المسجد فإن القبة المتلألئة بالمصابيح تبدو وكأنها صورة منقولة عن قبة السماء... وهؤلاء المصلون حولك، معا أو فرادى في كل مكان من المسجد يولِّدون في النفس شعورا بمشاركة تسع العالم كله "[1].

من أجل ذلك قال غارودي: "أنني من تأمل فنون الإسلام ومساجده إنما شرعت أفهم العقيدة الإسلامية بتأكيدها الجذري عل التعالي "[2].

هاهنا، واحدة من أشد قيم الإسلام أهمية، وهي حركة الخروج من ضيق الدنيا إلى سعتها، كما عبر الصحابي الجليل ربعي بن عامر... هاهنا يمكن القول إن عمران المسجد يعبر بصدق عن شوق الإنسان المسلم للصعود وللأمة المسلمة إلى الصعود إلى الأعالي إلى الله عز وجل في علاه، عبر محطات الإسلام والإيمان والإحسان هنالك حيث يقف الإنسان قبالة الله.

1- فليب حتى، **الإسلام منهج حياة**، تر: عمر فروح. ط1 بيروت: دار العلم للملايين 1979 م، ص 307.

2- عماد الدين خليل، **الفن والعقيدة**، ط1 بيروت: مؤسسة الرسالة 1990 م.، ص 40.

وهكذا فإن العقيدة تتخلل كل شيء في الحضارة الإسلامية، بل إنها روح الأمة وعنوان هويتها المتميزة عن حضارات الأمم الأخرى.

5-6 - في المجال الفني: فالفن الإسلامي فن تجريدي و هذه الحقيقة استوحاها من رؤية العقيدة التي تحرم التمثيل و تمقت التجسد، و في هذا المعنى يقول غارودي "إن الفن الإسلامي، الإسهام الهائل الذي شارك به في الفن العالمي، والمشاركة العظمى التي يؤديها لبناء مستقبل مشترك للبشر، إن هذا الفن كالعلوم و كالحياة الاجتماعية، أو الفلسفة لا يمكن إدراكه إلا انطلاقا من مبدئه الناظم: العقيدة الإسلامية"[1].

7. خصائص العقيدة الإسلامية:

اختصت العقيدة الإسلامية بخصائص عدة تفردت بها دون غيرها من الأديان أو المذاهب الوضعية.

7-1- الربانية: والخصيصة الأولى من خصائص العقيدة الإسلامية هي: الربانية[2]، ونعني بها أنها عقيدة مستمدة من الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من القرآن الكريم الذي قررَّ أصولها ومن صحيح السنة المبينة للقرآن. فالعقيدة بما هي أحكام جاء بها الوحي تتصف بأنها أحكام محدودة لا تزيد ولا تنقص، وليس لأحد من صحابة رسول الله ﷺ مهما عظمت منزلتهم، وعلت أقدارهم، ولا من أئمة الإسلام وفقهائه الكبار، أن يتصرف في عقيدة الإسلام،

1- المرجع السابق، ص 65.

2- والربانية . كما يقول علماء العربية . مصدر صناعي منسوب إلى "الرب"، زيدت فيه الألف والنون، على غير قياس، ومعناه: الانتساب إلى الرب، أي: الله، سبحانه وتعالى، ويطلق على الإنسان أنه "رباني" إذا كان يعبد الرّبَّ. والرَّبانيُّ الكاملُ العِلْم والعَمل. وفي التنزيل العزيز ﴿ **وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾، (آل عمران، الآية:79). ينظر: أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة، (**مرجع سابق)، مادة ربَّ، ج2، ص 842؛ وينظر أيضا: إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط، (**مرجع سابق)، ج1، ص321.

سواء بالإضافة إليها، أو بالحذف منها من اجتهاده العقلي. وحتى الرسول ﷺ، لا يعدو أن يكون مبلغا عن ربه قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾، (الشورى، الآية:52).

ليست هذه العقائد من وضع سلطة سياسية حاكمة، ولا من إضافة جماعة دينية وصيّة، ولا من إملاء أحد من الناس.ويرجع سبب ذلك لسلامة مصادرها الدينية.

فالقرآن محفوظ بحفظ الله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾، (الحجر، الآية:9). وقوله في آية أخرى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾، (فصلت، الآيتان:41-42).

ولا خلاف بين المسلمين في أن القرآن هو المصدر الأول الذي تستمد منه الأحكام الشرعية، وأن هذا الكتاب حجة على الخلق كافة. والدليل على حجيته أنه من عند الله، والدليل أنه من عند الله إعجازه، ووصوله إلينا بالتواتر الذي يوجب العمل والعلم. "فالقرآن قطعي الثبوت، لأنه أمر سمعي نقل إلينا بالتواتر جيلا بعد جيل، فقد نقله بالكتابة والمشافهة في كل عصر جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، لم يختلفوا منه في شيء، يقدح في بلاغته، أو ينتقص من أحكامه ومبادئه، على اختلاف أجناسهم وتباعد ديارهم، **والتواتر من طرق اليقين**، وبه نؤمن بكثير لم نره، من وقائع وبلاد، وملوك وأفراد وغير ذلك "[1].

ومما ساعد على حفظ القرآن وصيانته من التحريف والتبديل، دولة تحميه، وتطبق أحكامه وتلتزم به، ويمكن القول -دون مواربة – أن هذا لم يتيسر لكتاب آخر، فلم يكن القرآن الكريم مطاردا محاربا شأن التوراة أو الإنجيل.

وهذا يطمئن النفس أن مصادر ديننا محفوظة، وأن عقيدتنا لم يطلها تدخل البشر،

1- على حسب الله، **أصول التشريع الإسلامي** ، ط5. القاهرة: دار المعارف بمصر، 1976م، ص28.

وتحريف البشر على نحو لم يتيسر مثله، أو قريب منه لدين آخر من الأديان، ومن ثم نخلص إلى نتيجة مفادها: أن القرآن باعتباره الكتاب الخاتم الذي سلم من يد التحريف والتبديل، جدير ليكون هو المصدق للكتب السابقة في حدود ما لم يصبه التحريف والتبديل، وهو في نفس الوقت المهيمن والكاشف عن مدى ما أدخل فيها وهو ليس منها، أو حذف منها وهو فيها. قال تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾، (المائدة، الآية:48).

7-2- **الثبات:** ومادامت عقيدتنا ربانية فهي **ثابتة** لا تقبل التغيير والتحوير بالاجتهاد، ولا ينالها التطور لتتوافق مع الظروف، لأن هذا افتيات على صاحب الحقِّ الأوحد في ذلك، وهو الله صاحب الخلق والأمر. قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ** ﴾، (الحاقة، الآيات:44-47)، بل إن هذه العقيدة تظل ثابتة على حالها كما جاءت بها نصوص الوحي لأنها في واقع الأمر أحكام إلهية ورد بها الخبر الشرعي، وذلك خلاف علم العقيدة الذي هو في حقيقته شروح واستدلالات إنسانية وردا للشّبه، ولاشك أن هاته الفهوم تخضع للتطورات الثقافية الحاصلة، "فربّ شرح أفهم في عصر، وربّ دليل أقنع فيه، ولكن في عصر آخر لا يكون بهما إفهام أو إقناع، وكذلك رب شبهة واردة على العقيدة تندحض بردّ عند جيل من الناس، ولكنها لا تندحض بذات الردِّ عند جيل آخر، وهو ما يحصل بسبب التغيّر الذي يحدث في عقليات الناس وثقافاتهم عبر الزمن"[1] .

لذلك فالتفسيرات الخاصة ببعض عصور التاريخ الإسلامي ليست معصومة، ولا مبرأة من الخطأ، فضلا على أن تكون حاكمة على القرآن، لذلك فمن الوارد مناقشتها، بل يمكن ردها على صاحبها مهما كان مجتهدا في الدين، ومهما علا كعبه في العلم والتقوى، إذا كان فيها ما يصادم النصوص الشرعية، قرآنا وحديثا

1- عبد المجيد النجار، **الإيمان بالله وأثره في الحياة**، (مرجع سابق)، ص13.

صحيحا، أو إذا وقع فيها شطط في التأويل، أو خطل في الاستدلال.

والإسلام في هذه النقطة يختلف عن غيره من الأديان الأخرى التي تطورت عقائدها من جيل إلى جيل، وفي هذا كتب "عبد الواحد وافي" فصلا ماتعا سماه "العقيدة في أسفار اليهود وتطورها " ذكر فيه:" إن اليهودية في أصلها تقرر البعث والنشور، واليوم الآخر، والحساب، والجنة والنار، كما ينبئ بذلك القرآن، ولكن في أسفار العهد القديم قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه، ومن ثم لا نجد في فرقهم الشهيرة من يؤمن بالله واليوم الآخر، كما يقرره الإسلام"[1].

أما التلمود والذي اكتسب من القداسة حتى صار مبجلا عن التوراة نفسها، فلم يرد فيه ذكر للجنة والنار، إلا في فقرات معدودة ولكن في صورة مضطربة أدنى إلى الخرافة والأساطير منها إلى حقائق العقيدة، فتذكر هذه الفقرات: "أن الجنة تأوي إليها الأرواح الزكية، وأنه لا يدخلها إلا اليهود، وأن أهلها يطعمون فيها من لحم حوت مملحة...وأن النار لغير اليهود"[2]. وفي هذا دليل أن توراتهم الحالية من صنع أيديهم.

أما المسيحية فقد لاحظ بعض الكتاب الغربيين المحدثين أن العقيدة النصرانية قد زيد عليها ما ليس فيها، وأن بعض أصولها قد طاله التطور، ولحقه التغيير حتى إنهم ليسمون المسيحية الحاضرة، بمسيحية "بولس"، يقول العالم المسيحي: (Erneste de Bunsen)" إن العقيدة والنظام الذي جاء في الإنجيل ليس الذي دعا إليه السيد المسيح بقوله وعمله، إن مرد النزاع القائم بين المسيحيين اليوم، وبين اليهود والمسلمين، ليس إلى المسيح، بل إلى دهاء بولس، ذلك المارق اليهودي والمسيحي، وشرحه للصحف المقدسة على طريقة التجسيم"[3].

1-على عبد الواحد وافى، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، ط1. القاهرة: دار نهضة مصر 1964م، ص29.

2-المرجع نفسه، ص30.

3-Erneste de Bunsen، **islam_or_true_christianity**،London,1889.P128.

أما العقيدة الإسلامية فقد ظلت ثابتة لم تتغير على اختلاف الأعصار، وما حدث في الواقع الإسلامي من صراعات من أجل تأويل النّص الديني، فإنه يرجع لأسباب متعددة ليس محلها هذا الموضع، لكن في الحقيقة إن فتشناها وجدناها ترجع إلى اختلاف في الأفهام والتصورات، وهي تصورات تخطئ وتصيب، لأن مدارها على الاجتهاد، والاجتهادات ينبغي أن تكون محكومة لا حاكمة، ومن ثم يمكن أن تُدرس تلك الاجتهادات في إطار علم العقيدة، أو في تاريخ العلم. على حين تظل النصوص متبوعة لا تابعة، وقاضية لا مقضيا عليها.

7-3- الفطرية: الفطرة في اللغة الابتداء والاختراع، قال ابن منظور: "فطر الله الخلق يفطرهم خلقهم وبدأهم"[1]. وفي القرآن الكريم: ﴿ **الحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾، (فاطر، الآية:1)، وقد وردت هاته الكلمة في القرآن الكريم 20 مرة، منها 15مرة وردت بمعنى خلق، والمرات الخمس الباقية وردت بمعنى تشقق مثل قوله تعالى: ﴿ **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِن** ﴾، (الشورى، الآية: 5).

يقول الطاهر بن عاشور:"والفطرة: ما فُطِر– أي خُلق – عليه الإنسان ظاهراً وباطناً، أي جسدًا وعقلاً. فسَيْرُ الإنسان على رجليه فطرة جسدية، ومحاولة مشيه على اليدين خلافُ الفطرة. وعمل الإنسان بيديه فطرة جسدية، ومحاولة عمله برجليه خلافُ الفطرة. واستنتاج المسبَّبات من أسبابها والنتائجِ من مقدماتها فطرةٌ عقلية. ومحاولةُ استنتاج الشيء من غير سببه – المسمى في علم الجدل بفساد الوضع – خلافُ الفطرة العقلية. والجزم بأن ما نشاهده من الأشياء هو حقائق ثابتة في نفس الأمر فطرة عقلية، وإنكار السفسطائية ثبوتَها خلافُ الفطرة العقلية".[2]

= وينظر أيضا: هربرت جورج ويلز، **معالم تاريخ الإنسانية**، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ط1. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب (د، ت)، ج3، ص26 وما بعده؛ شارل جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ترجمة: عبد الحليم محمود، ط1. بيروت: المكتبة العصرية، (د، ت)، ص 78وما بعده.

1- ابن منظور الأفريقي، **لسان العرب، مادة فطر**، (مرجع سابق).

2- محمد الطاهر بن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، ط2. تونس: الشركة الوطنية للكتاب بالاشتراك مع المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (د، ت)، ص 17.

على هذا فإن الفطرة هي العقل العام وإن شئت قلت: المدارك المودعة في أصل الخلقة، التي لا تختلف باختلاف الأعصار، وهي التي عبَّر عنها الإمام الدهلوي " بالسنة الراشدة"[1].

وسرِّ اتفاق سائر الشعوب والأمم على هاته الخصال على اختلاف فيما بينهم في أديانهم، ولغاتهم، وأقاليمهم ؟! إنما يرجع إلى أصل الفطرة هذه، وهو ما وضحه الدهلوي بقوله: "فهل يمكن أن يتفق عرب الناس، وعجمهم على اختلاف عاداتهم وأديانهم، وتباعد مساكنهم، وبلدانهم على شيء واحد وحدة نوعية، إلا بمناسبة فطرية"[2].

ومما يزيد هذا المعنى إيضاحا قول الصنعاني: "... وأهلُ الأقطار قاطبة يمدحون المحسن ويذمون المسيء بعقولهم من دون معرفة الشرائع، بل مَنْ ميز من الصبيان مَدح من أحسن وذم من أساء. وهل مدْحُ أهل الجاهلية لحاتم إلا لإحسانه وكرمه الذي أدركت عقولُهم حسنه؟ وهل ذموا مادرًا[3] في جاهليتهم إلا لبخله الذي أدركت عقولُهم قبحه؟ وهل مدحوا محمدًا ﷺ في جاهليتهم قبل بعثته وسَمَّوْه الصادق الأمين إلا لأنها أدركت عقولُهم حسن الصدق وأنه يُمدَح من اتصف به؟ وهل ذموا عُرقوبًا إلا لكذبه وخُلْفِ مواعيده الذي أدركوا بعقولهم قبحه؟ ثم جاء الإسلام مقررًا لهذه الفطرة السليمة"[4].

1- ينظر: الدهلوي، **حجة الله البالغة**، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1995م، ج1، ص101؛ وايضا: ج1، ص62.

2- الدهلوي، **حجة الله البالغة**، (المرجع السابق)، ج1، ص103؛ جمال الأشراف، **أبو الحسن علي الحسني النّدْوي وبناء علم الكلام الجديد**، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العقيدة، جامعة الأمير عبد القادر كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسنطينة قسم: العقيدة ومقارنة الأديان، 2017-2018م، ص75.

3- مادر: رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة، كان مضربَ الأمثال في شدة البخل واللؤم، فيقال: أبْخَلُ من مادر، أو: ألْأمُ من مادر.

4-محمد الصنعاني، **إجابة السائل شرح بغية الآمل**، تح: القاضي حسين بن أحمد السياغي والدكتور حسن، ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة 1986م، ج1، ص221.

وبناء على هذا يمكن القول أن الأنبياء كلهم "يخاطبون الفطرة السليمة والعقل العام بأسلوب فطري غير ذي عوج، ... يفهمه العوام كما يتذوقه الخواص وينتفع به الجهلاء كما ينتفع به العلماء، كل على فهمه وطاقته ويطابق حال الأمم التي على فطرتها وسذاجتها، كما يطابق حال الأمم المتمدنة المثقفة العالية، ولا يثيرون الأسئلة الدقيقة ولا يفترضونها إنما كلامهم كالماء الزلال الذي يسيغه كل واحد ويحتاج إليه كل واحد"[1].

والذي نخلص إليه أن العقيدة التي جاء بها الإسلام هي أكثر العقائد تماشيا مع الفطرة والعقل، وهو ما كان ملحظا للمفكر والمؤرخ أحمد أمين فقال: "فالقرآن لا يؤلف برهانه المنطقي من مقدمة صغرى وكبرى ونتيجة، ولا يتعرض لألفاظ الفلسفة من جوهر وعرض ونحوهما، ولا يحددهما، ولا يثير المشاكل العقلية، ويفصلها ويبني عليها، لأن الدين لم يأت الفلاسفة وحدهم، ولا العلماء وحدهم، فالفلسفة والعلم حظ أقل عدد من الناس"[2].

لذا كانت الأدلة الشرعية ملاحظا فيها أنها لا تخص قوما دون قوم ولا تخاطب طائفة من الناس دون غيرها، لأن العقيدة أمر يُطالب به كل الناس دون استثناء، على اختلاف مداركهم واستعداداتهم الجبليِّة بحيث "لا يتوقف فهمها على ذكاء نادر، وعلم فائق، وألمعية بارعة، ودراسة واسعة للعلوم، وإحاطة واسعة بالمصطلحات العلمية، ومعرفة المنطق والفلسفة والرياضيات والفلكيات وعلوم الطبيعة"[3].

ولقد أشار إلى هذه الحقيقة الإمام الدهلوي الذي يقول: "فالأنبياء لم يخاطبوا الناس إلا على منهاج إدراكهم الساذج المودع فيهم بأصل الخلقة، ولم يلتفتوا إلى ما

---

1 – أبو الحسن الندوي، **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**، ط5، دمشق: دار القلم 1980م، ص52.

2– أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، (مرجع سابق)، ج3، ص13.

3– الندوي، **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**، (المرجع السابق)، ص52.

يكون نادر الأسباب قلما يتفق وجودها، فلذلك لم يكلفوا الناس أن يعرفوا ربهم بالتجليات والمشاهدات، ولا بالبراهين والقياسات، ولا أن يعرفوه منزها عن جميع الجهات"[1].

ولذلك كان ﷺ لا يُلزمُ أَحَدًا مِمَّن أَسلمَ على البحث عن ذلك بل كان يُقِرُّهُمْ على ما يعلم أنَّه لا انفكاك لهم عنه[2].

وممن يرون مثل هذا الرأي الفيلسوف الأندلسي ابن رشد الذي بيَّن: "أن الطرق الشرعية إذا تؤملت وجدت في الأكثر قد جمعت بين وصفين: أحدهما أن تكون يقينية، والثاني أن تكون بسيطة غير مركبة، أعني قليلة المقدمات، فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الأول"[3].

ذلك هو ميزة أسلوب الأنبياء الذي لا يخضعون فيه للمصطلحات العلمية، ولا للأساليب الجدلية التي يخضع لها أرباب الصنائع، وإنما "يستخدمون الطرق الفطرية الموهوبة، ويرسلون النفس على سجيتها، ويخاطبون الفطرة البشرية بلغتها التي تفهمها، والأسلوب الذي ألفته في جميع البيئات، ومراحل الحياة فلا تحتاج إلى شارح أو ترجمان"[4].

7-4- الواقعية: ولسنا نقصد بالواقعية ما يقصد بها في الفلسفة الغربية والتي تعني الاعتراف بوجود هذا العالم المادي المحسوس وحده، والتنكر لعالم الغيب، وإنما نقصد أنها تعترف بهذا العالم ولا تلغيه ـ كشأن بعض الفلسفات المثالية التي تعتبره خيالا في خيال ـ ولكنها تشتق من الواقع البادي في النفس وفي الكونحقيقة

1- المرجع السابق، ص53.

2- العز بن عبد السلام، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، ط1. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1991م، ج1، ص201-202

3- ابن رشد الحفيد، **مناهج الأدلة في عقائد الملة**، تح: محمود قاسم، ط2. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية 1964م، ص 148.

4- الندوي، **بين الدين والمدنية**، ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة 1987 م، ص77.

أكبر منهما وهي أن هناك مشيئة تدبرهما، وقدرا يحركهما، قال تعالى: ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ** ﴾، (يونس، الآية:101)، وقوله تعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾، (فصلت، الآية:53).

وهي عقيدة واقعية في تصورها للأنبياء والرسل، فالرسول محمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء ليس تجسيدا لله في الأرض، وإنما هو بشر لا يتميز عن الناس إلا بالوحي، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ** ﴾، (الكهف، الآية:110)، ليس له من خصائص الألوهية شيء، فلا هو إله ولا ابن إله ولا ملك، إنسان له طبائع البشر، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويعتوره ما يعتور البشر من الحزن، والضيق، والجوع والعطش، والألم، والموت ، قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ** ﴾، (الفرقان، الآية:20).

وحين طلب الكافرون من الرسل الكرام أن يأتوا بأشياء ليست في طوق البشر ومقدرتهم، كانت إجابة الرسل بأنهم بشر من سائر الناس، ولا يتميزون عنهم إلا بالنبوة والرسالة التي يمنُّ الله بها على من يشاء من عباده، وأنهم لا يستطيعون أن يأتوا بشيء إلا بإذن الله تعالى: ﴿ **قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** ﴾، (إبراهيم، الآية 11).

وحينما قال الكافرون لمحمد ﷺ: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾، (الإسراء، الآيات:90-93).

أمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم فقال تعالى: ﴿ **قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا**

﴿ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾، (الإسراء، الآية: 93). وفي هذا قمة الواقعية.

وهي واقعية في تصورها أن بعد هاته الحياة بعث، وثواب وعقاب وهذا يتفق مع العدل المطلق، الذي يقتضى أن ينال كل إنسان جزاءً يتناسب تناسبا حقيقيا مع ما قدمه من عمل، وهو عدل يتعذر وقوع مثله في هذا العالم الدنيوي الذي نعيش فيه؛ ولذلك يتطلع العقل إلى عالم آخر، يتحقق فيه هذا العدل الكامل، ويتميز به أهل الحق من أهل الباطل، وأهل الخير والصلاح من أهل الشر والفساد: ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ؟ مَا لَكُمْ ؟ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟**﴾، (القلم، الآيتان:35-36)؛ ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ؟** ﴾، (ص، الآيتان:28-27) وهكذا[1].

وهي عقيدة "واقعية" وذلك في مراعاتها للشبهات التي يثيرها معارضو الإيمان، وردودها عليها، فقد تعرض القرآن لأهم الفرق والأديان التي كانت منتشرة في عهد الرسول ﷺ فرد عليهم ونقض قولهم، فرد على الدهريين الذين ينكرون الخالق ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** ﴾، (الجاثية، الآيات:24).ورد على الذين زعموا استفادة النبي ﷺ من بشر ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾، (سورة النحل: 103)، ورد على الذين أنكروا البعث بآيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾، (يس، الآيتان:79-80). كما رد على اليهود والنصارى ومشركي العرب في جوانب عديدة، ولعل هذه الواقعية العقدية هي التي صبغت المنهج الكلامي بهاته الصبغة على مدار

1-عبد الحميد مدكور، **دراسات في العقيدة الإسلامية**، (مرجع سابق)، ص83-84.

تاريخه الطويل، بل كانت السبب الرئيس وراء نشأة هذا العلم في الحضارة الإسلامية[1].

ولا تقف واقعية العقيدة عند هذا الحد، وإنما تظهر في أنه لا إكراه فيها على الدين، ذلك لأن العقائد تعرض ولا تفرض، فالله لم يرد للإنسان أن يقهر على العقيدة، ولكن اختار له طريق البرهان العقلي، ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾. (البقرة، الآية: 256)، ويذكر صاحب التفسير الوسيط أن الآية: "تنفى الإجبار على الدخول في الدين، لأن هذا الإجبار لا فائدة من ورائه، إذ التدين إذعان قلبي، واتجاه بالنفس والجوارح إلى الله رب العالمين بإرادة حرة مختارة فإذا أكره عليه الإنسان ازداد كرها له ونفورا منه. فالإكراه والتدين نقيضان لا يجتمعان، ولا يمكن أن يكون أحدهما ثمرة للآخر"[2].

ورسل الله صلوات ربي وسلامه عليهم، لم يطلب منهم أكثر من البلاغ، وأما الاستجابة للحق فتلك موكولة لله سبحانه قال تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾، (القصص، الآية: 56)؛ وقال أيضا: ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ** ﴾، (الغاشية، الآيات 21-24)، وفي هذا مراعاة للواقعية، إذ من المعلوم أن الإنسان يميل إلى أساليب الإقناع العقلي في كل أموره، وينفر من الضغط والقسر فما بالك في أمر يتصل بالعقيدة!

7-5- عقيدة مبرهنة: ومن أبرز خصائص العقيدة الإسلامية موافقتها للعقل وانفتاحها على العلوم، ولقد برز هذا المنحى حين قرر القرآن عقائد الإيمان كلها مدعمة بالحجة والبرهان، وليس به قضية بلا دليل أو دعوى بلا بينة، وهو ما كان

1-لمزيد من التوسع ينظر: أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، (مرجع سابق)، ج3، ص1.

2--محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط1. القاهرة:دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1997م، ج1، ص 588.

ملحظا للإمام محمد عبده فقال: "جاء القرآن فنهج بالدين منهجا لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسة.... فلم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته ولكنه أقام الدعوى وبرهن وحكى مذاهب المخالفين وكرَّ عليها بالحجة وخاطب العقل واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الأحكام والإتقان على أنظار العقول وطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما أدعاه ودعا إليه حتى أنه في سياق قصص أحوال السابقين كان يقرر للخلق سنة لا تتغير وقاعدة لا تتبدل فقال: ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا** ﴾، (الفتح، الآية:23)، وصرَّح ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾، (الرعد، الآية: 11)؛ ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾، (الروم الآية: 30)؛ واعتضد بالدليل حتى في باب الأدب فقال: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾، (فصلت الآية: 34)، وتآخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل بتصريح لا يقبل التأويل"[1].

ولم تكتف بهذا فحسب، بل إنها أرست قواعد البحث وأصول التفكير، حيث دعت إلى تطهير العقل من كل الموانع والآفات التي تحجب عن الوصول إلى الحقيقة وهي كثيرة نذكر منها:

- رواسب التقليد قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ** ﴾، (البقرة، الآية: 170).

- واتباع الهوى لأنه يعمي ويصم قال تعالى: ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾، (ص، الآية: 26)، وقال في آية أخرى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ**

1-محمد عبده، **رسالة التوحيد**، (مرجع سابق)، ص6.

﴿ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾، (المائدة، الآية:8).

– التخلص من الكبر وهو أخطر الحجب التي تمنع نور المعرفة عن الإنسان وتبقيه في ظلمة الجهل الكبر والاستعلاء، فحين يرى الإنسان نفسه فوق الناس جميعا وينفخ فيه شيطانه داء التعاظم فإن كل منافذ الهدى تغلق في وجهه[1].قال الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾، (الأعراف، الآية:146).

– كما أنها لفتت الأنظار إلى سنن الله الجارية في الاجتماع الإنساني، وأكدت أن هذه السنن لا تنخرم قال تعالى:﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾، (آل عمران، الآية: 137)، وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾، (الأنفال، الآية:53).

ولهذا جعلت البرهان الصحيح، أو الحجة هو الفيصل في قبول القضايا أو ردها، لذلك كان شعار القرآن فيما يتصل بأي وجهة نظر تثار ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾، (البقرة، الآية:111). سواء تعلَّق هذا في جانب إثبات صدق الدعوي، أو في مقام التكذيب بها ، وهذا يعني: أن المثبت عليه الدليل، كما أن النافي عليه الدليل، وهذا من تمام العقلانية أمام المعتقدات والآراء، وإلى هذه الحقيقة أشار القرآن حينما طالب الذين ادعوا آلهة مع الله: بالحجة والبرهان لإثبات صدق دعواهم فقال: ﴿ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾، (النمل، الآية: 64)، ورد زعم أهل الكتاب بأن الجنة حكرا لهم فقال: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾. (البقرة، الآية، 111). وفي مقام التكذيب بلا علم، يقول الله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ

1–جمال الأشراف، **منهج القرآن في الاستدلال على وجود الله،** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم العقيدة، كلية أصول الدين، 2004م.ص99.

﴿ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾، (يونس، الآية: 39).

والنتيجة الطبيعية لذلك أن يتساوى التصديق بلا علم أو دليل، مع التكذيب بلا علم أو دليل، ليصل في النهاية إلى قاعدة حاسمة مفادها أن أكثر الضلال والانحراف، ناتج عن الظنّ [1]قال تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾، (يونس: 36).

ومن عقلانيتها أنها أمرت بالنظر و التأمل في المخلوقات المبثوثة في هذا العالم من جهة خلقها لتدل على وجوده، ومن جهة حركتها لتدل على إرادته وقدرته – وهذا هو الاستدلال العلّي أو (السببي)– وصورة هذا الدليل الانتقال من ملاحظة الأثر إلى استنتاج وجود مؤثر، أو من المعلول إلى العلّة[2].

والمتأمل في القرآن العظيم يلحظ انتشارا واسعا لهذه الطريقة من الاستدلال، ذلك لأنها أقرب إلى عقل الإنسان، بل هي مغروسة فيه خلقة، وتشهد بها التجربة اليومية في كل ما حولنا. ومن أمثلة ذلك قول الحق تبارك وتعالى:﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾، (ق، الآيات: 6-11)، ومعنى هذا أن الحقيقة الإلهية حقيقة فاعلة في هذا الوجود، تلتمس صفاتها وخصائصها في آثارها الواقعة

---

1 – وتأمل قوله تعالى في الآيات التالية: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾، (الجاثية، الآية:32)، وقوله:﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾، (الجاثية، الآية 23).

2– عبد المجيد النجار، **الإيمان بالله و أثره في الحياة**، (مرجع سابق)، ص 61.وينظر أيضا: جمال الأشراف، **منهج القرآن في الاستدلال على وجود الله**، (مرجع سابق)، ص102.

في هذا العالم المشهود. وهذا ـ ولاشك ـ أحد مظاهر عقلانية العقيدة الإسلامية في العمق.

7-6- الشمول والتكامل: ومن بين خصائص العقيدة الإسلامية الشمول والعالمية، والأدلة على شمول العقيدة وعالمية الرسالة للبشرية كلها كثيرة نذكر منها قوله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾، (الفرقان، الآية:1). وقوله: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾، (سبأ، الآية 28). وقوله:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾، (الأنبياء، الآية:107). وقوله:﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾، (الأعراف، الآية 157).

ومن هذا ندرك أن خطاب العقيدة الإسلامية ليس محصورا في جنس أو في طائفة، ولكنه خطاب متوجه به إلى البشر جميعا على اختلاف أجناسهم، ولغاتهم، وألوانهم، وأزمانهم، وأوطانهم إلى قيام الساعة بخلاف النبوات السابقة حيث كان الأنبياء يبعثون إلى أقوامهم خاصة، ويدل على ذلك أدلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية. ومن أدلة القرآن قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ** ﴾، (الأعراف، الآية 59). ﴿ **وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ** ﴾، (الأعراف، الآية 65). ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ** ﴾، (الأعراف، الآية 73). ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾، (الزخرف، الآية 46). وقال تعالى: في شأن عيسى عليه السلام: ﴿ **وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾، (الزخرف، الآية 49). وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم** ﴾، (الصف، الآية 6). إلى آيات أخرى.

أما ما جاء في السنة النبوية مما يثبت عالمية رسالته فهو قوله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي مُحَمَّد بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ

بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"[1]. كما ورد عنه ﷺ أنه قال: "إِنَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ."[2]، وجاء في رواية البخاري أن النبي: "كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»."[3]

قال الإمام ابن كثير: والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه رسول إلى الناس كلهم[4].

ولعل ما يتماشى مع هذه العالمية إرساله الرسل إلى ملوك وحكام عصره، من أمثال: نجاشي الحبشة، ومقوقس مصر، وكسرى ملك الفرس، و قيصر ملك الروم، ومنذر بن ساوى حاكم البحرين، وهَوذَه بن علي صاحب اليمامة وغيرهم[5]. وهذا دليل آخر على عالمية رسالته – صلوات ربي وسلامه عليه – وكما أنه ﷺ مرسل إلى الناس جميعا من الإنس، فقد أخبر القرآن أن الله أرسله إلى الجن أيضا، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ** ﴾، (الأنعام، الآية 19). وفي معنى هذه الآية يقول محمد سيد الطنطاوي: "أي وأنذر من بلغه القرآن ممن سيوجد إلى يوم القيامة من سائر الأمم وفي ذلك دلالة على عموم رسالة النبي ﷺ، وعلى أن أحكام القرآن **تعم الثقلين** إلى يوم الدين"[6]. قال تعالى: ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ**

1-رواه مسلم في **صحيحه** عن أبي هريرة – رضي الله عنه- كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس. (مصدر سابق)، ج1، ص134.

2-رواه مسلم في **صحيحه،** عن جابر بن عبد الله الأنصاري، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (المصدر نفسه)، ج1، ص370.

3- رواه البخاري، **في صحيحه،** كتاب التيمم باب التيمم وقول الله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا، (مصدر سابق)، ج 1، ص74.

4-إسماعيل بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تح: محمد شمس الدين، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ، ج 3، ص440.

5- لمزيد من التوسع ينظر: صفي الدين المباركفوري، **الرحيق المختوم،** ط11. القاهرة: دار الوفاء 2010م، ص 304-313.

6- محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم،** (مصدر سابق)، ج5، ص395.

اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾، (الجن، الآيتان 1-2).

وما يدل في السنة على أن محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء، وآخر رسول تنزل عليه الرسالة من الله تعالى. قوله ﷺ، بلغة واضحة لا غموض فيها، جاء في موطأ الإمام مالك: "لَنْ يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ فَقَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ"[1]. ويصور الرسول ﷺ، هذا المعنى تصويرا بليغا يقول فيه: " إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ "[2].

ومن وجوه الشمول والتكامل في العقيدة الإسلامية أنها نبهت إلى ضرورة العناية بجميع مدارك الإنسان، ودعت إلى الانتفاع بها في تحصيل المعارف وحذرت من إهمالها قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾، (النجم، الآية:28). وقال في آية أخرى: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾، (الأعراف، الآية:179).

كما حذرت بالاكتفاء بمدرك واحد للمعرفة والاستغناء به، لأن هذا يؤدي حتما إلى إنكار مُدرَكاتها وبالتالي يتخلف الحصول على جزء من الحقيقة، وتكون المعرفة منقوصة؛ أمّا النظرة التوحيدية فهي نظرة متكاملة يجتمع فيها المحسوس والمعقول

1- رواه الإمام مالك في **موطئه،** كتاب الرؤيا باب ما جاء في الرؤيا، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1.بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1985م، ج2، ص957.

2- البخارى. **في صحيحه، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين،** (مصدر سابق)، ج4، ص 186؛ مسلم، **في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين،** (مصدر سابق)، ج4، ص791.

باعتبار الكل آيات الحقيقة المطلقة. وفي هذا المعنى يقول الندوي "وقد نوّع القرآن وسائل العلم ومصادر الدراسة والتأمل، ودعا إلى التفكر في الأنفس والآفاق، وفي ماضي الأمم والمجتمعات والتوصل بكل ذلك إلى نتائج ذات قيمة عميقة الأثر بعيدة المدى في المصير الإنساني"[1].

ولا شك أن هذه الرؤية التكاملية تنزع فتيل الصراع المفتعل بين الدين والعلم، والعقل والنقل، والظاهر والباطن، والوسائل والغايات، بل تصهر الجميع في بوتقة واحدة متآلفة تدرك بها الحقيقة في مستوياتها المختلفة[2].

ومن وجوه الشمول التكامل في العقيدة أيضا الجمع بين الدنيا والآخرة، فالدنيا للامتحان والآخرة للجزاء، بخلاف الرهبنة المسيحية والتصوف الأعجمي الذين اهتما بالآخرة فقط، وأغفلا الدنيا، وهناك بعض المذاهب الفلسفية المعاصرة اهتمت بالدنيا فقط على حساب الآخرة وصدق الله حين قال: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾، (الروم، الآية: 7).

ومن مظاهر شمول وتكامل العقيدة الجمع بين العلم والعمل، ويعتبر أبو الحسن الندوي هذا البعد أثرا من آثار النبوة يقول "ثم إن النبوات- وعلى رأسها وفي خاتمتها النبوة المحمدية- تربط العلم دائما بالعمل، والقول بالتطبيق، والإيمان والاقتناع بالحقائق، وبالسلوك الفردي والجماعي، يقول القرآن: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ (الصف، الآيتان: 2-3)، ذاما الشعراء والحكماء ناعيا عليهم: ﴿ **وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ** ﴾، (الشعراء، الآية:226)، ويقول في وصف العلماء الراسخين: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾، (فاطر الآية: 28)، وقد ضرب الله مثلا للذين يعلمون والذين

1- ينظر: الندوي: **دور الإسلام الإصلاحي الجذري في مجال العلوم الإنسانية**. ط1.القاهرة: دار الصحوة، 1408هـ. ص50.

2-جمال الأشراف، **أبو الحسن علي الحسني النّدْوي وبناء علم الكلام الجديد**، (مرجع سابق)، ص103.

لا يعلمون، بالحمار الذي يحمل وقرا من الكتب والأسفار على ظهره ولا ينتفع به، فقال: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ** ﴾، (الجمعة الآية: 5). وتلك غاية في الذم والاحتقار، والتنكيت والتقريع".[1]

ولعل أحد أزمات الحضارة الغربية المعاصرة هذا الانفصام النكد بين العلم والعمل، والفكر والسلوك، والتناقض الصارخ بين السمو العقلي، والتدني الخلقي.

7-7- **الإيجابية:** الإيمانبالله والإخلاص في توحيده يعين على بناء الشخصية المعتدلة التي تحددت وجهتها في الحياة، وتوحدت غايتها، وتميز طريقها، فليس لها إلا إله واحد تتجه إليه في المنشط والمكره، وتدعوه في السراء والضراء، وتعمل على مرضاته في القط والقطمير.

بخلاف المشرك، فهو موزع الأهواء، مشتت الفكر، متشعب الهموم، لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك. ومن هنا قال سيدنا يوسف -عليه السلام- ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾، (يوسف، الآية:39). وقال تعالى:﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾، (الزمر، الآية:29). مثَّل الله المشرك الذي يعبد آلهة متعددة، كمثل عبد مملوك لجماعة متشاكسين متنازعين لسوء أخلاقهم وطباعهم، وهذا العبد موزع وممزق بينهم، لأنَّ أحدهم يطلب منه شيئا معينا، والثاني يطلب منه شيئا يباين ما طلبه الأول، والثالث يطلب منه ما يتناقض مع ما طلبه الأول والثاني...وهو حائر بينهم جميعا، لا يدرى أيطيع ما أمره به الأول أم الثاني أم الثالث...؟ لأنه لا يملك أن يطيع أهواءهم المتنازعة التي تمزق أفكاره وقواه.هذا هو مثل المشرك في حيرته وضلاله وانتكاس حاله.أما مثل المؤمن فهو

1- الندوي، **دور الإسلام الإصلاحي الجذري في مجال العلوم الإنسانية**. (المصدر السابق)، ص41. وينظر أيضا: جمال الأشراف، **أبو الحسن علي الحسني النّدْوي وبناء علم الكلام الجديد**، (مرجع سابق)، ص104.

كمثل عبد مملوك لسيد واحد، وخالص لفرد واحد، وليس لغيره من سبيل إليه، فهو يخدم سيده بإخلاص وطاعة، لأنه يعرف ماله وما عليه، وفي راحة تامة من الحيرة والمتاعب التي انغمس فيها ذلك العبد الذي يملكه الشركاء المتشاكسون. فالمقصود بهذين المثلين بيان ما عليه العبد المشرك من ضلال وتحير وتمزق، وما عليه العبد المؤمن من هداية واستقرار واطمئنان[1].

والإيمان بالله والإخلاص في توحيده، يمنح صاحبه إيجابية قوية في دنيا الناس وفي واقع الحياة المعيش، وبخاصة لما يرسخ الرجاء في الله في ضميره، وتستقر الثقة والتوكل في سويداء نفسه، ويكون الإيمان بقضاء الله وقدره شعاره، واليأس والاستغناء عن الخلق دثاره، فيصير الإنسان عندئذ راسخا كالطود، شامخا كالأسد لا تزعزعه الرياح، ولا تنال منه الخطوب، كلما ألمت به مصيبة، ، ألتجئ إلى الله، ولم يلتجئ إلى أحد سواه، إياه يستند، ومنه يستمدُّ، متحررا من جميع الأغيار الكونية والشيئية، مرددا كلمة أحد الصالحين من عباد الله:" أيست من نفع نفسي لنفسي، فكيف لا أيأس من نفع غيري لها؟ ورجوت الله لغيري، فكيف لا أرجوه لنفسي؟"، واضعا نصب عينيه ما قاله الرسول الخاتم ﷺ، لابن عباس رضي الله عنه: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"[2]، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾، (يونس، الآية:107).

1-محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (مصدر سابق)، ج12، ص219.

2-أبو عيسى الترمذي، **السنن**، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، تح: أحمد محمد شاكر بالاشتراك، ط1. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م، ج4، ص567، وقال حديث حسن صحيح.

ولا شيء بعطل إيجابية الإنسان، ويحول دون تفجير طاقاته الكامنة فيه، مثل الشرك بالله، والإلحاد في أسمائه تعالى، ذلك لأنه يعلم الفرد التواكل، والاتكال على الشفعاء في النفع والضر، وقضاء الحاجات، وإدراك المغيبات، قال تعالى: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾، (يونس الآية:18).

بهذه الخصائص التي تفردت بها العقيدة الإسلامية، يكون الإسلام بعقيدته أكمل الأديان، ، وأفضل المناهج التي شكلت وعي الإنسان، وحددت صلات الله تعالى بالكون والإنسان والحياة، فلا غرو أن تكون هذه العقيدة بمثابة ميلاد جديد للإنسان، بدونها لا يكون الإنسان في أكمل صورة، فعلى من ينشد هاته العقيدة أن يطلبها من الإسلام، وأن يتبعه لأنه صراط الله المستقيم، قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾، (الأنعام، الآية:153).

الباب الثاني
أصول العقيدة

□

الفصل الأول
الإيمان بالله

تمهيد:

الإيمان بالله هو الأصل الأول من أصول الإيمان، وهو جوهر الدين، ولب العقيدة، وقطب رحاها الذي تدور عليه سائر الأركان الاعتقادية الأخرى، فهو المنبع الذي تنبثق منه وتبنى سائر الاعتقادات، ومعنى الإيمان بالله هو الاعتقاد الجازم بأن الله موجود، وأنه رب كل شيء، وأنه مالك الكون ومدبره، وأنه الذي يستحق وحده أن يفرد بالعبادة، والإيمان بالله تعالى يتضمن هاته القضايا الأربعة، وهي التي تحقق معنى الإيمان بالله عز وجلَّ. ولذلك كان من الضروري أن تنال حظَّها من البيان بالأدلة العقلية والكونية حتى يكون الإقناع بها قائما على مسالك الحجة. وقد طلب الله تعالى الإيمان به في غير ما آية، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾، (النساء، الآية 136).

1- أدلة الإيمان بالله تعالى:

اجتهد الكثير من العلماء قديما وحديثا في استنباط الكثير من الأدلة للتدليل على قضية الوجود الإلهي وسنقتصر على بعضها بحسب الأهمية، ويمكن حصر هاته الأدلة في أنواع أربعة وهي: الكونية، والأنفسية، والعقلية، ودليل القرآن ذاته.

1-1- الأدلة الكونية على وجود الله تعالى:

ونعني بها الأدلة التي يقع الانطلاق فيها من تأمل الكون والتفكر فيه، ويمكن

أن يكون هذا التأمل من عدة وجوه، ومن كل وجه يمكن أن نستنبط دليلا على وجوده سبحانه، حيث ننظر في هذا الكون مثلا من جهة كونه مخلوقا، أو ننظر فيه من جهة ما فيه من نظام واتساق، لنستدل على وجود خالقه ومدبره، ولقد أرشد القرآن الكريم إلى هذا الدليل بقوله: ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾، (يونس، الآية: 101)، ولقد سمى القرآن هذا الدليل بدليل الآفاق كما في قوله تعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾، (فصّلت، الآية:53)، ولعل أول من حرر هذا الدليل تحريرا منطقيا [1]هو ابن رشد الحفيد في كتابه:" الكشف عن مناهج الأدلة غي عقائد الملة "، وفي هذا المعنى يقول:" فالطريقة التي نبَّه عليها الكتاب العزيز واعتمدتها الصحابة رضوان الله عليهم تنحصر في جنسين:

أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجلها، ولنسم هذه: دليل العناية.

الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات مثل اختراع الحياة في الجماد، والإدراكات الحسية، والعقل، ولنسم هذه دلالة الاختراع.

فأما الطريقة الأولى فتنبني على أصلين: أحدهما أن جميع الموجودات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان، والأصل الثاني أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد، لذلك مريد، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق. فأما كونها موافقة لوجود الإنسان فيحصل اليقين باعتبار موافقة الليل والنهار، والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذلك موافقة الأزمنة الأربعة له، والمكان الذي هو فيه أيضا، وهو الأرض. وكذلك تظهر أيضا موافقة كثير من الحيوان له والنبات والجماد وجزئيات كثيرة، مثل الأمطار والأنهار والبحار، وبالجملة الأرض والماء والنار والهواء، وكذلك أيضا تظهر العناية في أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان، أعني كونها

1-أعني أنه صاغها على شكل قياس منطقي، وإلا فالغزالي قد أشار إليه في كتابه عجائب مخلوقات الله فلينظر.

موافقة لحياته ووجوده، وبالجملة فمعرفة ذلك، أعني منافع الموجودات داخلة في هذا الجنس. ولذلك وجب على من أراد أن يعرف الله تعالى المعرفة التامة أن يفحص عن منافع الموجودات.

وأما دلالة الاختراع فيدخل فيها وجود الحيوان كله ووجود النبات ووجود السماوات وهذه الطريقة تنبني على أصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس:

أحدهما أن هذه الموجودات مخترعة، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات، كما قال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** ﴾، (الحج، الآية: 73)، فإنا نرى أجساما جمادية، ثم تحدث فيها الحياة فنعلم قطعا أن هٰهنا موجدا للحياة ومنعما لها، وهو الله تبارك وتعالى. وأما السماوات فنعلم من قبل حركاتها التي لا تفتر، أنها مأمورة بالعناية بما هٰهنا، ومسخرة لنا، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة.

وأما الأصل الثاني فلكل مخترَع مخترِع. فيصح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلا مخترعا له، وفي هذا الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات، ولذلك كان واجبا على من أراد معرفة الله حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات لأن من لا يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع. وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ** ﴾، (الأعراف، الآية: 185).

وكذلك أيضا من تتبع معنى الحكمة في موجود موجود، أعني معرفة السبب الذي من أجله خلق، والغاية المقصودة به، كان وقوفه على دليل العناية أتم.

فهذان الدليلان هما دليلا الشرع، وأما أن الآيات المنبهة على الأدلة المفضية إلى وجود الصانع سبحانه في الكتاب العزيز منحصرة في هذين الجنسين من الأدلة،

فذلك بيّن لمن تأمل الآيات الواردة في الكتاب العزيز في هذا المعنى[1].

1-1-1- الخلق والاختراع:

ويسمى دليل الإبداع أيضا، وقد وردت مادة (الخلق) في القرآن الكريم (336) مرة، تحدث فيها القرآن عن خلق السماوات، والأرض، والليل، والنهار، والشمس، والقمر، والإنسان، وغير ذلك.ودليل الخلق يعتمد على مقدمتين:

المقدمة الأولى: إن هذه الموجودات مخلوقة، فإن ذواتنا نحن لم تكن موجودة، ثم وجدت، ولكل منَّا وقت معلوم وجد فيه لم يكن قبله مذكورا، فهو – إذن – مخلوق بعد عدم، وهو موجود سيعدم، وهذا من الأمور البدهية التي لا ينازع فيها عاقل من العقلاء، ولو أدعى مبطل أنه ذو حياة أبدية أو أنه خلق نفسه، أو أنه هو الذي خلق العالم من حوله، لأيقن الناس جميعا كذبه، ولا يختلف عن هذا عالم الحيوان، وعالم النبات، وعناصر الكون مهما اختلف العلماء في تقدير أعمارها، فهم متفقون على أنها لم تكن موجودة، ثم وجدت.

والقانون الثاني للديناميكية الحرارية (قانون الطاقة المتاحة)، أو (ضابط التغير) يثبت أن للكون بداية، فهو إذن مخلوق. كما أن فناء الأشياء –كما نراه– يدل على أنها مخلوقة، إذ الأزلي لا يفنى، ويقاس عليها مثيلاتها من الممكنات الموجودة فهي قابلة للفناء أيضا، فهي مخلوقة. يقول "جون كليفلاند كوثران"[2]: "تدلنا الكيمياء على أن بعض المواد في سبيل الزوال أو الفناء، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة، والآخر بسرعة ضئيلة، وعلى ذلك فإن المادة ليست أبدية، ومعنى ذلك أيضا أنها ليست أزلية، إذ أن لها بداية، وتدلنا الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية، بل وجدت بصورة فجائية، وتستطيع العلوم

1– أبو الوليد بن رشد، **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، (مرجع سابق)، ص 150-153.

2–جون كليفلاند كوثران من علماء الكيمياء والرياضة دكتوراه من جامعة كورنل – رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولث – أخصائي في تحضير النترازول وفي تنقية التنجستين.

أن تحدد لنا الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد، وعلى ذلك فإن هذا العالم المادي لا بد أن يكون مخلوقا، وهو منذ أن خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة، ليس لعنصر المصادفة بينها مكان"[1].

ولما كانت ظاهرة الخلق من الظواهر المشاهدة والمتكررة في دنيا الناس، قال ابن رشد الفيلسوف أنها أقرب الأدلة إلى مدارك الجمهور، لأن معرفة الجمهور تقتصر على ما هو مدرك من المعرفة الأولى المبنية على عالم الحس[2]، لذلك وجه القرآن الأنظار إليها، في غير ما آية من الذكر الحكيم، حتى أربت عن أكثر من (336) آية، ولذا كان من المناسب أن تكون أول صفة عرفنا الحقُّ عليها من صفاته، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ** ﴾، (العلق، الآيتان: 1 -2). ﴿ **أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا** ﴾، (مريم، الآية: 67). ﴿ **فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ** ﴾، (الطارق، الآية: 5 -6). ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾، (الغاشية، الآية: 20-17). ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** ﴾، (الحج، الآية: 73)، وقوله: ﴿ **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾، (الأنعام، الآية: 79). إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى.

والمقدمة الثانيـة: إن هذا الكون بما فيه مخلوق ومخترَع، وكل مخلوق لابد له من خالق، وكل مخترَع لابد له من مخترِع، فالكون بما فيه لابد له من خالق ومخترِع. هذه قضية بديهية، لا تحتاج إلى دليل أو برهان، وهي مركوزة بالقوة في جميع فطر الناس

1-نخبة من العلماء، **الله يتجلى في عصر العلم**، تر: الدمرداش عبد المجيد سرحان، ط1.بيروت: دار القلم (دنت)، ص31.

2-ابن رشد، **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، (مرجع سابق)، ص153-154.

كما أشار ابن رشد نفسه[1].

ومما يدل على وضوح الفكرة وبداهتها إنه إذا وقعت حادثة لم يدر فاعلها قيل: إن الفاعل مجهول، ولم يقل أحد قط: إنه ليس لها فاعل، وبمقتضى هذا المبدأ الفطرى يربط العقل بين المعلولات والعلل، وبين الأسباب ومسبِّباتها، وما من حدث يجري في المشاهد المرئية إلا وهو محكوم بقانون السببيّة هذا، فالعقل لا يقبل الصدفة والاتفاق، وإنما يفسر الظواهر التي تحدث من حوله بالعليّة وقوانينها، فإذا غفل العقل عن هذا الربط جاءت إليه أدلة القرآن لتذكره بهذه الصلة، ولتبين له أن المخلوقات لا تخلق نفسها، بل إنها محتاجة – في وجودها – إلى خالق، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا بطريقة مباشرة في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ** ﴾، (الطور، الآية:-35-36)، فالآية الكريمة تحمل في ظاهرها استفهاما إنكاريا عن ثلاثة أمور كلها باطلة:

استحالة خروج أي مخلوق من العدم من غير أي قوة خالقة، وباستحالة أن يخلق ذاته، أو أن يخلق أي شيء على الإطلاق في السماوات أو الأرض، وإذا ثبت بطلان هاته الأمور الثلاثة، فلم يبق إلا الإذعان لقانون السببية، والذي مفاده أن لكل مخلوق خالق هذا القانون الذي يبلغ من البداهة حدا لا ينكره إلا أخرق- قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾، (الأعراف، الآية 54). ومن ثم فإن الخلق فعل من أفعال الله تعالى، لا يصح نسبته إلى أحد سواه. على أن هذا الدليل لن يكتمل إلا بملاحظة شيئين:

أولهما: إن سلسلة العلل متناهية والدليل على ذلك أن العقل محدود، ولا يمكن

1- المرجع السابق، ص151.

أن يحكم على غير المحدود، ويقدم لنا الأستاذ "علي الطنطاوي" مثالا بسيطا على ذلك فيقول: تصور خلود المؤمنين في الجنة! إن عقل المؤمن موقن بأنه حقيقة وقد جاءه هذا اليقين من الخبر الصادق. ولكن انظر هل يحيط عقلك بالخلود؟ ركز فكرك فيه، تجد أنك تتصور بقاءهم في الجنة قرنا وقرنين، ومئة قرن، ومليون وألف مليون، ثم تجد عقلك يقف عاجزا، ويسألك وبعد؟ إنه يريد أن يضع لذلك نهاية. لأنه لا يدرك اللا نهاية[1]؛ والقول بأن كل سبب وراءه سبب إلى مالا نهاية، يعد من الأمور التي تصادم مسلمات العقل وقوانينه، حيث يعترف العقل نفسه بأن تسلسل الأسباب إلى مالا نهاية له معلوم الفساد بالضرورة[2]، ذلك لأن العقل لا يستطيع أن يدرك شيئا، حتى يحصره فما لم ينحصر، لم يدركه العقل البتة. ومن ثم يسلم العقل بأن الموجودات لابد لها من موجد، والانتهاء من هذا إلى إثبات علّة قصوى، أو سبب أول ليس له من مسبب، بل سببه من ذاته، وهو الله، أو واجب الوجود بذاته، أو علّة أولى، كما يقول الفلاسفة والمتكلمون[3].

أما الأمر الثاني الذي يكتمل به الدليل، فهو ضرورة التفرقة بين الخالق والمخلوق في حقيقة الوجود، وما يتصف به كل منهما من صفات. فإذا كان المخلوق يحتاج إلى خالق، فالخالق الذي يمنح الأشياء وجودها، يتنزه عن الاحتياج والنقص والفقر إلى سواه، فهو الغنى عن العالمين، وهو مستغن في وجوده وعلمه وقدرته وكماله عن كل ما سواه. وهو القيوم المهيمن ذو الجلال والإكرام، وليس محتاجا إلى سبب سابق عليه لأنه ﴿ **هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾، (الحديد، الآية: 3).

1- علي الطنطاوي، **تعريف عام بدين الإسلام**، ط11. بيروت: مؤسسة الرسالة 1981م، ص54.

2- انظر: عبد الحميد مدكور، **دراسات في العقيدة الإسلامية**، (مرجع سابق)، ص136؛ ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، تح: محمد رشاد سالم، ط1. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية 1991م، ج9، ص 242.

3-ينظر: عرفان عبد الفتاح، **دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية**، ط1. بغداد: مطبعة الإرشاد 1967م، ص 174.

وليس من الصعب على العقل أن يدرك هذا ويذعن له؛ لأن من بدهيات العقل أن يفرق بين المؤثر والأثر، وبين الصانع والصنعة، ومن ثم لا يستوى المخلوق وخالقه. وهذا بعض ما يدل عليه قوله تعالى في التفرقة بين الإله الحق والآلهة المفتراة ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾، (النحل، الآية: 17)، وقوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾، (الشورى، الآية: 11).

1-1-2-مظاهر النظام:

عندما ينظر المرء في هذا الكون يرى الحكمة والنظام الدقيق يحكمه، ويبدو هذا النظام في جميع أجزائه سواء في مستوى التكوين والتركيب، أو في مستوى التوازن بين الموجودات، أو في مستوى الحركة، وفيما يلي طرف من تجليّات، ومظاهر هذا النظام:

أولا – النظام في مستوى التكوين: يشير مصطلح المادة إلى أي شيء له حيز في الفضاء وله كتلة، بعبارة أخرى، "الأشياء" التي يتكون منها الكون، وتتكون كل المواد من أجزاء تسمى العناصر، والتي لها خصائص كيميائية وفيزيائية محددة ولا يمكن تقسيمها إلى مواد أخرى من خلال التفاعلات الكيميائية العادية.الذهب، على سبيل المثال، هو عنصر، وكذلك الكربون وهناك 118 عنصرًا في الكون، منهم 92 عنصرًا طبيعيًّا، أما العناصر المتبقية فقد تم تصنيعها في المختبرات، وهي غير مستقرة[1].

فكل مركب أو جزيء أو عنصر تصادفه سوف يتكون من ذرات، على سبيل المثال، يتكون البشر من الذرات، ويتكون الهواء من الذرات، وجهاز الكمبيوتر الخاص بك مصنوع من الذرات، فكل شيء مصنوع من الذرات. وأن هذه الذرات تتكون من شحنات كهربائية موجبة وأخرى سالبة، فالوحدة الأساسية لتركيب الكون هي هذه الشحنات الكهربائية، وهي توجد على قدر كبير من الانتظام.

1-https://www.almsal.com/post/1010332

هذا النظام التركيبي العجيب والوحدة التكوينية تسري على هذا الكون من الذرة إلى المجرة، فكل الأجسام سواء الجامدة والحيّة تؤول في نهاية الأمر إلى الذرة، والذرات يقول العلماء متشابهة، ولا تختلف عن بعضها إلا في عدد الشحنات الكهربية (الإلكترونات) التي تدور في مدارتها الخارجية، بمعنى آخر أن هذا العالم محكوم بنظام واحد في تكوينه، وفي هذا أعظم دلالة على أنه صادر من قبل واحد، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾، (المؤمنون، الآية:91).

ثانيا-النظام في مستوى التوازن: هو عبارة عن التناسق الموجود بين أجزاء العالَم والتوازن الحاصل بين الموجودات بشكل يتحقّق منه الغرض والغاية من وجودها على أكمل وجه. فالنسب الموجودة في عناصر الكون، والعلاقات الدقيقة بين كواكبه وأفلاكه، من حيث الحجم والأبعاد، إنما يدل على يسمى "بالتوازن الكوني"، وقد انتهى العلم مؤخرا إلى اكتشاف العجائب في هذا السبيل مما يتأكد معه أن القول بالخلق ونسبة ذلك إلى الله تعالى، لا يدل دلالة دقيقة على الواقع فحسب، بل الأولى أن يقال: إن الحق سبحانه وتعالى وهو المعتني بما خلقه.

سرِّح طرفك إن شئت في "سعي العناصر لإمداد الأحياء، وبخاصة مدّ السحاب للنباتات، ومساعدة النباتات بدورها للحيوانات، ومعاونة الحيوانات للإنسان، واللبن السائغ في الأثداء والمتدفق لإطعام الصغار، وتسليم حاجات الأحياء وأرزاقها الكثيرة جدا والخارجة عن طاقتها وطوقها إلى أيديها من حيث لا تحتسب، وجري الذرات الغذائية لبناء خلايا البدن.. وما شابهها من الأمثلة الغزيرة لحقيقة التعاون الجارية بالتسخير الرباني وبالاستخدام الرحماني، تُظهِر بجلاء ربوبيةَ رب العالمين العامة المحيطة ورحيميته الواسعة الشاملة والذي يدير الكون الواسع برمته بسهولة إدارة قصر بسيط. نعم، إن إظهار الأشياء المتعاونة -وهي جامدة وبلا

شعور ولا شفقة- أوضاعا تنم عن الشفقة وتتسم بالشعور فيما بينها دليل وأيّ دليل على أنها تُدفَع دفعا للإمداد والمعاونة فتجري بقوةِ رب ذي جلال، وبرحمةِ رحيم مطلقِ الرحمة، وبأمرِ حكيم مطلق الحكمة. وهكذا فإن «التعاون» العام الجاري في الكون و«الموازنةَ» العامة السارية بكمال الانتظام، و«المحافظةَ» الشاملة، ابتداءً من المجرات والسيارات إلى أجهزة الكائن الحي وأعضائه الدقيقة بل إلى ذرات جسمه، و«التزيين» الجاري قلمُه من وجه السماوات المتلألئ إلى وجه الأرض البهيج، بل إلى وجه الأزهار الجميلة، و«التنظيمَ» الحاكم ابتداءً من درب التبانة إلى المنظومة الشمسية وإلى ثمار الذُرة والرمان وأمثالهما، و«التوظيف» القائم ابتداءً من الشمس والقمر والعناصر والسحب إلى النحل والنمل.. وأمثالَها من الحقائق العظيمة جدا، والشاهدة شهادة عظمى على وجوده سبحانه ووحدانيته"[1].

ومن ينعم النظر في تركيب جسم الإنسان وما يتجلَّى فيه من مظاهر التوازن في وضع الأعضاء في مواضعها منه، وإعدادها لما أعدت له، يعلم أن هذا الجسم لم يوجد بطريق المصادفة، وإنما من صنع عليم بخلقه، مريد بفعله، وفي هذا المعنى يقول ابن قيم الجوزية: "انظر الحكمة البالغة في تركيب العظام قواما للبدن، وعمادا له وكيف قدرها ربه وخالقها بتقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنها الصغير والكبير والطويل والقصير والمنحنى والمستدير والدقيق والعريض والمصمت والمجوف، وكيف ركب بعضها في بعض فمنها ما تركيبه تركيب الذكر في الأنثى ومنها ما تركيبه تركيب اتصال فقط، وكيف اختلفت أشكالها باختلاف منافعها كالأضراس فإنها لما كانت آلة للطحن جعلت عريضة، ولما كانت الأسنان آلة للقطع جعلت مستدقة محددة، ولما كان الإنسان محتاجا إلى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه للتردد في حاجته لم يجعل عظامه عظما واحدا، بل عظاما متعددة وجعل بينها مفاصل

1-بديع الزمان سعيد النورسي، **الآية الكبرى - مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه** - تر: إحسان قاسم الصالحي، ط1. بغداد: مطبعة العاني 1983م، ص97.

حتى تتيسر بها الحركة، وكان قدر كل واحد منها، وشكله على حسب الحركة المطلوبة منه وكيف شدَّ أسر تلك المفاصل والأعضاء وربط بعضها ببعض، بأوتار ورباطات أنبتها من أحد طرفي العظم وألصق أحد طرفي العظم بالطرف الآخر كالرباط له، ثم جعل في أحد طرفي العظم زوائد خارجة عنه، وفي الآخر نقرا غائصة فيه موافقة لشكل تلك الزوائد، ليدخل فيها وينطبق عليها، فإذا أراد العبد أن يحرك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر ذلك عليه وتأمل كيفية خلق الرأس وكثرة ما فيه من العظام حتى قيل إنها خمسة وخمسون عظما مختلفة الأشكال والمقادير والمنافع وكيف ركبه سبحانه وتعالى على البدن، وجعله عاليا علو الراكب على مركوبه، ولما كان عاليا على البدن جعل فيه الحواس الخمس وآلات الإدراك كلها من السمع والبصر والشم والذوق واللمس، وجعل حاسة البصر في مقدمه ليكون كالطليعة والحرس والكاشف للبدن، وركب كل عين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص ومقدار مخصوص ومنفعة مخصوصة لو فقدت طبقة من تلك الطبقات السبع أو زالت عن هيئتها وموضعها لتعطلت العين عن الإبصار، ثم أركز سبحانه داخل تلك الطبقات السبع خلقا عجيبا، وهو إنسان العين بقدر العدسة يبصر به ما بين المشرق والمغرب والأرض والسماء، وجعله من العين بمنزلة القلب من الأعضاء فهو ملكها وتلك الطبقات والأجفان والأهداب خدم له وحجاب وحراس، فتبارك الله أحسن الخالقين، فانظر كيف حسن شكل العينين وهيئتها ومقدارهما ثم جملهما بالأجفان غطاء لهما وسترا وحفظا وزينة فهما يتلقيان عن العين الأذى والقذى والغبار، والحرارة والبرودة، ثم غرس في أطراف تلك الأجفان الأهداب جمالا وزينة ولمنافع آخر وراء الجمال والزينة"[1].

كذلك يمكن أن نلحظ هذا التوزان الدقيق، والتكامل العجيب في التناسق في

1-ابن قيم الجوزية، **مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ط1.بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م، ج1، ص189.

صور الطيور الملونة ذات التخطيط الجميل والوشيي البديع، وفي هذا يقول ابن قيم الجوزية: "ثم تأمل هذه الألوان والأصباغ، والوشى التي تراها في كثير من الطير كالطاووس، والدراج وغيرهما التي لو خطت بدقيق الأقلام ووشيت بالأيدي لم يكن هذا فمن أين في الطبيعة المجردة هذا التشكيل والتخطيط والتلوين والصبغ العجيب البسيط والمركب الذي لو اجتمعت الخليقة على أن يحاكوه لتعذر عليهم، فتأمل ريش الطاووس كيف هو فإنك تراه كنسج الثوب الرفيع من خيوط رفاع جدا قد ألف بعضها إلى بعض كتأليف الخيط إلى الخيط، بل الشعرة إلى الشعرة ثم ترى النسج إذا مددته ينفتح قليلا قليلا، ولا ينشق ليتداخله الهواء فينقل الطائر.. فأي طبيعة فيها هذه الحكمة والخبرة واللطف؟ ثم لو كان ذلك في الطبيعة، كما يقولون لكانت من أدل الدلائل وأعظم البراهين على قدرة مبدعها ومنشئها، وعلمه وحكمته فإنه لم يكن ذلك لها من نفسها، بل إنما هو لها ممن خلقها وأبدعها "[1].

ثالثا-النظام في مستوى الحركة: كل شيء في الكون يضج بالحركة وبالإيقاع الإلهي، فأصغر وحدة كونية وهي الذرة تتحرك الإلكترونات داخلها حول النواة بحركة سريعة جدا، يقدرها العلماء بثلاثة كاتر بليون مرة في كل ثانية[2]، ويطرِّد هذا القانون على المجرة التي هي أكبر الموجودات إذ تتحرك الكواكب فيها كل بحركة خاصة به، وتتحرك هي كلها بحركة عامة تشمل جميع كواكبها، يقول العالم الأمريكي (داش) أستاذ الفيزياء والفلك بجامعة واشنطن: "إن أجهزة الرصد الراديو تلسكوبية قد غيّرت المعارف البشرية، إذ تبيّن للعلماء أن هناك أجراما سماوية من نوع المجرَّة تتحرك في اتجاه نقطة ما بسرعة تفوق سرعة الضوء، وأن منها

1-المرجع السابق، ج1، ص245-246.

2-مجموعة من المستشرقين، **الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب**، ترجمة: نورالدين آل علي ط1.قم: دار الذخائر للمطبوعات 1988م، ص 384-385.

ما يفوق سرعته سرعة الضوء بخمسة وتسعين مرة ".[1]

ومع هذه السرعات الفائقة، فإن هاته المجرات لا تتصادم. لدقة الحساب التي تتحرك به، والمسارات المحددة التي تسير فيها، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾، (يس، الآيات:38-40).

ثم لو تأملنا هذا الفلك الدوار بشمسه وقمره ونجومه، وبروجه وكيف يدور على هذا العالم هذا الدوران الدائم إلى آخر الأجل على هذا الترتيب والنظام، وما في طيِّ ذلك من اختلاف الليل والنهار، والفصول والحر والبرد، وما في ضمن ذلك من مصالح ما على الأرض من أصناف الحيوان، والنبات وهل يخفى على ذي بصيرة أن هذا إبداع المبدع الحكيم، وتقدير العزيز العليم"[2].

2-1 – الأدلة الأنفسية على وجود الله:

كما وجه الله إلى النظر في الآفاق كما بينا سابقا، فإنه وجه أيضا إلى النظر إلى النفس الإنسانية وما تنطوي عليه من أحاسيس ومشاعر تدل على وجوده سبحانه وتعالى، بل إن دلالتها أبلغ باعتبار أن الإنسان أرقى الكائنات، قال تعالى: ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾، (الذاريات، الآية:21)، ولذا قال الحكماء: "من عرف نفسه، فقد عرف ربه"[3]، ولذا حاول العرفاء استكناه مكنونات أنفسهم، وسبر أغوارها للوصول إلى هاته المعرفة الحقَّة.

1-مجموعة من المستشرقين، **الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب**، (المرجع نفسه)، 1988م، ص 391.

2- ابن قيم الجوزية، **مفتاح السعادة ومنشور العلم والإرادة**، (مرجع سابق)، ج1، ص212.

3-قال الإمام جلال الدين السيوطي: "هذا الحديث ليس بصحيح، وقد سئل عنه النووي في فتاويه فقال: إنه ليس بثابت، وقال ابن تيمية: موضوع، وقال الزركشي في الأحاديث المشتهرة: ذكر ابن السمعاني: إنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي". ينظر: **القول الأشبه في حديث من عرف نقسه عرف ربه**، ضمن كتاب **الحاوي للفتاوي**، ط1. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر 2004م، ج2، ص288.

1-2-1-دليل الافتقار والاضطرار: إن الناس جميعا، المؤمن منهم والكافر، إذا ألمت به ملمة أو أظلمت عليه السبيل، أو انتابته حالة من حالات القلق والحيرة، أو المرض أو الغرق رجع إلى صوت الفطرة، وتضرع بالدعاء إلى قوة لا يراها ولكنه يشعر بها بروحه وقلبه. يقع هذا لكثير من المرضى عند اشتداد الألم، وعجز الطبيب. كلهم يعودون إلى ربهم، ويقبلون عليه. وصدق الله حيث يقول: ﴿ **قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾، (الأنعام، الآية:63). ومن منا لم يمر بمثل هذه الأوقات؟ ولعلنا نتذكر جميعا أيام انتشار "الكوفيد19"، كيف كان الناس يقبلون على الدين، ويلجؤون إلى الله. وكيف فتحت الكثير من المساجد في أوربا ولم يكتفوا بذلك، بل دعوا المسلمين الإكثار من الدعاء واللجأ إلى الله، لكن كم يبطر هذا الإنسان الجهول؟ وكم يطغى هذا الظلوم حتى يقول، كما قال قارون: إنما أوتيته على علم عندي. وصدق الله حينما يقول: ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا** ﴾، (الإسراء، الآية:67). فهل سأل الإنسان نفسه، ما السبب في هذا وأمثاله؟ لماذا نجد كل من وقع في شدة يرجع إلى الله؟ لماذا؟ لأن الإيمان فطرة بشرية، وأصدق تعريف للإنسان أنه كائن أخلاقي، لكن هذه الفطرة، قد تحجبها العلائق والعوائق، والمطالب الحيوية المادية، فإذا اعترتها الخطوب، وانتابتها المصائب، ونزلت بساحتها المحن، واشتدت عليها الأخطار، وأحاط بها الهلاك، عندئذ تصفو نفس الإنسان، ويمتلئ شعوره بفكرة الله، لأنه شاعر بالنقص، كما لم يشعر به قبل، ولأنه في حالة من الاضطرار والافتقار، كما لم يحس بها من قبل، فإذا جدَّ الجد، وكانت ساعة الخطر، رجع إلى الله وحده، ونبذ هذه المعبودات التي كانت تعبد من دون الله، وفي تصوير معجز لحال هذا الإنسان المضطرب يذكر القرآن المجيد: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن**

كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾، (يونس، الآيتان:22-23)؛ وفي آية أخرى: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ** ﴾، (النمل، الآية:62)، وإذا عايش الإنسان هاته الحالة، عرف لماذا سمي غير المؤمن كافرا، ومعنى الكافر في لسان العرب الساتر. وهذا فرعون الذي تكبر وتجبر، وقال: ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** ﴾، فلما أدركه الغرق، قال: ﴿ **آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾، (يونس، الآية:90). ولكن حين لا ينفع الدعاء.

ومن الغريب أني وجدت تأييدا لهذا الدليل النفسي في كلمة للإمام جعفر الصادق -رضي الله عنه -يقول فيها:" بالألم تعرف النفس"، والألم يورث العجز والافتقار ولا شك، وكأن الإمام يريد أن يقول: من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف ربه بالقوة والربوبية والكمال المطلق والصفات العلى، وهو معنى نراه يشبه إلى حد بعيد فكرة لأديب فرنسا أناتول فرانس يقول فيها: "إن المرء يؤمن إذا ظهر بنتيجة فحص البول، إنه مصاب بداء السكري، (يوم لم يكن قد عرف الأنسولين)..."[1].

1-2-2-الدليل الوجودي: ينسب هذا الدليل إليديكارت (Descates)، وخلاصة الدليل أن ديكارت، لما جرَّب مذهب الشك الذي اشتهر به، وشكَّ في كل شيء، من حوله. لم يستطع أن يشك في حقيقة أنه موجود؟ لأن الشك في نظره، ضرب من ضروب التفكير، ومن يفكر فلا بد أن يكون موجودا لذلك قال كلمته المشهورة: "أنا أفكر فأنا موجود"، ثم راح ديكارت يفتش في نفسه، فوجد فيها فكرة كاملة عن الله، فتساءل من أوجدها فيَّ؟ هل أوجدتها هذه الكائنات التي من

1-نقلا عن: علي الطنطاوي، **تعريف عام بدين الإسلام**، (مرجع سابق)، ص57.

حولي وهي موجودات ناقصة؟ هل أوجدها عقلي، وأنا أشعر بنقصه في كل حين؟ وهل يعطي الشيء فاقده يتساءل؟، فاستنتج ديكارت أن مصدر هذه الفكرة لا يمكن أن يكون إلا الله ذاته؟[1].

1-2-3-الدليل الأخلاقي: وهو دليل عرف به الفيلسوف الألماني كانت (1724-1804)، (Emmanuel Kant)، وكانت فيلسوف مؤمن، ويعد من أعظم فلاسفة أوربا، وبالرغم من أن الرجل كوَّم كافة الأدلة العقلية التي قدمها اللاهوت المدرسي لإثبات الوجود الإلهي، إلا أنه رأى أن البرهان على وجود الله تعالى، لا يتأتى بالأقيسة العقلية الصرفة، فهرع إلى الدليل الأخلاقي، أو دليل العقل العملي، كما سماه، ليجعل منه وسيلة توصل إلى معرفة الله.

وخلاصة هذا الدليل أن التعمق في طبيعة النفس الإنسانية، يوقفنا على أن في فطرة الإنسان علامة لا يتأتى وجودها فيها بغير وجود إله، وتلك دلالة الوازع الأخلاقي، أو دلالة الواجب أو الضمير. نعم إن هناك صوت داخلي فطري في الإنسان يميِّز به ما هو الخطأ وما هو الصواب؟ وما هو الرشد وما هو الغي؟ وما هو الخبيث وما هو الطيب؟ وما من إنسان حتى المجرمين إلا ويجد في نفسه هذا النداء الفطري الذي يكشف له أن أداء الواجب أولى من إطاعة الهوى، ولكنه لا يجيب ذلك مع أنه يجده في داخله.

والمتأمل في القرآن الكريم لن يعدم إشارات تشير إلى هذا الدليل مثل قوله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾، (الشمس، الآيتان:7-8). وقوله في آية أخرى: ﴿ **وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾، (القيامة، الآية:2).وهو ما بينه الرسول ﷺ، لأحد صحابته عندما سأله عن البر فقال له الرسول الأكرم: "البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإثمُ ما حَاكَ في نفسِكَ وكرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ"[2]، وعن وابصة بن

1- عرفان عبد الحميد، **دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية**، ط1. بغداد: مطبعة الإرشاد 1967م، ص170.

2- مسلم في **صحيحه**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، (مصدر سابق)، ج4، ص1980.

معبد رضي الله عنه قال:" أتيت رسول الله ﷺ، فقال: جئتَ تسأل عن البِرِّ؟ قلت: نعم، وقال: "اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ ما اطمأنتْ إليه النفسُ واطمأنَّ إليه القَلْبُ، والإثمُ مَا حَاكَ في النفسِ وتَرَدَّدَ في الصَّدرِ -وإن أفتَاكَ النَّاسُ وأَفْتَوْكَ-"[1].

والحقيقة إن وجود هذا الوازع الأخلاقي في نفس الإنسان يفضي لامحالة إلى أن هناك غارسا غرسه فيها، وذلك هو الله تعالى وفي هذا المعنى يقول كانت: "إيه أيها الواجب لست أدري في أي أرض نبت، ولأية شجرة كنت الثمرة المنتقاة، إنك لا تقدم إلى الإنسان ما يسره ويلذ له، بل تقدم إليه ما يتعبه ويضنيه، ولكنك في مقابل تعلمه كيف يقدر شخصيته، ويحفظ كرامته، وإذا ثبت هذا كله، وجب أن يكون ذلك القانون صادرا عن قوة لها من البأس والسلطان، ما يجعل أوامرها ملزمة للإرادات البشرية إلى هذا الحد الذي نشاهده، وتلك القوة هي الإله ذاته"[2].

1-3- الأدلة الفلسفية العقلية:

وهي أدلة عقلية أي أنها تنطلق من مبادئ عقلية مجردة نتخذها مادة ومنطلقا ونبني منها استدلالات على الوجود الإلهي.

1-3-1- دليل الحدوث: وهو الدليل الذي يذكره أغلب علماء الكلام في كتبهم. وأثبتوه ببراهين دامغة. فقد قالوا:" لما كان في العالم، وفي كل شيء، تغيّر وتبدل، فلابد أنه فان أو حادث، ولا يكون قديما، ولأنه حادث، فلا بد له من صانع مُحدِث، ولما كان كل شيء، إن لم يكن في ذاته سبب وجودي وعدمي على السواء فلابد أنه لن يكون واجبا وأزليًا.."

وقد أثبت أيضا ببراهين قاطعة أنه: لا يمكن إيجاد الأشياء بعضها للبعض الآخر

1-أحمد بن حنبل، **المسند،** مسند الشاميين حديث وابصة بن معبد، (مصدر سابق)، ج29، ص528.والحديث حسن بشواهده.

2-عرفان عبد الحميد، **دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية،** (مرجع سابق)، 186.

بالدور والتسلسل الذي هو باطل أو محال، فيلزم إذا: وجود واجب الوجود، يمتنع نظيره، ومحّال مثيله، كل ما عداه ممكن، وكل ما سواه مخلوق"[1]

وقد أشار القرآن الكريم إلى دليل الحدوث، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾، (الأنعام، الآيات: 75-79). فقد استدل إبراهيم – عليه السلام بأفول الكواكب على حدوثها، فلا تصلح أن تكون ربا، بل لها محدث وهو الله الذي أحدث السماوات والأرض جميعا.

1-3-2- دليل الممكن والواجب: وينسب ابن رشد هذا الدليل إلى إمام الحرمين وملخصه كالآتي: "إن العالم ممكن، وكل ممكن يحتاج إلى مخصص ومرجح، إذا فالعالم –لأنه ممكن – بحاجة إلى مخصص ومرجح، وهو الله تعالى ".

و يشرح لنا بديع النورسي هذا الدليل فيقول: "أما جهة «الإمكان» فهو الآخر قد استولى على الكون وأحاط به، إذ نشاهد أن كل شيء سواء أكان كليا أم جزئيا كبيرا أم صغيرا، وكلَ موجود –من العرش إلى الفرش ومن الذرات إلى السيارات– إنما يُرسَل إلى الدنيا بذاتيةٍ خاصة وبصورة معينة وبشخصية متميزة وبصفات خاصة وبكيفيات حكيمة وبأجهزة ذات مصالح وفوائد. والحال أن إعطاء تلك الخصوصية، لتلك الذات الخاصة ولتلك الماهية، من بين إمكانات غير محدودة.. وكذا إكساءُ تلك الصورة المعينة ذات النقوش والعلامات الفارقة المتناسبة، من بين

1- بديع الزمان سعيد النورسي، **الآية الكبرى – مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه** – تر: إحسان قاسم الصالحي، ط1. بغداد: مطبعة العاني 1983م، ص 93.

إمكانات واحتمالات عديدة بعدد الصور.. وكذا تخصيصُ تلك الشخصية اللائقة بانتقاء متميز لذلك الموجود المضطرب بين إمكانات بقدر أشخاص بني جنسه.. وكذا تمكينُ صفات خاصة ملائمة ذات صالح في ذلك المصنوع الذي ليس له شكل والمتردد ضمن إمكانات واحتمالات بعدد أنواع الصفات ومراتبها.. وكذا تجهيزُ ذلك المخلوق بتلك الكيفيات ذات الحكمة، وتقليدُه بتلك الأجهزة ذات العناية التي من الممكن أن تكون في طرق شتى وطرز غير محدودة، وهو المتحير السائب بلا هدف، ضمن ما لا يحد من الإمكانات والاحتمالات.. إن جميع هذه الإشارات والدلالات والشهادات، الصادرة من حقيقة «الإمكان».. تدل على وجود واجب الوجود سبحانه، الذي يخصّص ويُرجّح ويعيّن ويُحدِث، ولا حدَّ لقدرته ولا نهاية لحكمته ولا يخفى عليه شيء ولا شأن ولا يعجزه شيء ولا يعزب عنه شيء. فأكبرُ شيء عنده يسيرٌ كأصغره، وهو القادر على إيجاد ربيع بيُسرِ إيجادِ شجرة، وعلى إيجاد شجرة بسهولةِ إيجاد بذرة"[1].

وقد أشار الذكر الحكيم إلى دليل الإمكان هذا، و إلى حقيقة الممكن وبيَّن أنها حقيقة مفتقرة لا تملك لنفسها وجوداً ولا أي شيء آخر، في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ (فاطر، الآية:15). وقوله تعالى:﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ** ﴾، (الطور، الآيتان:35-36).

ومن أمثلة ذلك أيضا: في القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾. (القصص، الآيتان:71-72)

1- بديع الزمان سعيد النورسي، **الآية الكبرى**، (مرجع سابق)، ص95-96.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً** ﴾. (الفرقان، الآية:45).

وهكذا إذا تمعّنا في كتاب الله عزّ وجل لرأينا عدداً لا يحصى من الآيات والأدلة حول دليل الإمكان.

1-4- دليل الإعجاز والتحدي القرآني:

إن الدليل القطعي على وجود الله عز وجل هو القرآن ذاته، لأنه كلامه، فإذا ثبت أنه ليس كلاما لمخلوق، وليس في وسع مخلوق أن يأتي بمثله فهو إذن كلام الخالق. ومن المعروف المجمع عليه بين المؤرخين المسلمين أن أهل مكة قاوموا الدعوة الإسلامية في بدايتها الأولى، وكان من جملة ما حصل بين رسول الله ﷺ، وبين قريش وسائر المنكرين له والمكذبين أن ردَّ على مزاعمهم التي زعموها أن النبي شاعر، وكاذب ومفتر، وأن القرآن من عنده وليس من عند الله، فتحداهم الرسول وأعجزهم بأن قال لهم كما أوحى الله إليه: ﴿ **قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾، (الإسراء، الآية: 88). فسكت المشركون عن هذا التحدي، ولم يحركوا ساكنا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فقال جل شأنه: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾، (هود، الآية: 13)، فسكتوا وعجزوا عن كسر هذا التحدي، والإجابة عليه، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله. قال تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾، (يونس، الآية: 38). وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾. (البقرة، الآيتان: 22-23).

هكذا رد القرآن مزاعمهم، وتحداهم لإثبات دعواهم بأن محمدا ليس رسولا لله، ولم يكتف بهذا فحسب، بل حرك فيهم دواعي المعارضة والمغالبة وهم أرباب الفصاحة والبيان ليأتوا بقليل القرآن وكثيره ولكنهم عجزوا، فلما استيقنوا من عجزهم واستيأسوا من معارضته، ما كان جوابهم إلا أن ركبوا الحتوف واستنطقوا السيوف بدل الحروف، وتلك لعمري هي حيلة الضعيف العاجز عن الدفاع عن نفسه بالقلم واللسان، والقرآن لم يتحداهم وحدهم، بل الإنس والجن مجتمعين متظاهرين، قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا** ﴾. (البقرة، الآية: 23).

"فانظر هذا النفي المؤكد، بل الحكم المؤبد! هل يستطيع عربي يدري ما يقول أن يصدر هذا الحكم وهو يعلم أن مجال المساجلات بين العرب مفتوح على مصراعيه، وأن الناقد المتأخر متى أعمل الروية في تعقب قول القائل المتقدم لا يعييه أن يجد فيه فائتًا ليستدرك؛ أو ناقصًا ليكمل، أو كلامًا ليزدد كمالًا؟ ألم يكن يخشى بهذا التحدي أن يثير حميتهم الأدبية فيهبوا لمنافسته وهم جميع حذرون؟ وماذا عساه يصنع لو أن جماعة من بلغائهم تعاقدوا على أن يضع أحدهم صيغة المعارضة، ثم يتناولها سائرهم بالإصلاح والتهذيب كما كانوا يصنعون في نقد الشعر، فيكمل ثانيهم ما نقصه أولهم، وهكذا، حتى يخرجوا كلامًا إن لم يبزه فلا أقل من أن يساميَه ولو في بعض نواحيه؟ ثم لو طوعت له نفسه أن يصدر هذا الحكم على أهل عصره فكيف يصدره على الأجيال القادمة إلى يوم القيامة، بل على الإنس والجن؟ إن هذه مغامرة لا يتقدم إليها رجل يعرف قدر نفسه إلا وهو مالئٌ يديه من تصاريف القضاء، وخبر السماء، وهكذا رماها بين أظهر العالم، فكانت هي القضاء المبرم سُلِّط على العقول والأفواه، فلم يهم بمعارضته إلا باء بالعجز الواضح، والفشل الفاضح، على مر العصور والدهور"[1].

ولا يزال القرآن يتحدى المنكرين والمعاندين، وسيبقى كذلك إلى يوم الدين،

1-محمد بن عبد الله دراز، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، ط. الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، 2005، ص73.

قال تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾، (الطور، الآيتان:31-32).

وكانت نتيجة هذا التحدي العجز والسكوت فإذا ثبت هذا، ثبت إعجاز القرآن، وثبت أيضا صدق النبي فيما يخبر به عن ربه، وثبت من ثم أن القرآن من مصدر إلهي، وهذا ولا شك دليل كاف لإثبات وجود الله وسائر صفاته، إذ لا مبيِّن لصفاته مثل القرآن، وهذا هو المطلوب.

2-أثر الإيمان بالله على الفرد والمجتمع:

يعتبر الإيمان على جانب كبير من الأهمية للإنسان لما له من آثار طيبة بالنسبة للفرد في ذاته، أو بالنسبة للمجتمع ككل، وسنحاول في هذا المبحث أن نبين أهمها:

2-1-أثر الإيمان بالله على الفرد: الإيمان بالله تعالى أساس العقائد الدينية وجوهرها، وهو أساس للعمل والسلوك أيضا، وهذا الإيمان كما يطلب لذاته يطلب أيضا لما يتركه من آثار جليلة على حياة الإنسان، ذلك لأن هذا الإيمان ينعكس على روح الفرد بتحرير تام لها من العبودية والخضوع لغيره تعالى، كما يحرر عقله من الخرافات والأوهام، ذلك لأن الإيمان الصحيح يتضمن أن الله هو المتفرد بالخلق والتدبير والضر والنفع والمنع والعطاء، كما يتضمن الإيمان بأن الله هو وحده المستحق للعبادة وهو وحده المشرع الذي ينبغي على الإنسان أن يتبع شرعه. ومعنى هذا كما يقول المقريزي "أن ترى الأمور كلها من الله – تعالى – رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى، وهذا المقام يثمر التوكل، وترك شكاية الخلق، وترك لومهم، والرضا عن الله – تعالى –، والتسليم لحكمه"[1]. قال تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن**

1- المقريزي، **تجريد التوحيد المفيد**، المحقق: طه محمد الزيني، ط1.المدينة المنورة: الناشر: الجامعة الإسلامية، 1989م، ص6.

﴿ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، (آل عمران، الآية:26).

ولاشك في أن من يؤمن بذلك حق الإيمان فإنه يعيش الحرية الحقة في أجمل صورها، فكل هاته الكائنات التي من حوله لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، وهذا المعنى هو الذي أراد النبي الخاتم ﷺ، أن يرسخه في قلب ابن عباس حين قال له: "واعْلَمْ: أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ؛ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"[1]. وهو ما قصده ربعي بن عامر عندما قال لملك الفرس: "جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"[2].

ومن آثار الإيمان بالله أيضا العزة والطمأنينة التي يشعر بها المؤمن، ذلك لأن قلبه تحرر من قيدي الرغبة والرهبة إلا من الله تعالى، ومن ثم فإن الإيمان بالله يغرس في نفسه عزة يفتقدها غيره، وطمأنينة يفتقدها غيره عبّر عنها أحد الصالحين بقوله: "ما بَسَقَتْ أَغْصانُ ذُلٍّ إلّا عَلى بَذْرِ طَمَع"، ويقول أيضا: "أَنْتَ حُرٌّ مِمَّا أَنْتَ عَنْهُ آيِسٌ، وَعَبْدٌ لِمَا أَنْتَ لَهُ طَامِعٌ"، وقال غيره: "لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف"، إن هذه الطمأنينة والسعادة التي يشعر بها المؤمن لا تتوفر لغير المؤمن مهما بذل من جهد في تأمين حياته من الناحية المادية والأمنية. قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، (المنافقون، الآية:8).

والإيمان بالله يحقق للإنسان راحته الفكرية لأنه يجد فيه الإجابات الشافية عن تلك الأسئلة الوجودية التي يطرحها على نفسه من أنا؟ ومن أين جئت؟ ولماذا

1- أبو عيسى الترمذي، **السنن،** أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، (مصدر سابق)، ج4، ص567، وقال حديث حسن صحيح.

2-أبو الفداء إسماعيل بن كثير، **البداية والنهاية،** ط1.بيروت: دار الفكر، (دنت)، ج7ن 39.

جئت؟ وما موقعي، ووظيفتي في هذا الكون؟ وإلى أين؟، لأن روح الإنسان لا تستسيغ الشك وتكره الارتياب، وتأبى ما يسمى بالفراغ العقدي، والإيمان بالله يعرف الإنسان بأصله ومصيره وغايته، وبسرِّ الكون ودور الإنسان فيه ومسئوليته تجاهه، كما يعرِّف الانسان بقيمته، وبمعنى الحياة منتزعا هذا الفهم من إيمانه بعدل الله وحكمته الذي يوصل الإنسان إلى الاعتقاد بأنه لا ظلم ولا عبث ولا ضياع في هذه الحياة. وهكذا تجعل العقيدة الصحيحة، كما تتمثل في العقيدة الإسلامية الفرد بمنأى عن كثير من العقد النفسية، ومن حالات القلق والاهتزاز النفسي وتجعله يتقبل ذاته بواقعية ويشعر بمعية الله التي تمنحه الإحساس بالقوة، وهذه من عوامل اكتساب الصحة النفسية التي هي أهم عوامل النجاح في الحياة، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** ﴾، (الرعد، الآيتان:28-29).

ومن استقراء الأوضاع العالمية وارتفاع نسبة الانتحار والأمراض النفسية وجرائم السرقة والاغتصاب، نشعر بأهمية الإيمان بالله في حياة الفرد، وقد أشار المؤرخ أرنولد توينبي (Toynbee Arnold) إلى أن الأزمة التي يعاني منها الأوروبيون في العصر الحديث إنما ترجع أساسا إلى الفقر الروحي وأن العلاج الوحيد لهذا التمزق الذي يعانون منه هو الإعلاء من الجانب الروحي والأخلاقي في الإنسان[1].وصدق الله حينما قال: ﴿ **فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى** ﴾، (طه. الآيات:123-126).

والإيمان بالله يدفع الإنسان إلى تزكية وإصلاح باطنه، والسمو بأخلاقه ذلك لأن

1- أمين شلبي، **نظرات في آرنولد توينبي**، ط1. القاهرة: دار قباء، 2000م، ص69 وما بعده.

الإنسان مركب من طبيعتين متناقضتين والصراع قائم في داخل الإنسان بين البهيمية والملكية، أو بين العقل والهوى، فجند العقل يجذب إلى الحق والخير، وجند الهوى يجذب إلى الشهوات والشر، والإيمان بالله وتوحيده، يحرر روح الفرد من هاته العبوديات والتبعيات الكونية والشيئية، كما يحرر الفكر من أن يصبح تابعا للهوى المضل، ولا لأي كان ممن يريد التسلط على عقول البشر، قال تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾، (يونس، الآيات:62-64).

كذلك فإن الإيمان بالله من أهم عوامل تربية الضمير الإنساني والذي هو الرقيب على الفرد والذي يحول بينه وبين اقتراف المعاصي والانحراف، ولهذا عجزت القوانين والمبادئ الوضعية عن إصلاح حياة البشر مما أعطى صورة واضحة عن الحضارة المعاصرة التي تتآكل من الداخل كما يقول محمد إقبال:" إن حضارتكم تقتل نفسها بخنجرها.. إن العش لا يثبت على غصن رطيب ضعيف مضطرب "[1].

والإيمان بالله يعزز الشعور بالمسؤولية، والاندفاع إلى العمل، ويقوي الشعور بالانسجام والتناغم مع سائر الموجودات الكونية، لأن المؤمن يدرك أن هذه الكائنات كلها مخلوقات لله تعالى، وأنها خاضعة لنواميس الله، فالطبيعة ليست عدواً للإنسان ولكنها مخلوق سخر لخدمته، ليساعده على القيام بمهمة الخلافة في الأرض ومن ثم يتعزز لديه شعور بأنه لم يخلق لمجرد أن يأكل ويشرب، ويلهو ويلعب، ثم بعد ذلك تكون نهاية رحلته كالذين حكى عنهم القرآن: ﴿ **يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ** ﴾، (محمد، الآية:12)، إنما خلق لغاية أسمى وأعظم؛ ويتولد

1- نقلا عن: نجيب كيلاني، **إقبال الشاعر الثائر**، ط1. القاهرة: الشركة العربية للنشر والطباعة، 1957م، ص30.

عن إدراك هذه المعني السامي، معاني حياتية كثيرة كمعنى الحياة الآخرة والوقت ومبدأ الاقتصاد. كما أن الإيمان بالله يمد صاحبه بطاقة روحية عظمى تعينه على تحمل ما يعترضه من عقبات، وما يدهمه من صعاب.

2-2-أثر الإيمان بالله في المجتمع: إن الإيمان كما يزكي الفرد يزكي المجتمع، ذلك أن المجتمع مجموعة من الأفراد، إن صلح الفرد صلح المجتمع، وإن فسد الفرد فسد المجتمع، وقد أشرنا آنفا أن العقيدة في الله تزكي نفس الإنسان، وتسمو بأخلاقه، وتعزز تربية ضميره الذي هو الرقيب على الإنسان في جميع تصرفاته، فإذا كان هذا الإنسان عاملا فهو العامل الذي يسعى لإتقان عمله، كما جاء في الحديث: "إِنّ اللَّهَ تَعَالى يُحِبّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ"[1]، وإذا كان تاجرا فهو التاجر الصدوق الأمين الذي يسعى لسدِّ حاجيات الناس، وقد ورد في الحديث: "التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ"[2]، وإذا كان قاضيا فهو القاضي العادل الذي يبذل في الإصابة جهده وقد ورد: "إِنَّ الْمُقْسِطِينَ، عِنْدَ اللَّهِ، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ. عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّواْ"[3]، وإذا كان زارعا فهو الزارع المخلص الذي يجتهد في تحقيق الاكتفاء الغذائي الذاتي لوطنه وقد جاء الحديث: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً إلاَّ كانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْه لَه صدقَةً"[4]، وإذا كان معلما فهو يقوم بالعلم آناء الليل وأطراف النهار، وقد جاء في الحديث: "إِذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انْقَطَعَ

1-الألباني، **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، ط3. بيروت: المكتب الإسلامي، 1408هـ، ج1، ص383. وقال حديث حسن.

2-رواه الترمذي في **السنن**، أبواب البيوع باب ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إياه، (مصدر سابق)، وقال حديث حسن.

3- رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، (مصدر سابق)، ج3، ص458.

4-رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، (مصدر سابق)، ج3، ص188.

عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[1]، وإذا كان ابنا فهو المستغفر لوالده بعد موته، كما جاء في الحديث السابق، وإذا كان رئيسا فهو الرئيس الناصح الأمين، وقد نبَّه الرسول ﷺ، إلى خطورة هذا المنصب فقال: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ عليهِ الْجَنَّةَ"[2].

وعلى هذا الأساس يقوم المجتمع الفاضل، لحمته وسداه الأخوة والترابط والتعاطف والتراحم " مَثَلُ المؤمنينَ في تَوادِّهم، وتَرَاحُمِهِم، وتعاطُفِهِمْ. مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تدَاعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى "[3].

وإذا قامت العلاقات بين الأفراد في المجتمع على هاته الأسس عمَّ فيه التعاون والتعارف في جميع جنباته، وتقوى فيه الرفق والتكافل بين مختلف قطاعاته، وصار التراحم والمحبة مسلكا عاما بين جميع طبقاته فـ"المؤمِنُ لِلْمؤْمن كالبُنْيان يَشُدُّ بَعْضُه بَعْضا، ثُمَّ شَبّكَ بَيْنَ أَصابعِهِ"[4]، ويقول ﷺ: "مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ"[5]، ويقول ﷺ: " وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"[6].

بالإضافة إلى هاته الحقائق فإن العقيدة في الله هي التي تكفل احترام القانون

1-رواه مسلم في **صحيحه،** كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (مصدر سابق)، ج3، ص255.

2- رواه مسلم، في **صحيحه،** كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، (مصدر سابق)، ج3، ص460.

3- رواه مسلم، **في صحيحه،** كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (مصدر سابق)، ج4، ص999.

4-رواه البخاري **في صحيحه،** كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، (مصدر سابق)، ج8، ص12.

5-رواه البخاري **في صحيحه،** كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل، (مصدر سابق)، ج9، ص22.

6-رواه مسلم، **في صحيحه،** كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، (مصدر سابق)، ج4، ص1074.

الذي ينظم العلاقات في المجتمع، وتضفي عليه هيبة في نفوس المؤمنين به سواء أ كانوا حكاما أم محكومين، لأنه صادر من قبل الله، ومن ثم فله صفة الدين، وما له هذه الصفة من حقه أن يحترم ويطاع طاعة اختيارية، تنبعث من النفس، وتقوم على الإيمان، وفي هذا أعظم ضمان لتطبيق القانون الإسلامي من الجميع وعدم الخروج عليه، ولو مع القدرة على هذا الخروج. أما القوانين الوضعية فإنها لا تبلغ مبلغ الشريعة في هذه الناحية أبدا، إذ ليس لها مثل سلطانها على النفوس ولا مقدار احترام وهيبة الناس لها، ومن ثم فإن النفوس تجرؤ على مخالفة القانون الوضعي كلما استطاعت الإفلات من رقابة القانون وسلطة القضاء، ورأت في هذه المخالفة تحقيق رغبة أو إشباع نزوة[1].

والإيمان بالله وتوحيده أصل لإثبات الأخوة الإنسانية والمساواة بين البشر، لأن هاته الأخيرة لا تتحقق إذا كان بعضهم أربابا لبعض وهو المعنى الذي قصده ربعي بن عامر عندما قال لملك الفرس: "جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله"[2]. ولهذا كانت دعوة الرسول ﷺ، إلى ملوك وأمراء البلاد قاطبة: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾، (آل عمران، الآية:64).

والإنسان إذا وعى – وحدة المأتى خالقا وعنصر خلق على الوجه الأكمل – أثمر هذا وحدة في الشعور بالمساواة والأخوة الإنسانية مع ما يلابس ذلك من شعور بالتقارب تنتفي من خلاله أسبابه التفرق والاختلاف والتطاحن التي تنشأ عادة نتيجة الاختلاف التفاضلي في أصل الخالق أو في أصل الخلقة، وذلك فيما يبدو

1-ينظر: عبد الكريم زيدان، **المدخل إل دراسة الشريعة**، (مرجع سابق)، ص41.

2-إسماعيل بن كثير، **البداية والنهاية**، (مرجع سابق)، ج7، ص 39.

على سبيل المثال في طبقات المجتمع الهندي[1].

والخضوع لحاكمية الله وحده، وقهره فوق عباده، يوحد إرادة كل أفراد المجتمع في ولائها لجهة واحدة هي الله تعالى بحيث توجه إرادتها جميعا لمطالبه وأحكامه، وتخضع قيادها له وحده فلا تتوزَّعها إذن جهات متعددة تنفرد كل منها بشق من الناس يوالونها دون الجهات الأخرى، ويكون حينئذ التدابر والصراع بينها.

إن وحدة الولاء هذه تحطم كل المقاييس التي ابتدعها الناس في التفاضل بين الناس وتبقي على مقياس واحد هو مقباس التقوى، فعلى أساسه وحده يكون الرفع والخفض، ويكون التقديم والتأخير[2].

كما يورث التوحيد وحدة في المقصد والغاية، لأن المؤمنين جميعا على اختلاف مراتبهم متجهون إلى غاية واحدة هي عبادة الله وابتغاء مرضاته، أما غير المؤمن فإنه يعيش في الدنيا تتوزعه هموم كثيرة، وتتنازعه غايات شتى، هذه تميل به إلى اليمين، وتلك تجذبه إلى الشمال، فهو في صراع دائم داخل نفسه، وقد استراح المؤمن من هذا كله، وحصر الغايات كلها في غاية واحدة عليها يحرص وإليها يسعى، وهي رضوان الله تعالى، لا يبالي معه برضى الناس أو سخطهم، كما جعل المؤمن همومه هماً واحداً، هو سلوك الطريق الموصل إلى مرضاته تعالى، وما أعظم الفرق بين رجلين، أحدهما عرف الغاية، وعرف الطريق إليها، فاطمأن واستراح، وآخر ضال، يخبط في عماية، ويمشي إلى غير غاية، لا يدرى إلام المسير؟ ولا أين المصير؟

وبوحدة الشعور والولاء والمقصد والغاية تزول أسباب الفرقة بين المسلمين، ويقوى التناصر والتكافل الاجتماعي الذي لا عهد لكل الإيديولوجيات الأرضية به.

1-عبد المجيد النجار، **الإيمان بالله وأثره في الحياة**، (مرجع سابق)، ص198.

2-المرجع نفسه.

3-الأسماء والصفات الإلهية:

الإيمان بالصفات الإلهية هو الطريق إلى معرفة الله، فإنه سبحانه لا يعرف إلا بصفاته التي وصف بها نفسه في كتبه التي أنزلها على أنبيائه، لأن الطريق إلى ذاته العلية مسدود على الخلق.

وصفاته سبحانه هي سبيل إدراك الإنسان لصلة الله بالعالم خلقا وتدبيرا وتسخيرا، ولا شيء من موجودات هذا العالم إلا أثر من آثار تلك الصفات العلى، فكل ما في الكون من عرشه إلى فرشه، ومن سمائه إلى أرضه إلا شاهد بإتقان عنايته، وخاضع لسلطان قضائه وتدبير أمره.

والمسلم قد تصيبه عوادي الزمن فتنحرف به عن الإيمان ببعض صفاته في شمول حقيقتها مثل صفة الوحدانية والتدبير والرزق والحاكمية، وهي انحراف تؤثر في السلوك تأثير سلبيا، ولذلك قام المصلحون على مر الأزمان بمواجهة هاته التحديات، والتذكير بالحق في هذا الشأن.

وبناء على ما سبق فإن المسلم ينبغي أن يكون شديد الحذر فيما يتعلق بالإيمان بصفات الله أن يتسرَّب إليها شك أو خلل قد يكون ظاهرا أو خفيا، وأن يتعهد هذا الإيمان في تصوره اعتقادا، وفي عمله سلوكا.

3-1- الإيمان بالصفات عموما: وسنتناول في هذا المبحث قضيتين مهمتين، تتعلق الأولى بالضوابط العامة التي يقوم عليها الإيمان بالصفات، والثانية تتعلق بقضية العلاقة بين الذات والصفات.

3-1-1-الضوابط العامة للصفات: المتأمل في القرآن الكريم يجده يتحدث عن صفات كثيرة في العدد تشير كلها إلى كمالات للذات الإلهية، كما تشير في الوقت نفسه إلى علاقة قائمة بين الذات والمخلوقات بصورة عامة، وبالإنسان بصورة أخص، لكن ينبغي أن نشير أن القرآن قد تحدث عنها تحت اسم "الأسماء الحسنى"،

قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾، (الأعراف، الآية:180)، وورد في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه–قال: قال النبي ﷺ: "إِنَّ لِلهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"[1]. وليس لنا أن نقف عند ظاهر العدد، لأن هناك أحاديث أخرى يفهم منها أن لله أسماء لم ينزلها في كتابه، بل اختص بها بعض عباده، أو اختص بها نفسه، كما في الحديث الذي رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ ، أنه قال: "أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا" [2]. ويظهر من هذا الحديث أن أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، غير منحصرة في عدد معين، وأن الذي ذكر منها كان على سبيل التمثيل لا الحصر، ولقد حاول بعض العلماء أن يحصوها عددا، وأن يقسموها أقساما، كما فعل أبوبكر بن العربي في "الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى"، والقرطبي في "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"، والحليمي في كتابه "شعب الإيمان"، وكذا الإمام البيهقي في كتابه "الأسماء والصفات"، والراغب الأصبهاني في "الاعتقادات"، وغيرهم. وقد اتفقوا في عدِّ جملة كبيرة، ولكن كانت بينهم اختلافات في عدِّ الصفات وتسميتها وفي طرائق التقسيم. ونحسب أن هاته الاختلافات لا تغير شيئا

1–أخرجه البخاري، **في صحيحه،** كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا، (مصدر سابق)، ج9، ص112؛ وأخرجه مسلم، **في صحيحه،** كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى، وفضل من أحصاها، (مصدر سابق)، ج4، ص63.

2– أحمد بن حنبل، **المسند،** مسند المكثرين من الصحابة مسند عبد الله بن مسعود، (مصدر سابق)، ج6، ص246-247.

لأن العبرة كما يقولون للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني، والمهم جدا أن يكون لهذه الأسماء أثرها في النفس الإنسانية، كما فعل الغزالي على نحو يثير الإعجاب في كتابه القيم "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"، كما سنبين لاحقا.

ولعل خير من حدَّدَ الضوابط هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حيث أتى القرآن العظيم على ذكر ثلاثة منها، نبَّه عليها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، في كتابه "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات"[1]، وهي:

الضابط الأول: هو تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: ﴿ل-**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾، (الشورى، الآية: 11)، و﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾، (الإخلاص، الآية: 4)، و﴿ **فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ** ﴾، (النحل، الآية: 74).

وهذه الحقيقة – أعني تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات سواء في الذات أو الصفات –تستتبع أن تكون لغتنا البشرية قاصرة حين التعبير عن الحقائق الإلهية، لأنها عبارة عن ألفاظ واصطلاحات تواضع عليها الناس، للدلالة على أشياء مادية أو معنوية مارسوها في مجالهم التداولي، لكن الله تعالى – لعلمه أننا نحن البشر لا نفهم ولا نستوعب إلا من خلال الألفاظ التي تواضعنا واصطلحنا عليها، فإنه ورحمة منه بنا – قد خاطبنا سبحانه بلغتنا التي نتداولها في حياتنا، بكلامه المعجز الذي تحدى به البشر، وعبر عن صفاته التي تعد من الأمور الغيبية بكلمات من اللغة التي نألفها ونتعامل بها مع الناس.

فيلزم عن هذا أن ندرك أن الإتيان بهذه الكلمات التي تتحدث –بألفاظ بشرية – عن صفات الله عز وجل ليس إلا من قبيل التقريب للذهن. إذ يستحيل استحالة

1- محمد الأمين الشنقيطي، **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات،** المحقق: علي بن محمد العمران، ط5.الرياض: دار عطاءات العلم، 2019م، ص87. وما بعده.

تامة أن تكون هذه الألفاظ التي صنعناها نحن البشر بيانا للمحسوسات والمعنويات، وصفا حقيقيا للحقائق الإلهية، فصفات الله سبحانه ليس كمثلها صفات بين الموجودات قاطبة، فهما نوعان مختلفان – كما يقول فقيه الأدباء على الطنطاوي – لكن اللغات البشرية لضيقها عن استيعاب المعاني الروحية، تستعمل اللفظ الواحد، في معان كثيرة. فنحن نقول: "فلان يحب مناظر الجبال"، و"فلان يحب علم التاريخ"، و"فلان يحب الرز باللحم"، "والوالد يحب ولده"، و"المجنون يحب ليلى"، و"المؤمن يحب الله". وكل حب منها، يختلف عن الآخر. ومثل ذلك كلمة: (الجمال)، نستعملها وهي لفظ واحد، للدلالة على ألف معنى. ومن ذلك قولنا: "الله سميع بصير"، و"فلان سميع بصير"، أي: ليس أصم ولا أعمى. وسمع الله وبصره لا يشبه سمع العبد ولا بصره لأن الله لا يماثل شيئا من المخلوقات ولا يماثله شيء، وجميع آيات الصفات جاءت من هذا الباب، والله ليس كمثله شيء[1].

الضابط الثاني: هو الإيمان بما وصف الله به نفسه، لأنه لا أعلم بالله من الله ﴿ **قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ** ﴾، (البقرة، الآية: 140)، وما وصفه به رسوله ﷺ لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم من رسول الله ﷺ الذي قال في حقه: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾، (النجم، الآيتان: 3-4).

ولقد عرف القرآن الذات الإلهية بأنها تعلم: ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾، (غافر، الآية:19)، وأنها تريد: ﴿ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾، (البروج، الآية:16)، وهي صفة تخصص الممكن ببعض محتملاته، وأنها تقدر: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾، (الملك، الآية:1)، وهي صفة أزلية يتأتى بها إيجاد الممكنات وإعدامها على وفق الإرادة، فالقدرة لا تتعلق بالواجب والمستحيل؛ وأنها سميعة بصيرة: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾، (الشورى، الآية:11)، وأنها تخلق:

1-علي الطنطاوي، **تعريف عام بدين الإسلام**، (مرجع سابق)، ص49.

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾، (الزمر، الآية:66)؛ وأنها تتكلم: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾، (النساء، الآية164)؛ وبوجيز العبارة فإنها كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾، (البقرة الآية:255).

كما وردت في القرآن آيات تذكر للذات الإلهية بأن لها استواء، ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾، (طه، الآية:5)؛ وبأن لها وجها، ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾، (الرحمن، الآية:27)؛ وبأن لها يدا: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾، (ص، الآية:75)؛ وبأن لها مجيئا: قال الله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾، (الفجر، الآية:22).

كما وردت في السنة الشريفة أحاديث كثيرة تذكر بأن الله يتعجب كحديث الرسولﷺ: "عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ"[1]؛ وأنه يفرح: "للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ"[2]. وأن له أصبعا:"إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ "[3]. وأن له نزولا كما جاء في الحديث: "يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ"[4].

ولا شك أن هاته الألفاظ في تقريبها للمطلوب الغيبي، تبعث في ذهن الإنسان

1-البخاري، **في صحيحه**، كتاب الجهاد والسير، باب الأسارى في السلاسل، (مصدر سابق)، ج4، ص60.

2-البخاري، **في صحيحه**، كتاب الدعوات، باب التوبة، (مصدر سابق)، ج8، ص68.

3-رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، (مصدر سابق)، ج4، ص2045.

4-البخاري، **في صحيحه**، أبواب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، (مصدر سابق)، ج2، ص53.

الذي يخوض في أمرها شاء أم أبى بعض الخواطر التي تنطوي على التحديد والتجسيد- وهذا بحكم اللغة وأساليبها التشبيهية- لكن هاته الخواطر سرعان ما تتبدد حين يستشعر العقل قوله سبحانه: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾، (الشورى، الآية:11).

في ظل مبدأ التنزيه هذا ينبغي أن نفهم جميع نصوص الصفات، بحيث نثبت لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ، من غير تشبيه أو تعطيل، سواء وردت تلك الصفات في القرآن العظيم، أو في السنة المطهرة، وأن ندرك أن لا اتفاق بين صفات الخالق جل وعلا، وبين صفات المخلوقات إلا في الأسماء. وهذا الموقف الحكيم هو الموقف الذي سلكه علماء الطبقات الثلاث، الصحابة، والتابعين، واتباع التابعين، ولذلك لم يختلفوا كثيرا في قضية الصفات، ورأوا أن هذا أسلم المواقف بالنسبة لعقيدتهم وإيمانهم. ثم ظهر اختلاف حول هذه القضية بعد مضي القرون المشهود لها بالخير حيث تساءلوا: هل هذه الآيات حقيقة أم مجاز؟ وهل تؤول أم لا تؤول؟

وعند النظر في آيات الصفات نجد أنفسنا مضطرين إلى موقف من الاحتمالات الأربعة التي يمكن أن ترد على هذه النصوص، وهي[1]:

أ- إما أن نأخذها على أنها مستعملة حقيقة وفق ظاهر مدلولها اللغوي الذي يتصوره الناس في أذهانهم.

ب- وإما أن نفرغ تلك الألفاظ من دلالتها اللغوية كلية ونؤولها تأويلا بعيدا. وهذا هو التعطيل

ت- وإما أن تأخذها على أنها مستعملة مجازا في معنى بينه وبين المعنى الموضوع له في أصل اللغة مناسبة. وهذا هو التأويل.

ث- وإما أن نأخذها على أنها مستعملة على سبيل الحقيقة لا المجاز في معان تليق

1-ينظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط2. دمشق: دار القلم 1979م، ص246 وما بعده. وقد أفادنا كثيرا في هذا المبحث، فله منا خالص الدعاء.

بجلال الله. وهذا هو الإثبات.

أما الاحتمال الأول:

وهو فهمها على سبيل الحقيقة وفق ما يتبادر إلى الذهن، وهذا الاحتمال ينتهي إلى التشبيه والعياذ بالله، والتسوية بين الخالق والمخلوق، ولا شك أن هذا الفهم مرفوض لقوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾، (الشورى، الآية:11).

أما الاحتمال الثاني:

وهو محاولة التخلص من ظاهر المعنى – تنزيها لله تعالى على حد زعمهم – بتعطيل الألفاظ عن معناها اللغوي الذي وضعت له فيما يحتمل معناه الحقيقي، أو مضمونها المجازي فيما دلت عليه القرائن على ضرورة صرفه إلى المعنى المجازي، وهذا ولا شك سوء أدب مع الله الذي خاطبنا بتلك الصفات، فنحاول – لعدم قدرتنا على إدراك كنهها– أن نسلبها كل معنى خشية أن نحملها من المعاني ما لا يليق بذاته في تصورنا هذا أولا، وثانيهما أن هذه التأويلات البعيدة تحول دون حصول الفائدة المرجوة من إيراد تلك النصوص في النفوس، ولاشك أن هذا الفهم غير مقبول لأنه يؤدي في الأخير إلى التسوية التامة بين الموجود والمعدوم، ويجعل الذات فكرة مجردة مطلقة لا يدل عليها وصف، ولا يدرك لها واقع تتجلى فيه، فإنها لو كانت كذلك لما وجد الإنسان لمثل هذه الفكرة المجردة أثرا يعمل في كيانه ويؤثر في سلوكه. ومنشأ هذا الانحراف في الغالب المغالاة في تحكيم العقل على حساب النص الصحيح. وهذا المذهب هو مذهب القرامطة والباطنية، فالتوحيد عندهم: "إنه لا يقال إنه موجود ولا معدوم، بل قالوا: إنه لا يعبر عنه بالحروف.."[1]

أما الاحتمال الثالث:

وهو تأويل هذه النصوص إلى معان تحتملها بوجه صحيح من وجوه المجاز

1 – ابن الوزير اليماني، **إيثار الحق على الخلق**، ط2. بيروت: دار الكتب العلمية 1987م، ص123.

حسب القواعد المتبعة والمعروفة في اللسان العربي، والتي استعملها الكتاب والسنة في كثير من نصوصهما. ولا شك أن هذا الفهم لا ضير فيه، لأن حجة هؤلاء أن القرآن عربي، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾، (يوسف، الآية:2)، وبالتالي ينبغي أن يفهم في مجاله التداولي، وبالأساليب التي ألفها العرب عند مخاطباتهم فيما بينهم. ومن المعلوم أن اللغة العربية حوت كثيرا من الأساليب البلاغية كالاستعارة والكناية والمجاز والمشاكلة وغيرها. والآيات الواردة على هاته الأساليب كثيرة نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر قوله تعالى: ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾، (التوبة، الآية:67)، فكلمة (نَسُوا)، وردت بمعناها الذي وضع لها في لغة العرب والذي يعني غياب المعلومات عن الذاكرة، لكن (فَنَسِيَهُمْ)، جاءت مشاكلة لها، ولا يراد بها المعنى المتبادر في الذهن والمألوف في الاستعمال، بل يستحيل عليه ذلك بنص القرآن: ﴿ **لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى** ﴾، (طه، الآية:52)، ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾، (الأنفال، الآية:30)، وقوله: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾، (النساء، الآية:142)، ولا شك أن هذا من باب المشاكلة، وإلا ماذا يبقى من العالم إن اتصف مدبره بالمكر والخداع، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، ومن ذلك ما رواه ابن تيمية رحمه الله عن الضحاك من تأويله (الوجه) في قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾، (القصص، الآية:88) بذات الله والجنة والنار والعرش، ونقل عن ابن كيسان قوله:" إلا ملكه "، أما ابن تيمية نفسه، فقد مال إلى أن المراد بلفظ "الوجه" يشبه أن يكون في الأصل مثل الجهة كالوعد والعدة والوزن والزنة، فيكون مصدرا بمعنى التوجه والقصد، ويؤيد ابن تيمية رأيه هذا بقول الشاعر: أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل[1].

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ** ﴾، (القلم، الآية:42)، روى الحافظ ابن مَندة بسنده إلى ابن عباس – رضي

1- ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2004م، ج2، ص428.

الله عنهما -في قوله عز وجلَّ: ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ** ﴾ قال: "يكشف عن أمر عظيم"، ثم قال: "قد قامت الحرب على ساق"[1].

وفي معنى قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ** ﴾، (الواقعة، الآيات:83-85)، يقول الإمام الطبري: "ورسلنا الذين يقبضون روحه، أقرب إليه منكم، ولكن لا تبصرون"[2].

وهكذا يؤول الطبري القرب في الآية بقرب ملائكته تعالى، وليس بقرب ذاته العلية، لأن القرب في اللغة العربية يكون بين ذاتين في مكان، وهذا منتف عن الله جل في علاه.

ولن أسترسل أكثر في إيراد ما أثر عن رجال السلف من تأويل في صفات الأسماء وصفات الأفعال المذكورة في كتاب الله وسنة رسوله، ولكن أردت أن أبين أن لمذهب أصحاب التأويل وجهة نظر ذات حجة، ولها نظائر في الشريعة وعند السلف الصالح، وبخاصة إذا جاء التأويل لمعنى يحتمله اللفظ، وجرى على عادة اللسان العربي واستعمالاته المشهورة، قال النَّوَويُّ-رحمه الله -: "اعْلَمْ أنّ لأهْل العِلم في أحاديث الصّفات وآيات الصّفات قوْلين: ثانيهما: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذا رياضة في العلم فعلى هذا المذهب يقال في قوله ﷺ، فيأتيهم الله أن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان فعبر بالإتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازا، وقيل: الإتيان فعل من أفعال الله تعالى سماه

1-الحافظ ابن مندة، **الرد على الجهمية**، تح: علي بن محمد ناصر الفقيهي، ط3. المدينة المنورة: الغراء الأثرية 1994م، ص38.

2-محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تح: محمود محمد شاكر، ط1.مكة المكرمة: دار التربية والتراث، (د.ت)، ج23، ص157.

إتيانا، وقيل: المراد بيأتيهم الله؛ أي: يأتيهم بعض ملائكة الله. قال القاضي عياض رحمه الله "[1].

فليس هناك إذن ما يدعو لتضليل أصحاب هذه الطريقة فيما جنحوا إليه من آراء، وبخاصة إذا لاحظنا أن أئمة كبارا كالإمام الطبري، وابن حزم، والغزالي، وأبي بكر بن العربي، وابن الجوزي، وفخر الدين الرازي، والعز بن عبد السلام، والإمام محمد الطاهر بن عاشور، وغيرهم كثير، وهم من هم في العلم والتقوى والصلاح، قد أخذوا بهذه الطريقة، ودانوا لله بها. فلا يسعنا والحال هذه إلا أن نقول: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾، (الحشر، الآية:10). وإذا لم يكن لأمثال هؤلاء الحق في الاجتهاد فلمن يكون ؟!

ومهما يكن من أمر، فإنه لا يصح بأية حال أن يبقى هذا الاختلاف والخلاف في هذه المسألة متأجج الأوار بحيث يستمر حضوره السلبي في حياة المسلمين، وقد تنفخ فيه بعض الجهات المعادية لإثارة الجدل، وتمزيق الوحدة مما يؤدي – لا قدر الله – للفرقة وذهاب الريح، كما هو ملاحظ في هذه الأيام، ولذلك نبَّه غير واحد من العلماء إلى خطورة هذا الأمر، ومنهم العز بن عبد السلام الذي يقول:" الجهل بالصفات ليس جهلا بالموصوفات "[2].

وهذا الإمام ابن تيمية، كأنه يستشعر خطورة الأمر، وعقابيله الضارة على المجتمعات الإسلامية فقال محذرا من مغبة هذه الاختلافات: "إنَّ عَامَّةَ أَهْلِ الصَّلَاةِ مُؤْمِنُونَ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ – وَإِنْ اخْتَلَفَتْ اعْتِقَادَاتُهُمْ فِي مَعْبُودِهِمْ وَصِفَاتِهِ – إلَّا مَنْ كَانَ مُنَافِقًا – يُظْهِرُ الْإِيمَانَ بِلِسَانِهِ وَيُبْطِنُ الْكُفْرَ بِالرَّسُولِ – فَهَذَا لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ؛ وَكُلُّ

1- محيي الدين يحيى النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1392هـ، ج3، ص19.

2-العز بن عبد السلام، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، (مرجع سابق)، ج1، ص 203.

مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَكُنْ مُنَافِقًا فَهُوَ مُؤْمِنٌ لَهُ مِنْ الْإِيمَانِ بِحَسَبِ مَا أوتيه مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مِمَّنْ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ وَلَوْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ الْإِيمَانِ وَيَدْخُلُ فِي هَذَا جَمِيعُ الْمُتَنَازِعِينَ فِي الصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ عَلَى اخْتِلَافِ عَقَائِدِهِمْ. وَلَوْ كَانَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلَّا مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ كَمَا يَعْرِفُهُ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَدْخُلْ أُمَّتُهُ الْجَنَّةَ؛ فَإِنَّهُمْ - أَوْ أَكْثَرُهُمْ - لَا يَسْتَطِيعُونَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ؛ بَلْ يَدْخُلُونَهَا وَتَكُونُ مَنَازِلُهُمْ مُتَفَاضِلَةً بِحَسَبِ إيمَانِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ"[1].

أما الاحتمال الرابع:

وهو أن هذه النصوص مستعملة استعمالا على وجه الحقيقة لا المجاز في معان تليق بالجناب المقدس، وهذا مذهب المثبتة، وهم فريقان:

الفريق الأول: وهم من أثبت المعنى اللغوي، ونفي الكيف، ويرى أصحاب هذا المذهب أن النصوص الشرعية سواء أكانت قرآنا أم سنة مستعملة على وجه الحقيقة، وفق المعنى الأول المتبادر إلى الذهن من اللفظ، وفي هذا المعنى يقول ابن قيم الجوزية – رحمه الله-: "حِفْظُ حُرْمةِ نُصوصِ الأسْماءِ والصِّفاتِ بإجْراءِ أخْبارِها على ظَواهِرِها، وهو اعْتِقادُ مَفْهومِها المُتَبادِرِ إلى أذْهانِ عامَّةِ الأمَّةِ"[2]، ويقول ابن تيمية: "ولله تعالى استواء على عرشه حقيقة وللعبد استواء على الفلك حقيقة: وليس استواء الخالق كاستواء المخلوقين"[3]، والمعنى الذي يريد ابن تيمية قوله: إن لفظ الاستواء إذا استعمل في الجناب المقدس فإنه يراد به معنى أعلى يليق بجلال الله، أما إذا استعمل من طرف المخلوقات فله معنى أدنى يناسب حاله.

وهذا الاحتمال لا يقدح شيئا في تنزيه الله كما قد يتصور البعض، وهو معنى أكده ابن تيمية بقوله وهو: "أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ،

1-ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (مرجع سابق)، ج5، ص255.

2-ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**، (مرجع سابق)، ج2، ص84

3-ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (مرجع سابق)، ج5، ص199.

من غير تحريف ولا تعطيل؛ ولا تكييف ولا تمثيل. فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه؛ **ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين؛** بل هو سبحانه: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾، (الشورى، الآية:11).ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. فقوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾، رد على أهل التشبيه والتمثيل. وقوله: ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾، رد على أهل النفي والتعطيل "[1].

الفريق الثاني: وهم من أثبت المعنى الشرعي، ونفي الكيف، ومعنى ذلك أن هذه النصوص مستعملة في معان شرعية يعلمها الله، وليست مستعملة فيما يتبادر إلى الذهن من وضعها اللغوي المعروف، فليست صفة (الاستواء)، كما نعرف من معناها في الوضع اللغوي، وهو الجلوس والاستقرار، ولكن يقال مثلا: استوى على عرشه كما قال: استواء يليق بجلاله.

وفي هذا المعنى يقول النَّوَويُّ: "اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين أحدهما وهو مذهب معظم السلف، أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها، بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها **ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى، وعظمته** مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم "[2].

ومَسلَكُ التَّفْويضِ مَبْنيٌّ على أساس أنَّ التكلم في الصفات وتعيين معنى لها قد يكونُ مَظْنونًا، والقَوْلُ بالظَّنِّ في العقائد غَيْرُ جائز فلفظ (استوى) مثلا يحتمل خمسة عشر معنى، فأيها نأخذ؟ وأيها ندع منها؟ كما قال: أبو بكر بن العربي؟[3]. وتساءل الإمام

1-ابن تيمية، **مجموع الفتاوى،** (مرجع سابق)، ج5، ص196.

2-محيي الدين يحيى النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،** (مرجع سابق)، ج3، ص19.

3- أبو بكر بن العربي، **العواصم من القواصم،** المحقق: الدكتور عمار طالبي، ط1. القاهرة: مكتبة التراث (د، ت)، ص214.

ابن العربي لماذا يُختار معنى قعد وجلس دون غيره، ولا قرينة قطعية مرجحة لذلك !

ومن هذه اللطيفة قيل مذهب السلف أسلم، وما ذاك إلا ما فيه من السَّلامةِ مِن تَعْيينِ مَعنًى قد يكونُ غَيْرَ مُرادٍ له تَعالى. ومنها يفهم أيضا تلك العبارة الشهيرة: "أَمِرُّوها كما جاءَتْ بلا تَفْسيرٍ" أي من غير تحديد معنى محتمل للفظة يقول الغزالي –رحمه الله–: وأكثر ما قيل في التأويلات ظنون وتخمينات، والعاقل فيه بين أن يحكم بالظن، وبين أن يقول أعلم أن ظاهره غير مراد، إذ فيه تكذيب للعقل، وأما عين المراد فلا أدري ولا حاجة إلى أن أدري، إذ لا يتعلق به عمل ولا سبيل فيه إلى حقيقة الكشف واليقين.

ولست أرى أن أحكم بالتخمين، وهذا أصوب وأسلم عند كل عاقل، وأقرب إلى الأمن في القيامة؛ إذ لا يبعد أن يسأل في القيامة ويطالب ويقال: حكمت علينا بالظن، ولا يقال له: لم لم تستنبط مرادنا الخفي الغامض الذي لم يؤمر فيه بعمل؟ وليس عليك فيه من الاعتقاد إلا الإيمان المطلق، والتصديق المجمل، وهو أن يقول: ﴿ **آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا** ﴾، (آل عمران، الآية: 7)، فهذه المطالبة في القيامة بعيدة، وإن كانت فالجواب عنها أسهل "[1]

ويقول الجُوَيْنيُّ: "قد اختلف مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق اعتقاد فحواها، وإجراؤها على موجب ما تبتدره أفهام أرباب اللسان منها .فرأى بعضهم تأويلها، والتزم هذا المنهج في آي الكتاب، وما يصح من سنن الرسول ﷺ، والذي نرتضيه رأيا، وندين الله به عقدا، اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع، وترك الابتداع. والدليل السمعي القاطع في ذلك؛ أن إجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة.

وقد درج صحب رسول الله ﷺ، ورضي عنهم، على ترك التعرض لمعانيها،

1– أبو حامد الغزالي، **قانون التَّأويل**، تح: محمود بيجو، ط1.المكتبة الشاملة الذهبية 1993م، ص 23–24.

ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها. فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغا ومحتوما، لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة. وإذا انصرف عصرهم، وعصر التابعين [رضي الله عنهم]، على الإضراب عن التأويل، كان ذلك قاطعا، وأنه الوجه المتبع، فحقت على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الرب تبارك وتعالى."[1]

ويقول العلامة ابن حجر العسقلاني: "مستند السلف قاطبة في الأخذ بما ثبت عندهم من آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ، فيما يتعلق بهذا الباب[الصفات] فآمنوا بالمحكم من ذلك **وفوضوا** أمر المتشابه منه إلى ربهم"[2]

وهذا الاحتمال كما ترى لا يقدح في تنزيه الله عن مخالفة الحوادث، كما لا يعطل النص عن معناه، وإنما يفوض علمه إلى الله سبحانه وتعالى ويسلَّم له فيه. وقد اتخذ كثير من أئمة أهل السنة والجماعة هذا الموقف، ونقلوا ذلك عن السلف رضوان الله عليهم، يقول التَّفْتازانيُّ: "والأدلة القطعية قائمة على التنزيهات، فيجب أن يفوض علم النصوص إلى الله تعالى، على ما هو دأب السلف، إيثارا للطريق الأسلم"[3].

وأنت ترى أن مذهب السلف متنازع في فهمه بين طائفتين إلا أنا لن نعدم قواسم مشتركة جامعة بين الطرفين تتلخص في الاعتصام بالكتاب والسنة، والجمع بين النقل والعقل وجعله خادما للنقل، ورفض التأويل، والإمساك عن الجدل في باب الصفات أو البحث عن تفاصيلها، استجابة لأمر النبي ﷺ، فقد رُوي أنه

1- الجويني، **العَقيدة النظامية في الأركان الإسلامية**، تح: محمد الزبيدي، بيروت: دار سبيل الرشاد 1992م، ص165-166.

2- ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، (مرجع سابق)، ج13، ص351.

3-التفتازاني، **شرح العقاد النسفية**، أحمد حجازى السقا، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية 1987م، ص35.

سمع جماعة يتجادلون في القرآن والقدر، فخرج ﷺ، مغضبا وقال: "إنَّ القرآنَ لم ينزلْ لتَضرِبوا بعضَه ببعضٍ، ولَكنْ يُصدِّقُ بعضُه بعضًا، فَمَا عرفتُم منْهُ فاعمَلوا بِه، ومَا تشَابهَ عَليكُم فآمِنوا بِه"[1]

ولعل إمساكهم عن الجدل يعتبر من أهم السمات التي تميزوا بها عن غيرهم، يقول الشّوكاني: "ومذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل. وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات **تلوا عليه الدليل وأمسكوا عن القال والقيل، وقالوا: قال الله هكذا، ولا ندري بما سوى ذلك، ولا نتكلف ولا نتكلم بما لا نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته**. فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه، وما حفظوه عن رسول الله ﷺ، وحفظه التابعون عن الصحابة، وحفظه من بعد التابعين عن التابعين، وكان في هذه القرون الفاضلة الكلمة في الصفات متحدة والطريقة لهم جميعا متفقة وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به، وكلفهم القيام بفرائضه"[2].

وقد التزم بمنهجهم هذا من اقتدى أثرهم، وسلك مسلكهم من الأئمة والتابعين، فقد روي عن إمام دار الهجرة قوله عندما سئل عن حقيقة الاستواء: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[3].

1-الألباني، **السلسلة الصحيحة**، ورقم الحديث 1523.ط1.الرياض: مكتبة المعارف، 1995م، ج4، ص28؛ وقال: إسناده حسن.

2- محمد بن علي الشوكاني، **التحف في مَذَاهِب السّلف**، تح: محمد حلاق، ط1.القاهرة: مكتبة ابن تيمية 1415هـ، ص36.

3- نقلا عن: البيهقي، **الأسماء والصفات**، تحق: عبد الله الحاشدي، ط1.جدة: مكتبة السوادي، 1993م، ج2، ص305.

الضابط الثالث: عدم إدراك حقيقة صفاته، لأن صفاته كذاته فكما لا يمكن إدراك حقيقة الذات، كذلك لا يمكن إدراك حقيقة الصفات[1] قال تعالى: ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾، (طه، الآية:110).

ولهذا " سكت عنه الصحابة ومن سلك سبيلهم بل نهوا عن الخوض فيها لعلهم بأنه بحث عن كيفية ما لا تعلم كيفيته بالعقل، لكون العقول لها حد تقف عنده، ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات، وكيفية الصفات ومن توقف في هذا، فليعلم أنه إذا كان حجب عن كيفية نفسه مع وجودها، وعن كيفية إدراك ما يدرك به فهو عن إدراك غيره أعجز "[2].

ويؤيد الشيخ محمد عبده هذا ويقول:"يكفينا من العلم بها أن نعلم أنه متصف بها، أما ما وراء ذلك فهو مما يستأثر هو بعلمه، ولا يمكن لعقولنا أن تصل إليه، ولهذا لم يأت الكتاب العزيز، وما سبقه من الكتب إلا بتوجيه النظر إلى المصنوع، لينفذ منه إلى معرفة وجود الصانع، وصفاته الكمالية، أما كيفية الاتصاف، فليس من شأننا أن نبحث فيه"[3].

3-1-2-علاقة الصفات بالذات الإلهية:

أخذت قضية العلاقة بين الذات والصفات حيزا غير قليل في فضاء الفكر الإسلامي وبخاصة عند علماء العقيدة، بحيث لا يكاد يخلو منها كتاب من الكتب المعتبرة، وقد انقسمت بسببها مذاهب الإسلاميين إلى مذاهب شتى، وتفرقوا حيالها فرقا متباينة المنحى تأثرا بقضايا فلسفية حينا، وردا على قضايا لاهوتية أحيانا أخرى.

والمتأمل فيما وصلنا من إنتاج فكري في هاته القضية يجد أن آراء الإسلاميين قد

1-ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات**، (مرجع سابق)، ص115.

2-ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، (مرجع سابق)، ج13، ص35.

3- محمد عبده، **رسالة التوحيد**، (مرجع سابق)، ص27.

استوفت القسمة العقلية كاملة بصورها الأربع: فهي إما أن الصفات هي عين الذات، وإما أنها غير الذات، وإما أنها هي الذات وغيرها، وإما أنها لا هي الذات ولاهي غيرها.

تلكم هي القضية في تصور الدارسين لها، كأن القضية قضية فكر ونظر لا مسألة عقيدة وروح. لقد كانت العقيدة عند جيل الصحابة تستهدف في المقام الأول أن توفر على العقل جهده فيما لا قبل به، وتوجه سلوك الإنسان إلى ما تحته عمل، لكنها تحولت عند المتأخرين إلى جدل في الدين، ولعل هذه أحد منزلقات الفكر الكلامي عندما بحث فيما لا طائل من ورائه، ولم يرد به تكليف، وكان يكفيه أن يدعو الناس إلى ما دعاهم إليه القرآن الكريم، وهوا لإيمان بالله، وبأن له تعالى صفات كمال ثابتة له فحسب، يقول محمد عبده: " فالذي يوجبه علينا الإيمان هو أن نعلم أنه موجود لا يشبه الكائنات أزلي أبدي حي عالم مريد قادر متفرد في وجوب وجوده، وفى كمال صفاته، وفى صنع خلقه، وأنه متكلم سميع بصير، وما يتبع ذلك من الصفات التي جاء الشرع بإطلاق أسمائها عليه، أما كون الصفات زائدة على الذات.. ونحو ذلك من الشئون التي اختلف عليها النظار، وتفرقت فيها المذاهب فمما لا يجوز الخوض فيه إذ لا يمكن لعقول البشر أن تصل إليه، والاستدلال على شيء منه بالألفاظ الواردة، ضعف في العقل وتغرير بالشرع "[1].

ويقول ابن حجر العسقلاني: "ثم إن هؤلاء قد ارتكبوا أنواعا من المحال لا يرتضيها البله، ولا الأطفال لما بحثوا عن تحيّز الجواهر والألوان والأحوال، فأخذوا فيما أمسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلقات صفات الله تعالى، وتعديدها واتحادها في نفسها، وهل هي الذات أو غيرها، وغاية علم العالم أن يقطع بوجود فاعل لهذه المصنوعات منزه عن الشبيه مقدس عن النظير متصف بصفات الكمال "[2].

1-محمد عبده، **رسالة التوحيد**، (مرجع سابق)، ص27.

2-ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، (مرجع سابق)، ج13، ص35.

والواقع إننا قد نحسن الظن بأسلافنا في إثارتهم لهذه المباحث، وربما التمسنا لهم مبررات موضوعية، ودواعي تاريخية استدعت ذلك، لكن طرح هاته القضايا من جديد وقد فقدت مبررات وجودها، يعد ضربا من الترف الفكري، والغفلة عن فهم الواقع. ومن جانب آخر، أن الجدال فيما ليس تحته عمل قد يورث الشحناء في النفوس، ويزرع الشك في القلوب في كثير من الأحيان، والأدهى أكثر من ذلك أن تتحول الساحة الفكرية إلى حلبة صراع، يبلغ أحيانا حد التكفير كما هو حاصل مما ينذر – لا قدر الله– بذهاب الريح. وللباحث أن ينظر إلى هذه الخلافات في مظانها من كتب الفرق المختلفة ليتأكد بنفسه على صدق ما نقول.

3-2- الإيمان بالصفات تفصيلا:

بعد أن تحدثنا فيما سبق عن الصفات عموما، نأتي الآن للحديث عنها تفصيلا، لكن الحديث التفصيلي أشبه بالمتعذر لأن الصفات غير محصورة بعدد، لذلك فإننا سنعمد للحديث التفصيلي لصفة الوحدانية، باعتبارها أهم أساس في هذه العقيدة الإسلامية، ومن أبرز سماتها التي تميزها عن العقائد الأخرى، حتى صارت عنوان الملّة فيقال: "عقيدة التوحيد"، و"ديانة التوحيد" ويراد بذلك: "العقيدة الإسلامية". ثم نختار صفتي: العليم والتواب لما لهما من دلالات نفسية، كما سوف نختار صفتين أخريين كالرقيب والعدل لما لهما من دلالات اجتماعية كما سنبين.

والمتأمل في القرآن الكريم يجده خصص مساحة واسعة لصفة الوحدانية لله تعالى، كما لم يخصص أي مسألة إلهية أخرى حتى مسألة الوجود الإلهي نفسه؟ وما ذاك إلا لأنها كثيرا ما تكون عرضة للانحراف في التصور، كما هو الحال عند اليهود الذين جعلوا الله شبيها بالمخلوقات، وحال النصارى الذين يؤمنون بالألوهية، لكن انحرافهم كان في الوحدانية حيث قالوا بالتثليث، وينطبق هذا الحال على المسلمين، حيث انحرفوا في فهم عقيدة التوحيد، وبخاصة في عهود الانحطاط. ولذلك جاء الوحي يوليها الاعتبار اللازم في التقرير والتدليل والتصحيح.

3-2-1- الوحدانية: التوحيد في الإسلام هو كل الإسلام، والقرآن كله يدور حول التوحيد، وفي هذا المعنى يقول ابن قيم الجوزية:" إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه؛ فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته وأمره ونهيه، فهي حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب؛ فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد."[1]

وكلمة التوحيد أن لا إله إلا الله تشير إلى أن الله هو المتفرد بالخلق والتدبير والضرر والنفع والمنع والعطاء، وهذا يستلزم أنه لا يستحق العبادة إلا هو، وأن لا يتوجه بالإرادة والقصد إلى غيره، وأن يظهر أثر كل ذلك على لسان العبد وأفعاله.

هذا، وأن أفراد الله بالعبادة، وهو الذي يسمى بتوحيد الألوهية، يتضمن توحيد الربوبية، فصار عندنا التوحيد نوعين:

أولا-توحيد الربوبية[2]: كالإقرار بأنه خالق كل شيء، والمتصرف فيه، والمربي لغيره والمتكفل بمصلحة الإنسان، وصاحب السلطان والسيادة النافذ أمره في غيره، ومعاني الربوبية هذه وما تتضمنه أو تستلزمه من معاني أخرى لا يوصف بها ولا يملكها على وجه الكمال والحقيقة إلا الله تعالى، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه،

1-ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، ط2.الرياض: دار عطاءات العلم، 2019م، ج4، ص449-450.

2-الرب لغة: مصدر رب يرب ربا فهو راب، فمعنى قوله تعالى:﴿ **رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾: راب العالمين، فإن الرب – سبحانه وتعالى – هو الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم، المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية وإصلاح دين ودنيا. ينظر: المقريزي، **تجريد التوحيد المفيد**، المحقق: طه محمد الزيني، ط1.المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، 1989م، ص 5.

وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به لكونه من البدهيات التي لا توجد بدهية أخرى مثلها في الوضوح والظهور[1]، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿ **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ** ﴾، (إبراهيم، الآية:10).

وقد سبق -فيما سلف- أن هذا التوحيد يستلزم توحيد الألوهية، لأن من يعتقد أن الله هو الخالق الرازق، فينبغي أن يتجه إليه بالطاعة والحب والخوف والرجاء، لذلك كان هذا النوع من التوحيد لا يكفي صاحبه للدخول في الإسلام؛ ولذلك قاتل الرسول ﷺ، المشركين مع أنهم كانوا يقرون بأن الله سبحانه -وحده- وحده خالقهم، وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله[2].

وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك فقال: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾، (الزخرف، الآية: 87)، وقال: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ** ﴾، (العنكبوت، الآية: 63). وقال: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾، (يونس، الآية: 31).

ولا غرو أن يجهد علماء العقائد أنفسهم في تقرير هذا النوع من التوحيد، لأن جحوده يعني التعطيل وخلو العالم عن أن يكون له إله حقيقي، إنه جحود الدهريين ومن في حكمهم، الذين سجل لنا القرآن مقالتهم في قوله: ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا**

1- ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، ط10. بيروت: مؤسسة الرسالة 1997م، ج1، ص 25؛ عبد الكريم زيدان، **أصول الدعوة**، (مرجع سابق)، ص19وما بعده.

2-المقريزي، **تجريد التوحيد المفيد**، (مرجع سابق)، ص 7.

يَظُنُّونَ ﴾، (الجاثية الآية: 24). غير أن هذا التوحيد يظل ناقصا ما لم يقترن بتوحيد العبادة، وهو ما سنتكلم عنه الآن.

ثانيا- توحيد الألوهية: ويقال له أيضا: توحيد العبودية، وتوحيد الإرادة، وتوحيد القصد والطلب، و توحيد الله بأفعال المكلفين.ومعناه: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، بمعنى: إن العباد يتخذونه سبحانه محبوبا مألوها، ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات، والتوبة والنذر والطاعة، والطلب والتوكل ونحو هذه الأشياء[1]. والتوجه بها لله سبحانه وتعالى وحده دون سواه، سواء كان هذا العمل من أعمال القلوب أو من أعمال الجوارح.

وهذا النوع من التوحيد يتضمن توحيد الربوبية الذي أشرنا إليه سابقا، وبه تكتمل دائرة التوحيد، فكأن هذا النوع من التوحيد هو قوس الصعود من الخلق إلى الحق، أما توحيد الربوبية فهو قوس النزول من الحق إلى الخلق.

وإذا أردنا أن نلخص هذا التوحيد بوجيز العبارة قلنا: إنه توحد الإنسان المؤمن في اتجاهه نحو الحق سبحانه وتعالى، بحيث يصير كأنه إبرة البوصلة في إشارتها للجهة. ذلك لأن الاعتراف بخالقية الله وتصريفه لشؤون هذا الكون – كما مر بنا آنفا في الآيات السابقة – ثم التوجه بالقصد وبغاية التذلل المشرب بحب لغيره يعني ازدواجية في الموقف، إذ كيف يتأذى مع الإقرار بالخالق الرازق، أن يكون غيره هو المقصود. ولذلك جاء في الأثر القدسي: "إِنِّي وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِي نَبَإٍ عَظِيمٍ: أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ سِوَايَ، خَيْرِي إِلَى الْعِبَادِ نَازِلٌ، وَشَرُّهُمْ إِلَيَّ صَاعِدٌ، أَتَحَبَّبُ إِلَيْهِمْ، بِنِعَمِي، وَأَنَا الْغَنِيُّ عَنْهُمْ، وَيَتَبَغَّضُونَ إِلَيَّ بِالْمَعَاصِي، وَهُمْ أَفْقَرُ شَيْءٍ إِلَيَّ "[2]؟!.

1-المقريزي، **تجريد التوحيد المفيد**، (مرجع سابق)، ص 5.

2-أخرجه الطبراني في **مسند الشاميين** (974، 975)، والبيهقي في **الشعب** (4563) من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفير وشريح بن عبيد الحضرميان عن أبي الدرداء رضي الله عنه؛ وأورده ابن قيم الجوزية، **مدارج** =

وأيا ما كانت درجة هذا الأثر، فإن هذا الحديث صحيح المعنى، ويشهد له احتجاج الله – سبحانه وتعالى – في القرآن الكريم على أقوام كانت سلوكياتهم في توحيد العبودية والقصد منافية لعقيدتهم في توحيد الخالقية و الربوبية. قال تعالى: ﴿ **قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾، (النمل، الآيات: 59- 64). وكلما ذكر تعالى من آياته جملة من الجمل قال عقبها: ﴿ **أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ** ۚ ﴾ ؟، وأنت ترى أن هذه الآيات تبين أن الله سبحانه وتعالى يحتج على منكري الإلهية بإثباتهم الربوبية[1].

وهكذا يتجلى أن توحيد الربوبية هو المقدمة لتوحيد الألوهية والخطوة الأولى التي توصل إليه، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾، (البقرة، الآيتان: 21-22). وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه الصلاة وأزكى التسليم: ﴿ **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا**

= **السالكين**، (مرجع سابق)، ج1، ص212.قال الألباني: إسناده ضعيف، ينظر: **السلسلة الضعيفة** رقم: (2371).

1-المقريزي، **تجريد التوحيد المفيد**، (مرجع سابق)، ص8.

﴿ **مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾، (الأنعام، الآية:79). فالله سبحانه وتعالى يستحق العبادة وحده؛ لأنه هو الخالق والرازق وحده، وبذلك يتم الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

ومن لدن هاته المشكاة جاء دعاؤه ﷺ، الواجف الذي يقول فيه: "اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بذنبي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ "[1].

3-2-2- ما يضاد التوحيد وينافيه: والذي ينافي التوحيد ويضاده الشرك، يقال في اللغة شركته في الأمر إذا صرت له شريكا، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** ﴾، (طه، الآية:32)، والشرك بالله أعظم الظلم لقوله تعالى: ﴿ **يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾، (لقمان، الآية:13)، ولقوله عليه الصلاة والسلام:" أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ "[2].

أولا-حقيقة الشرك: هو أن يعتقد إنسان في بعض المعظمين من الناس أن الآثار العجيبة الصادرة منه إنما صدرت لكونه متصفا بصفة من صفات الكمال مما لم يعهد في جنس الإنسان، بل يختص بالواجب جل مجده لا يوجد في غيره إلا أن يخلع هو خلعة الألوهية على غيره [3]، وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يقبل معه عمل صالح، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾، (الأنعام، الآية:88)، وقال الله لرسوله ﷺ، ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾، (الزمر، الآية:65). لأن أول شرط لقبول العمل وصلاحه أن يكون خالصا لله.

1-أخرجه البخاري، **في صحيحه،** كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح، (مصدر سابق)، ج8، ص71.

2-أخرجه البخاري، **في صحيحه،** كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، (مصدر سابق)، ج8، ص4

3-ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة،** تح: سيد سابق، (مرجع سابق)، 2012م، ج1، ص119وما بعده.

رُوي عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه– قال: سألت رسول الله ﷺ، أي الذنب أكبر عند الله ؟ قال: "أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ"[1]. ومن هذا يتبين مدى اهتمام القرآن والسنة المطهرة ببيان الشرك والتحذير من خطورته، وهذه العناية ظاهرة في الكتاب وأطوار سيرته ﷺ.

ثانيا– أسباب الوقوع في الشرك: للوقوع في الشرك أسباب عدة: أهمها **النسيان والغفلة** عن جلال الله بالكلية، فيصير المرء لا يعبد إلا الشركاء، ولا يرفع حاجته إلا إليهم، ولا يلتفت إلى الله أصلا، وإن كان يعلم بالنظر البرهاني أن سلسلة الوجود تنصرم إلى الله، ومنها **الجهل وسوء المعرفة** وهو أن يعتقد أن الله هو السيِّد وهو المدبِّر، لكنه قد يخلع على بعض عبيده لباس الشرف والتألُّه، ويجعله متصرفا في بعض الأمور الخاصة[2]، ومن أسباب الشرك **تقليد الكبراء والآباء والتأثر بالبيئة والتقاليد،** وعلى ذلك لابد من معرفة الله تعالى حق المعرفة، والسبيل إلى ذلك هو القرآن الكريم والسنة الشريفة قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمْ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾، (الحديد، الآية:16).

ثالثا–أنواع الشرك: الشرك نوعان:

1- الشرك الأكبر: وهو الذي يخرج صاحبه من الملِّة، وهذا النوع لا يغفره الله، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾، (النساء، الآية:48)، وصاحبه مخلد في النار، كما في قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ**

1–البخاري، **في صحيحه،** كتاب التوحيد، باب ذكر الله بالأمر وباب قول الله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا، (مصدر سابق)، ج9، ص152.

2–ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة،** (مرجع سابق)، 2012م، ج1، ص119. بتصرف يقتضيه السياق.

﴿ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾، (التوبة، الآية:17).

وهو نوعان: ظاهر وخفي

أ-الشرك الظاهر: وهو اعتقاد وجود الشريك مع الله تعالى في الخلق والرزق والإنعام والتدبير، قال تعالى:﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّا تُؤْفَكُونَ ﴾، (يونس، الآية:34)، وقال تعالى أيضا: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾، (الرعد، الآية:36). ثم الخضوع لغيره بالعبادة والقصد والطلب، وهذا ولا شك يعنى ازدواجية في الموقف. إذ كيف يتأدى مع الاعتراف بالخالقية والتدبير لله تعالى أن يكون غيره هو المقصود والمعبود ؟! ولذلك جعله الله من الشرك الأكبر سواء بصرف العبادة كلها أو جزءا منها لمن يراه أهلا للتعظيم. قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾، (الزمر، الآية:3)، وقوله تعالى أيضا: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، (يونس، الآية:18).

ب-الشرك الخفي: ومن الشرك الخفي الذي يدق عن كثير من الناس اتخاذ غير الله مشرعا، فيحل ما حرمه الله، ويحرم ما أحلّه الله من أجل ذلك حكم القرآن الكريم على أهل الكتاب بالشرك وسماهم مشركين؛ لأنهم أعطوا أحبارهم ورهبانهم حق التشريع، وقرن القرآن ذلك بعبادتهم للمسيح سواء بسواء، قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، (التوبة، الآية:31).

رُوي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ، وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي: "يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك"، فطرحته ثم انتهيت إليه وهو يقرأ: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾، حتى فرغ منها، قلت له: إنا لسنا نعبدهم، فقال: "أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه"؟ قال قلت: بلى، قال: "فتلك عبادتهم"[1].

2- **الشرك الأصغر**: ودون الشرك الأكبر توجد أنواع أخرى من الشرك، وهو الشرك الأصغر، وهو شرك لا يخرج صاحبه من الملّة، لكن يعَدُّ من كبائر الذنوب، وصاحبه على خطر عظيم ومن أمثلته الحلف بغير الله تعالى، والسحر، والتِّولَة، والنذر لغير الله، والرياء. والطيرة، وتعليق التمائم، ولبس الحلقة والخيط، وتسمية الأبناء بعبد العزى وعبد شمس، وسجود التحية، وقول ما شاء الله وشئت، فهذه كلها أشباح وقوالب للشرك، ولذلك نهى الشارع عنها، وهي كما ترى مراتب، منها ما هو حرام، ومنها ما هو مكروه كراهة تحريم. وفي النهي عن هذا الشرك نزل قول الله تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾، (الكهف، الآية:110). وجاء في الحديث القدسي:" أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ "[2].

3-3- أثر الأسماء والصفات الإلهية على سلوك الفرد والمجتمع:

يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي أن المسلم لم يتخل مطلقا عن عقيدته، حتى في أحلك الظروف التي مرت عليه، فلقد ظل مؤمنا متدينا، لكن عقيدته تجردت من فاعليتها، لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي، فأصبحت جذبية فردية، وصار الإيمان

1-أبو محمد البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، ج2، ص340.

2-رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله، (مصدر سابق)، ج4، ص2289.

إيمان فرد متحلل من صلاته بوسطه الاجتماعي[1].

ولذلك نعى ابن نبي -رحمه الله-على حركة الإصلاح الحديثة ممثلة في الشيخ محمد عبده اهتمامها الزائد بعلم الكلام، لأن مشكلة العالم الإسلامي من وجهة نظر ابن نبي لا تكمن في أن نبرهن للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي أن نشعره بوجوده، ونملأ به نفسه، ونرد إلى هذه العقيدة فاعليتها ووظيفتها الاجتماعية[2].

ولذلك ما فتئ ابن نبي يدعو إلى إنشاء علم جديد، لا هو بالكلام، ولا هو بالتصوف اقترح أن يسمى "تجديد الصلة بالله"[3]، ويبدو لي أن التعمق في الأسماء الإلهية تعلقا وتخلقا وتولها يمكن أن يكون مدخلا ممتازا لهذا العلم الذي دعا ابن نبي إلى ضرورة تأسيسه، وأن ما كتبه الإمام الغزالي في "المقصد الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى"، وما كتبه سعيد النورسي في "رسائل كليات النور"، يمكن أن تكون بذورا صالحة للتعميق والإثراء لو وجدت المتعهدين من ذوي الاختصاص.

والمتأمل في محاولة الغزالي يجدها تقوم على محاولة "التخلق" بالأسماء والصفات الحسنى على قدر الطاقة والوسع، حيث صور الغزالي الإنسان ذاتا ساعية في طريقها إلى غايتها القصوى، ومثلها الأعلى (الله سبحانه وتعالى)، صاحب الصفات المطلقة، فيشده هذا الشعور الفيَّاض في العلاقة بينه وبين مثاله إلى الزيادة في الاقتراب منه، ومحاولة التشبه به، والسعي أكثر نحو الاكتمال بقدر طاقتها إلى أن يصل إلى مقام العبودية الكاملة لله رب العالمين. اقتناع كامل منه – رحمه الله- بأن الله تعالى ما ذكر في القرآن الكريم أسماءه الحسنى، إلا لكي يأخذ الإنسان منها نصيبه في إطار بشريته، سواء في مجاله الفردي أم الاجتماعي. قال تعالى: ﴿ **وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ** ﴾، (آل عمران، الآية، 79)، وورد في الحديث القدسي: "مَن عادَى لي وَلِيًّا

1- مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، تر: عبد الصبور شاهين، ط1.دمشق: دار الفكر 2002م، ص54.
2- المرجع نفسه، والصفحة.
3-المرجع نفسه، والصفحة.

فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ"[1].

ولقد استطاع الفيلسوف محمد إقبال ومن خلال تأمله في اسم الله الخالق أن يستلهم فلسفته في الذات أو الإنية وهي فلسفة عارض بها إقبال الفلسفات السلبية السكونية الجامدة كلّها. إذ جعل إقبال الخلق والعمل أساس فلسفته مستلهما ذلك من حديث المصطفى **"إِنَّ خَيْرَ أَسْمَائِكُمُ الْحَارِثُ وَهَمَّامٌ"**[2] والحرث هو العمل والإنتاج، والهم هو العزم والإرادة، هذا هو جوهر الإنسان كل إنسان، وهي الحقيقة التي يفجرها فيه الدين الخاتم دين العمل والجهاد كما يقول إقبال بحق. وفي هذا المعنى يقول شعرا:

دع الشطآن لا تـركن إليهـا ... ضعيف عندها جرس الحياة
عليك البحر صارع فيه موجا ... حياة الخلد في نصب تواتي[3].

ولقد كان إقبال يرى أن مقصد الإنسان في هذه الحياة يكمن في مدى قدرته على اكتناه ذاته، وتنمية مواهبها وتوفير الأسباب لها، وكان يرى: أن هدف الإنسان الديني، والأخلاقي القرب من الله، ولهذا أثر عن الرسول قوله: "**تخلقوا بأخلاق الله**"[4]، فكلما شَابَه الإنسان هذه الذات الوحيدة، اقترب من الكمال[1].

1-رواه البخاري، **في صحيحه**، كتاب الرقاق، باب التواضع، (مصدر سابق)، ج8، ص105.

2- البخاري، **التاريخ الكبير**، تح: المعلمي اليماني، الدكن: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ج5، ص35.وقال: في إسناده نظر.

3.عبد الوهاب عزام، **محمد إقبال وفلسفته وشعره**، لندن: مؤسسة هنداوي 2014، م، ص173.

4- الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة**، ط1.بيروت: الناشر: مكتبة المعارف، ص2822.وقال لا يعرف له أصلا.

وعلى "الذات" أن تناضل ضد ما يحيط بها، وأن تقهره بدل الفرار منه، كما في بعض الفلسفات الإشراقية، وبهذا وحده تحصل الذات على حريتها، وفرديتها حتى تصل إلى مقام الخلافة هذا المقام الذي يمكن الحصول عليه عن طريق تربية الذات على المنهج الصحيح[2].

والمؤمن في العقيدة الإسلامية هو الإنسان القوي وقد جاء في الحديث النبوي: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ "[3].

والواقع إن استيحاء الصفات الإلهية واستحياءها. معنى ينتقل به علم التوحيد من نظريات عقلية صورية ومناقشات جدلية معروضة بلغة جافة – وهو الجانب السلبي الذي انتقده ابن نبي في الكلام – إلى أسلوب جديد يصبغ حياة المسلم بصبغة ربانية، تقود إلى المعنى الحقيقي للتوحيد بكماله من حيث إنّ التوحيد صلة بين الإنسان والخالق المعبود والحاكم المطلق في الوجود. واستدبار هذا المعنى: يعني الإعراض عن ذكر الله، وفي ذلك ما يجعل حياة صاحبه ضنكا في الدنيا قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰقَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ** ﴾، (طه، الآية:124-125).

ومن استقراء الأوضاع العالمية وارتفاع نسبة الانتحار والأمراض النفسية وجرائم السرقة والاغتصاب، نشعر بأهمية الإيمان بالله في حياة الفرد، فالإيمان بالله يعمل على انتشال الفرد من الكثير من العقد النفسية، ومن حالات القلق والاهتزاز

---

1. محمد إقبال، **ديوان الأسرار والرموز**، تر: عبد الوهاب عزام، تح: سمير عبد الحميد إبراهيم، ط2. القاهرة: دار الأنصار 1981م، ص16.

2-لمن يشاء أن يستزيد فلينظر ما كتبناه عنه: عبد الوهاب فرحات، **فكرة الإنيّة (خودي)عند محمد إقبال**، مقال منشور في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة2011م، العدد28، ص135-149.

3. أخرجه مسلم في **الجامع الصحيح**، عن أبي هريرة. كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله، (مصدر سابق)، ج4، ص1052.

النفسي وتجعله يتقبل ذاته بواقعية ويشعر بمعية الله التي تمنحه الإحساس بالقوة، وهذه من عوامل اكتساب الصحة النفسية التي هي أهم عوامل النجاح. وصدق الله حيث يقول: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾، (الأنعام، الآية:82).

3-3-1- الجانب النفسي: وسوف نختار صفتين من الصفات الإلهية وهما صفتا العليم والتواب، لنرى دلالتهما من الناحية النفسية، ولكي نرى أثرهما على الفرد من باب قياس مما ذكر مما لم يذكر كما يقال.

فنقول: "إن العلمُ المحيط بكل شيء ضروري لتلك الذات العليّة: "فهذا الصانع الجليل الذي يوجِد ويتصرّف بأفعاله الظاهرة في هذا الكون، له علمٌ محيط بكل شيء، وإن ذلك العلمَ خاصّةٌ لازمة ضرورية لذاته الجليلة، محالٌ انفكاكه عنها، إذ كما لا يُتصوَّر وجودُ ذات الشمس بلا ضياء، كذلك الصانع الجليل الذي أوجد هذه الموجودات بانتظام رائع –لا يمكن بألوف المرات– أن ينفكّ علمُه عنه.وفي الكون من العلامات والآيات المبثوثة ما لا يعد ولا يحصى كلُّها تشير إلى هذه الحقيقة، نورد منها ما يأتي:

إن جميع المقادير المنتظمة المشاهَدة في الموجودات كلها، والأشكال التي فُصِّلت على وفق الحِكَم والمصالح، والهيئات المنتجة، والأوضاع المثمرة التي نظّمت على وفق دساتير القضاء وضوابط القدر، إنما تدل على علم محيط.نعم، تصوير الأشياء على اختلافها تصويراً منتظماً، وتشكيلُ كل شيء بشكل مخصوص به وملائم لوجوده ولمصالح حياته، إنما يكون بعلم محيط، لا غير.

وهكذا فالأمارات المذكورة وأمثالها من ألوف العلامات الصادقة تدل على أن الرب الجليل الذي يدبّر شؤون الكون ويصرّف أموره، له علمٌ محيط بكل شيء. فهو الذي يحيط علمُه بجميع شؤون الشيء ويأتي عملُه فيه وفق ذاك.وحيث إن رب

العالمين له علم كهذا فلابد أنه يرى الإنسان أيضاً وأعمال الإنسان كذلك ويعلم ما يليق به وما يستحقه فيعامله بمقتضى حكمته ورحمته"[1].

ولا شك أن الإنسان إذا استشعر هاته الصفة من صفات الله تعالى أثمرت سلوكا قويما في واقع الحياة المعيش، وحملته على الابتعاد عن الكبائر وعن الجرائم التي تسمم الحياة الاجتماعية، كالقتل والزنا والسرقة والقمار، وعندما يتذكر الإنسان هذا الاسم، ويستشعر جهنم والغضب الإلهي فإنه يستطيع تجنب السوء والمعصية بسهولة.

أما الصفة الثانية والتي نريد أن نتحدث عنها الآن وهي صفة "التواب"، فلو إن إنسانا اقترف من كبائر الذنوب الشيء الكثير، واستشعر قول الله عز وجل: ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ** ﴾، (الحديد، الآية:16)، وقوله: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾، (الزمر، الآية 53)، وفكر في هاته الصيغة "التواب"، لوجدها تمثل الأمل لكل قانط ويائس، فليس للعبد عندئذ إلا أن يدق الباب، فمن داوم على الطرق فتح له، نعم إنها تمثل الأمل العريض في الرحمة الإلهية التي تحول اللصوص إلى خصوص، قال تعالى: ﴿ **فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾، (الفرقان، الآية:70).

واستشعار هذا الاسم "التواب" يعطي للإنسان ايجابية في الحياة، لأنه يدرك من خلاله قابلية الإنسان للخطأ، واستعداده للنسيان، على أن يعلم أن عفو الله قريب، ومن حضرته مجيب وصدق الرسول ﷺ: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"[2].

1- سعيد النورسي، **الكلمات، المكتوب العشرين**، تر: إحسان الصالحي، ط7. اسطنبول: دار سوزلر للنشر 2013م 299ومابعده

2- الترمذي، **السنن**، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع باب، (مرجع سابق)، ج4، ص 559. وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعَدَةَ عَنْ قَتَادَةَ

3-3-2- الجانب الاجتماعي: وسنختار صفتين ذاتا أبعاد اجتماعية وهما الرحمة والعدل، وتتجلى هاته الرحمة في "عناية الأمهات بأولادهن الضعاف العاجزين – سواء في النبات أو الحيوان أو البشر– عناية ملؤها الرأفة والرحمة، وتغذيتها بالغذاء اللطيف السائغ من اللبن، تريك عظمة التجليات، وسعة الرحمة المطلقة "[1].

وتأمل عالم الحيوان تجد أن الأسد الجائع يؤثر شبله الضعيف على نفسه بما يظفر به من قطعة لحم، وهجوم الدجاج الجبان على الكلب والأسد حفاظا على فراخه الصغيرة. وإعداد شجرة التين لصغارها –التي هي ثمارها– لبنا خالصا من الطين.. كل ذلك يدل بداهة –لأهل البصائر– على أنها حصلت بأمر الرحيم الذي لا نهاية لرحمته.. وأن قيام النباتات والحيوانات –التي لا وعي لها ولا شعور– بأعمال في منتهى الوعي والشعور والحكمة، يبين بالضرورة أن عليما مطلقا وحكيما مطلقا هو الذي يسوقها إلى تلك الأعمال، وهي بأمره تأتمر[2].

فحُسن تربية صغار الحيوانات وضعافها، وإعاشتُها بسهولة ولطف ظاهريين تريانا أن مالك هذه الكائنات يسيّرها بربوبية لا حدّ لرحمتها. فهل يعقل لهذه الربوبية المتصفة بكمال الشفقة والرأفة ألّا تستجيب لأجمل دعاء لأفضل مخلوق؟[3].

ولو أن المؤمنين استوحوا هاته الصفة وحاولوا بكل ما أوتوا من جهد أن يتخلقوا بها فأي أثر يمكن أن يعود على المجتمع بعد ذلك؟ إن المجتمع الذي لا تسوده الرحمة، لهو مجتمع ممزق الأوصال، منهار البنيان، ولما كان الإسلام يحرص إلى إقامة مجتمع متكاتف ومتساند فإن لحمة هذا المجتمع وسداه ينبغي أن تكون الرحمة، وتأمل قوله ﷺ: "الرَّاحمونَ يرحمُهُمُ الرَّحمنُ. ارحَموا من في الأرضِ يرحَمْكم من في السَّماءِ، الرَّحمُ شُجْنةٌ منَ الرَّحمنِ فمن وصلَها وصلَهُ اللَّهُ ومن قطعَها قطعَهُ

1-بديع الزمان النورسي، **الكلمات**، تر: إحسان قاسم الصالحي، (مصدر سابق)، ص68.

2- المرجع نفسه، ص 127.

3- المرجع نفسه، ص، ص74.

اللَّهُ "[1]. وقوله: "إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"[2].

لذلك نقول: إن تخليق الناس بخلق الرحمة هي المدخل الطبيعي إلى تقوية الشبكة الاجتماعية للأفراد، ومن خلاله ينبغي أن نسعى إلى تطوير المجتمعات الإسلامية اجتماعيا واقتصاديا.

أما الاسم الثاني الذي وقع عليه اختيارنا فهو اسمه "العدل" لما له أيضا من دلالات اجتماعية، والعدل يعني من بين ما يعني "منح كل شيء وجودا بموازين حساسة، وبمقاييس خاصة، وإلباسَه صورة معينة، ووضعَه في موضع ملائم...وكذا، إعطاء كل ذي حق حقَّه وفق استعداده ومواهبه، أي إعطاء كل ما يلزم، وما هو ضروري لوجوده، وتوفير جميع ما يحتاج إلى بقائه في أفضل وضع، يدلّ على أن يد عدالة مطلقة هي التي تُسيّر الأمور"[3]. فاستيحاء هاته المعاني يرفع الظلم بين الناس، ويمكن كل فرد من أفراد الأمة أن يعيش المعيشة الكريمة غير ممنوع ولا محروم، وأن يمكَّن من استغلال مواهبه بما يحسن حياة الأمة، ويرفع من مستواها المادي والروحي، ومن ثم يعم المجتمع الأمن والسلام، ومن المعلوم أن خراب العمران، وفساد المجتمعات إنما مرده إلى الظلم كما يقول ابن خلدون وهو معنى عبر عنه بقوله: "ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال، أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب، كما هو المشهور، **بل الظلم أعم** من ذلك، وكل من أخذ ملك أحد، أو غصبه في عمله، أ وطالبه بغير حق، أو فرض عليه حقاً لم يفرضْهُ الشرع، فقد ظلمه. فجُباةُ الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمنتهبون لها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، وغُصّاب الأملاك على العموم

1-رواه الترمذي، **صحيح الترمذي**، أبواب البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين، (مصدر سابق)، ج4، ص323.وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

2- رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، (مصدر سابق)، ج4، ص1004.

3-بديع الزمان النورسي، **الكلمات**، تر: إحسان قاسم الصالحي، (مصدر سابق)، ص70.

ظلمة، ووبالُ ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لإذهابه الآمال من أهله"[1].

والعدل يمكن أن يتجلى في أكثر من مظهر، وإن شئنا الدقة قلنا إن العدل قاعدةٌ كليةٌ تجري عليها حالاتٌ شتى، وهو ما كان ملحظا لشاه ولي الله الدهلوي بقوله في نص دال على ما نحن بصدده إن "العدالة": إذا اعتُبرت بأوضاع الإِنسان في قيامه، وقعوده، ونومه، ويقظته، ومشيه، وكلامه، وزيه، ولباسه، وشعره سميت أدباً. وإذا اعتبرت بالأموال وجمعها وصرفها سميت كفايةً أي [اقتصاداً]. وإذا اعتبرت بتدبير المنزل سميت حرية. وإذا اعتبرت بتدبير المدينة سميت سياسة. وإذا اعتبرت بتألف الإخوان سميت حسن المحاضرة أو حسن المعاشرة. والعمدة في تحصيلها الرحمة والمودة، ورقة القلب وعدم قسوته مع الانقياد للأفكار الكلية والنظر في عواقب الأمور"[2].

ولنا أن نتساءل لو أن البشر تمثلوا هذا الخلق في حياتهم، فهل يمكن أن تقوم بين البشر هاته الحروب المدمرة، والصراعات الدامية، والتي أدت إلى الكثير من الأزمات السياسية، والهجرات السكانية غير المسبوقة، بالإضافة إلى توزيع غير عادل للثروة، وتناقص في الموارد الطبيعية، وتلوث ينذر بالخطر على البيئة، وارتفاع في حدة العنف، وتكدس مخيف للأسلحة النووية من الممكن أن يؤدي إلى اندلاع حروب كونية كفيلة بالقضاء على جميع مظاهر الحياة فوق سطح الأرض؟

إن المجتمعات التي لا يسودها العدل، وتغيب فيها معاني الأسماء الحسنى، لهي مجتمعات تعمها الفوضى ويسودها الصدام والصراع، وينخرها فساد ضمائر الخلق من الجور، وإن ما تشقى به الإنسانية اليوم، إنما مرده إعراضها عن منهج الله – بل

1- ابن خلدون، **المقدمة**، تح: عبد الله محمد الدرويش، ط1. دمشق: دار يعرب 2004م، ص478.

2-ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، تح: سعيد البالنبوري، ط3. دمشق: دار ابن كثير 2017م، ج2، ص224-225.

إعلانه "موته" كما حلم بذلك نيتشه- واستغنائها عنه بما تجود به عقول فلاسفتها ومختبراتها، وهو معنى أدركه محمد إقبال بثاقب نظره فقال: "الرجل العصري بما له من فلسفات نقدية وتخصص علمي يجد نفسه في ورطة، فمذهبه الطبيعي قد جعل له سلطانا على قوى الطبيعة لم يسبق إليه، لكنه قد سلبه إيمانه في مصيره هو. الإنسان العصري وقد أعشاه نشاطه العقلي كف عن توجيه روحه إلى الحياة الروحانية الكاملة أي إلى حياة روحية تتغلغل في أعماق النفس، وهو في حلبة الفكر في صراع صريح مع نفسه، وهو في مضمار الحياة الاقتصادية والسياسية في كفاح صريح مع غيره، وهو يجد نفسه غير قادر على كبح أثرته الجارفة، وحبه للمال حبا طاغيا يقتل كل ما فيه من نضال سام شيئا فشيئا، ولا يعود عليه منه إلا تعب الحياة، وقد استغرق في " الواقع " أي في مصدر الحس الظاهر للعيان، فأصبح مقطوع الصلات بأعماق وجوده، تلك الأعماق التي لم يسبر غورها بعد"[1].

الفصل الثاني

1- محمد إقبال، **تجديد التفكير الديني في الإسلام**، ترجمة عباس محمود، ط. بيروت: دار آسيا، 1985م، ص214 وما بعده.

الإيمان بالملائكة

تمهيد:

الإيمان بالملائكة أصل من أصول العقيدة، وهم خلق الله، وعباده وجنوده، لا يعصونه، ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، وهم أجسام نورانية لطيفة، قادرة على التمثل بأمثلة مختلفة، وهم ليسوا سواء في شكلهم وخلقهم. والإيمان بوجود الملائكة وبأوصافهم التي جاءت في القرآن والسنة الشريفة جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية.

1- التعريف اللغوي:

والملَكُ بفتحتين، وهو واحد الملائكة، والأصل مَأْلَك فقدموا اللام وأخروا الهمزة، فقالوا مَلْأَك، وهو مَفْعَل من الألوك، وهي الرسالة[1]. وقال صاحب "معجم مقاييس اللغة": (ألك) الهمزة واللام والكاف أصل واحد، وهو تحمل الرسالة. قال الخليل: الألوك الرسالة، وهي المألكة على مفعلة. قال: وإنما سميت الرسالة ألوكا لأنها تؤلك في الفم، مشتق من قول العرب: الفرس يألك باللجام ويعلكه: إذا مضغ الحديدة. وقول العرب: " ألكني إلى فلان "، المعنى تحمل رسالتي إليه[2].

2-دليل وجود الملائكة:

القرآن الكريم تحدث عن وجود الملائكة، حتى أن الله تعالى قد ذكرهم ثمانيا

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تح: مهدي المخزومي، ط1.بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (د، ت)، ج5، ص380.

2-أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، ط1. بيروت: دار الفكر 1979م، ج1، ص132-133؛ وينظر أيضا: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط1.القاهرة: دار الكتب المصرية 1964م، ج1، ص 262.

وْثمانين مرة، ومن ذلك ما ورد في قوله عز وجل: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِين قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ** ﴾. (البقرة، الآيات 30-33)، وفي معيار العقل الصريح لا مبرر لإنكارهم لأنه لا يرتب على وجودهم استحالة عقلية، وكل ما كان كذلك، فإن وجوده يكون ممكنا عقلا، فإذا جاء النَّص اليقيني الثبوت بما يفيده وجوده، فلا مناص من الإيمان بذلك عقلا، وهنا يتظافر دليل العقل مع دليل النقل [1].

وهم على كل حال من عالم الغيب الذي لا يحيط بإدراك كنهه، وعوالمه، ومن فيه، سوى خالقه، أو من ارتضى من رسول قال تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾، (الجن، الآيتان 26-27).

3- دليل وجوب الإيمان بالملائكة:

ودليل وجوب الإيمان بالملائكة نجده في آيات قرآنية كثيرة، منها قوله عز وجل: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾. (البقرة، الآية 285). وقوله في آية أخرى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾، (النساء، الآية 136).

1- محمد نصَّار، **عناصر العقيدة الإسلامية**، مجلة المسلم المعاصر، العدد 69-70. أوت وجانفي سنة النشر 1994م، ص41.

وكما جاء في حديث جبريل المشهور الذي منه: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ. وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"[1]. "ووجه دخول التصديق بهم في حقيقة الإيمان، أن الله وسطهم في إبلاغ وحيه لأنبيائه، وبيَّن ذلك في كتابه، وتحدث الصادق المصدوق ﷺ عنهم في كثير من أحاديثه، فمن لم يؤمن بالملائكة على هذا الوجه الذي جاءت به الشريعة فقد أنكر الوحي، إذ الإيمان بهم أصل للإيمان بالوحي، فيلزم من إنكارهم إنكار الوحي، وهو يستلزم إنكار النبوة وإنكار الدار الآخرة"[2].

4- أسماؤهم وعددهم:

للملائكة أسماء ولكننا لا نعرف الكثير من أسمائهم. وقد أخبرنا القرآن الكريم بأسماء بِعضهم، وأخبرنا الرسول بأسماء بعض آخر منهم، ومن هذه الأسماء التي أخبرنا بها: جبريل - ميكائيل - إسرافيل - مالك - رضوان- منكر - نكير -مع أنهم خلق كثير، لكن لا يعلمُ عدَدهم إلا الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ** ﴾، (المدثر، الآية: 31). وفي الحديث الذي رواه أبو ذر الغفاري: "أَطَتْ السماءُ وحق لها أن تَئِطَّ؛ ما فيها موضِعُ أربعِ أصابعَ إلا ومَلَكٌ واضِعٌ جبهَتَهُ لله ساجدًا"[3]. ونستطيع أن نأخذ فكرة واضحة عن كثرتهم من خلال التأمل في وظائفهم التي أناطها الحقُّ بهم كما سنبيِّن لاحقا.

5- صفات الملائكة: وقد تضمن القرآن الكريم والسنة الشريفة الحديث عن كثير من صفاتهم وطبائعهم التي جبلوا بها وهي على ضربين:

1-أخرجه مسلم، **في صحيحه،** كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (مصدر سابق)، ج4، ص791.

2- محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم،** (مصدر سابق)، ج1، ص362.

3- أبو عيسى الترمذي، **سنن الترمذي،** أبواب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا" تح: أحمد محمد شاكر بالاشتراك، ط1. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م، ج4، ص 556. وقال: حديث حسن غريب.

5-1- الصفات الخَلْقيّة:

أ-فمن حيث الخلقة فالملائكة مخلوقون من نور، جاء ذلك في حديث النبي ﷺ حيث قال: "خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ (أي تراب)"[1].

ب-وقد وجدوا قبل آدم - عليه السلام - كما يستشف ذلك من سورة البقرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾، (البقرة، الآية:30).

ج-الملائكة أصحاب أجنحة قال الله عز وجل: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾، (فطر، الآية:1). نعم لهم أجنحة، ولكنا ليس أجنحة من ريش، بل ليس كأجنحة الطيور وغيرها إذ لو كانت كذلك لرأيناها.

د-الملائكة لا تأكل ولا تشرب ومن ثم فهي لا تتغوط، لأن هذه من احتياجات النشأة الأرضية، وقد أخبرنا الله أن الملائكة جاؤوا إبراهيم في صورة بشر فقدَّم لهم الطعام فلم تمتد إليه أيديهم ، فأوجس منهم خيفة، فكشفوا عن حقيقتهم فزال خوفه قال تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ** ﴾، (الذاريات، الآيات: 24-28)، وهم يموتون، ولكن بعد النفخة الأولى كما في قوله تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾، (الزمر، الآية:68). وقوله في آية أخرى: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**

1- أخرجه مسلم، **في صحيحه،** كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، (مصدر سابق)، ج4، ص294.

﴾، (القصص، الآية:88).

ه- والملائكةلها القدرة على التشكل في صور حسنة مختلفة، فقد أرسل الله جبريل عليهم السلام إلى مريم في صورة بشر كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا** ﴾، (مريم، الآيات 16-19). ومن ذلك ما جاء في حديث عمر، حيث إن جبريل جاء في صورة رجل، يسأل عن الإسلام والإيمان، والإحسان، وأشراط الساعة، الذي قال النبي ﷺ في نهايته: "فإنه جبريل آتاكم يعلمكم دينكم"[1]، وجاء في حديث آخر أن أقرب الصحابة شبها به (أي جبريل) هو دحية الكلبي[2].

و-لا يتصفون بالذكورة ولا الأنوثة لأن الذكورة والأنوثة من صفات المخلوقات في عالمنا الأرضي، ولذلك أنكر الله تعالى على المشركين وصفهم الملائكة بالأنوثة، حيث بين القرآن أن هذا حكم غير صحيح، وتبرير ذلك " أنه لم يرد بذلك نص صحيح، كما لم يشهد هؤلاء طبيعتهم يوم خلقهم حتى يحكموا هذا الحكم قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** ﴾، (الزخرف، الآية:19)، إن المستقر في أذهان العقلاء من البشر أن وسائل المعرفة ثلاث: حس صادق، وعقل صريح، ونص صحيح، وكل ما جاء خلاف على ذلك لا يسمى علم ولا معرفة، فإذا كانت القضية التي معنا – طبيعة الملائكة من حيث الذكورة والأنوثة- لم يرد بها نص صحيح، وليست

1-أخرجه مسلم، **في صحيحه،** كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (مصدر سابق)، ج4، ص791.

2- أخرجه مسلم، **في صحيحه،** كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، (مصدر سابق)، ج1، ص153.

في متناول العقل، لأن ذلك من أمر الغيب، كما أنه يستحيل أن يكون للحس طريق إلى ذلك، وهذا ما يؤكده الاستفهام الإنكاري في قوله: **" أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ...؟"**، فإن المحصلة لذلك كله هي أن كلام القائلين بأنوثة الملائكة، نازل عن درجة الكلام الصحيح، فلا وزن له حينئذ "[1].

ك-قدرتهم الخارقة سواء في حمل الأشياء الثقيلة، التي لايقدر البشر على حملها كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾، (الأعراف، الآية: 171)، قال ابن عباس: "رفعته الملائكة فوق رءوسهم، وهو قوله وَرَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ"[2]؛ ولهذه القدرة فإنهم لا يملون ولا يتعبون كما قال تعالى في وصفهم في سورة الأنبياء: ﴿ **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ** ﴾، (الأنبياء، الآية: 20). أما سرعة الملائكة فهي حركة طليقة، لا تقاس بمقاييس البشر ومما جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾، (المعارج، الآية:4). وقد كان لبعضهم خلقة عظيمة جدا، وتروى كتب الصحاح أن جبريل ظهر للنبي ﷺ فِي صُورَتِهِ الحقيقية "فَسَدَّ الْأُفُقَ"، أوَ "خَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الْأُفُقِ"[3].

5-2- الصفات الخُلُقيّة:

أ-الطاعة التامة لله والخشية منه: فالملائكة كلهم طائعون، عابدون لله تعالى، كما وصفهم القرآن بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ﴾، (الأعراف، الآية 206). وقوله: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾، (النحل، الآية:50).

1-محمد عبد الستار نصَّار بالاشتراك، **أصول العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة**، ط1. القاهرة: (دون تحديد بيانات النشر)، 2000م، ص46.

2-ينظر: إسماعيل بن كثير، **تفسير ابن كثير**، (مصدر سابق)، ج3، ص450.

3- البخاري، **في صحيحة**، كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، (مصدر سابق)، ج4، ص 115.

﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾، (التحريم، الآية 06). وأجدرِ بمخلوق جعل همه طاعة الله تعالى أن يكون في القمة.

ب-القدرة على التعلُّم: وقد أشار القرآن إلى هذه القدرة على التعلم و التلقي من الله في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾، (البقرة، الآية:32). ولقد قرأت كلاما حسنا للدكتور عمر سليمان الأشقر فرَّقَ فيه بين علم الملائكة وعلم البشر فقال: الملائكة عندهم علم وفير علّمهم الله إيّاه، ولكن ليس عندهم القدرة التي أعطيت للإنسان في التعرف على الأشياء: فالإنسان يتميز بالقدرة على التعرف على الأشياء، واكتشاف سنن الكون، والملائكة يعلمون ذلك بالتلقي المباشر عن الله سبحانه وتعالى. ولكنّ الذي علمهم الله إياه أكثر مما يعرفه الإنسان[1].

ت-استحياء الملائكة: وقد جاء في بعض الأحاديث أنهم يستحيون، وأنهم يتأذون بما يتأذى منه بنو آدم، من ذلك الحديث المروي عن عائشة -رضي الله عنها-: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة"[2].

ولقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فهم يتأذون من الرائحة الكريهة، والأقذار والأوساخ، فقد روى مسلم:" مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ، الْبَقْلَةِ، الثُّوم، (وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ والكُرَّاتَ)، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدم"[3]. وأعظم ما يؤذيهم الذنوب والمعاصي والشرك، ولذا فإن الملائكة لا تدخل الأماكن والبيوت التي يعصى فيها الله، أو التي يوجد فيها ما يبغضه كالنصب والتماثيل، والصور، ولا تقرب من تلبس بمعصية كالسَّكران وفي الحديث: "لا تَدْخُلُ

1-عمر سليمان الأشقر، **عالم الملائكة الأبرار**، ط1. الكويت: مكتبة الفلاح، 1983م، ص22.

2- أخرجه مسلم **في صحيحه**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان، رضي الله عنه، (مصدر سابق)، ج4، ص866.

3-أخرجه مسلم **في صحيحه**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوم أو بصلا أو كراثا أو نحوها، (مصدر سابق)، ج1، ص 395.

المَلَائِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ ولَا صُورَةٌ. (يريد التماثيل التي فيها الأرواح)"[1].

ث-البر والأدب مع الله: ومن أدبهم مع الله أنهم لا يتقدمون بين يدي الله تعالى بأمر، ولا يشفعون لأحد عنده إذا لم يكن أهلا لهذه الشفاعة، كما قال تعالى فيهم: ﴿ **لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** ﴾، (الأنبياء، الآيتان: 27-28). ولذلك فإنهم استحقوا أن يكونوا مكان إكرام الله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ** ﴾، (الأنبياء، الآية: 26). ووصفهم الله بذلك في آية أخرى ﴿ **كِرَامٍ بَرَرَةٍ** ﴾، (عبس، الآية:16)، وفي معنى هذه الآية يقول عبد الرحمن السعدي: (كِرَامٍ) أي: كثيري الخير والبركة، (بَرَرَةٍ) قلوبهم وأعمالهم[2].

6- وظائفهم: في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن وظائف الملائكة، وهذه الوظائف التي بينتها النصوص القرآنية يمكن إجمالها في أنواع ثلاثة:

6- 1-وظائف للملائكة متعلقة بالله تعالى:

أ-حملة العرش وقد جاء في القرآن الكريم بأنه يحمله ثمانية، قال تعالى: ﴿ **وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ** ﴾، (الحاقة، الآية17). يقول سيد طنطاوي في تفسير الآية: "ويحمل عرش ربك فوق هؤلاء الملائكة في هذا اليوم، ثمانية منهم، أو ثمانية من صفوفهم التي لا يعلم عددها إلا الله-تبارك وتعالى-. وعرش الله-تبارك وتعالى- مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم، فنحن نؤمن بأن لله- عز وجل - عرشا، إلا أننا نفوض معرفة هيئته وكنهه.. إلى الله-تبارك وتعالى-"[3]. ثم يذكر أنه قد وردت

1- أخرجه البخاري، في **صحيحة**، كتاب المغازي، باب حدثني خليفة، (مصدر سابق)، ج5، ص 82.

2- عبد الرحمن السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، تح: عبد الرحمن اللويحق، ط1.بيروت: مؤسسة الرسالة 2000م، ص911.

3-محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (مصدر سابق)، ج15، ص 76.

في صفة هؤلاء الملائكة الثمانية، أحاديث ضعيفة لذا ضربنا صفحا عن ذكرها[1].
ومهم الحافون حول العرش قال تعالى: ﴿ **وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾، (الزمر، الآية: 75).

ب-التسبيح والتحميد لله تعالى:وقد أشار القرآن الكريم إلى هاته الوظيفة في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾، (البقرة، الآية:30). وقوله في آية أخرى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ﴾، (الأعراف، الآية 206). وقال أيضا: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** ﴾، (غافر، الآية:7).

6-2-وظائف للملائكة متعلقة بالكون:

أ-ومن الملائكة من أوكل إليه أمر السحب والأمطار والرياح وما يتعلق بأرزاق العباد "كميكائيل" ويذكر ابن كثير: "أن ميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله. وقد روينا أنه ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقدرها في موضعها من الأرض"[2]. وللجبال ملائكة تدبرها، وتدير أمرها كما ورد في السنة الصحيحة، فلقد روى البخاري عن عائشة – رضي الله عنها- أن جبريل نادى رسول الله ﷺ وقال: "إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ

1- المصدر نفسه، ج15، ص77.

2- ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله التركي، ط1. الرياض: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع 1997م، ج1، ص105.

الْأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"[1].

ب-ومنهم صاحب الصور، وهو "إسرافيل" عليه السلام، و الصور قَرْن ينفخ فيه "إسرافيل"، قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ** ﴾، (النمل، الآية:87). وجاء في تفسير البغوي أن إسرافيل: ينفخ في الصور. ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين[2].قال تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** ﴾، (الزمر، الآية: 68).

6-3- وظائف للملائكة متعلقة بالإنسان:

وهي علاقة تبدأ منذ بداية رحلة الإنسان في هذا الوجود، ويدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق:" إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَو سَعِيدٍ"[3].

وفي صحيح مسلم أيضا عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: "وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ

1-أخرجه البخاري، **في صحيحه**، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، (مصدر سابق)، ج4، ص115؛ وأخرجه مسلم في **صحيحه**، من حديث ابن وهب، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، (مصدر سابق)، ج3، ص420.

2-أبو محمد البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، ج3، ص518

3-أخرجه مسلم **في صحيحه**، كتاب القدر، (مصدر سابق)، ج4، ص 36.

خَلْقًا قَالَ: قَالَ: أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ"[1].

ولا تتوقف وظيفة الملائكة عند هذا الحد، وهو دور التكوين، بل تمتد إلى نهاية رحلة هذا الكائن على وجه الأرض، قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ** ﴾، (الأنعام، الآية: 61).

وفيما بين المبدأ والنهاية، تتسع هذه العلاقة أكثر لتتضمن ألوانا من الأدوار المنوطة بهم، والتي تخص هذا الكائن من ذلك مراقبة أعماله، وإحصائها قال تعالى: ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾، (ق، الآية:17-18). ومنهم من يكلَّف بحفظ بني آدم وحراسته من أمامه ومن ورائه، فإذا جاء قدر الله الذي قدَّر خلوا بينه، وهم المعقبات، كما قال تعالى: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾، (الرعد، الآية:11).

ومن ثم فعلى المؤمن أن يتشبّه بالملائكة، وأن يتنمذج بأخلاقهم التي بيناها آنفا، وأن يقترب منهم أكثر، فعلى مقدار ما تتوثق صلته بهم، يكون قربهم منه، وعونهم له في السرَّاء والضرَّاء، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ** ﴾، (فصلت، الآيتان:30-31).

ومن مظاهر هاته الولاية (النصرة) في الدنيا والآخرة، أمور كثيرة نذكر بعضا منها في هاته العجالة على سبيل التمثيل لا الحصر من ذلك:

أ-استغفارهم للمؤمنين ودعاؤهم لهم بالمغفرة، والبعد من النار، كما حكى القرآن عنهم ذلك كما في قوله: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ**

1-أخرجه مسلم **في صحيحه**، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي، في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته، (المصدر نفسه)، ص 38.

رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾، (غافر، الآية:7).

ب-تثبيت المؤمنين في جهادهم ضد عدوهم لإعلاء كلمة الله تعالى كما قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾، (الأنفال، الآية: 12).

ج- القتال مع المؤمنين عندما يأمرهم الله تعالى بذلك، كما قاتلوا مع رسول الله ﷺ في بدر قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾، (الأنفال، الآية:9).

د-تبشير المؤمنين في الحياة الدنيا نقرأ ذلك في قصة زكريا – عليه السلام -﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾، (آل عمران، الآية 39). وجاء في قصة مريم – عليها السلام -﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾، (آل عمران، الآية 42). وكان هذا بمثابة الإرهاصات لما سيأتيها فيما بعد ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾، (آل عمران، الآية:45). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾، (فصلت، الآية:30).

و-الدعاء والرحمة للمؤمنين، والثناء وإظهار الشرف والتعظيم للنبي ﷺ قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴾، (الأحزاب، الآية: 43)، وقوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾، (الأحزاب، الآية: 56).

ز- ومنهم من يلازم الانسان فيحضر معه صلاة الفجر وصلاة العصر كما قال رسول الله ﷺ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ: مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ، كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ"[1]. وجاء في الأحاديث أن من الملائكة سياحين يتبعون مجالس الذكر، "فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وصعدوا إلى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ..."[2]، وجاء أيضا: إن من الملائكة من يقف على أبواب المساجد يوم الجمعة يكتبون المصلين، وأنهم يحضرون الصلاة ويُؤمنون مع الإمام، وأن من وافق تأمينه تأمينهم غفر له، ويؤمنون على من يدعو لأخيه المسلم، ويقولون له: ولك بمثله. وأنهم يدعون للذين يصلون في الصفوف الأولى، كما أنهم يصلون على معلمي الناس الخير، وعلى من يفطر الصائمين، وأنهم يضعون أجنحتهم لطالب العلم رضا بما يصنع، ويدعون بالبركة والعوض للمنفقين الأسخياء، وهكذا[3].

1-أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (مصدر سابق)، ج4، ص114.

2- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - 8 باب فضل مجالس الذكر، (مصدر سابق)، ج4، ص69.

3-ينظر: محمد إمام، **الحق المبين في معرفة الملائكة المقربين**، ط1. القاهرة: مطبعة السلام، ميت غمر 2007م، =

فإذا جاء أَجَلُ أهل الإيمان والصدق، تنزَّلت عليه ملائكة الرحمة، وبشرتهم بأن لا تخافوا مما تقدمون عليه من أحوال القيامة، ولا تحزنوا علي ما خلفتموه في الدنيا من أهل ومال وولد فنحن نخلفكم فيه، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون[1]، وهو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾، (فصلت، الآية:30). ثم أخذت أرواحهم برفق ﴿ **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾، (النحل، الآية32).

فإذا قامت القيامة أدخلوا الجنة التي وعد الرحمن، وهم فيها موضع رعاية وإكرام من قبلهم، قال تعالى: ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾، (الرعد، الآيتان: 23-24). أما العصاة من المؤمنين فحظهم من هذه الحفاوة قليل، إذ قد ورد أن الملائكة تتوجه إلى هؤلاء العصاة باللوم والتوبيخ، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾، (النساء، الآية: 97)، بل وردت أحاديث تخبرنا أن الملائكة تبغضهم ففي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ إن الله "..إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ"[2]. كما ورد في

= ص 86 وما بعده.

1-المرجع السابق، ص101.

2- أخرجه مسلم في **صحيحة،** كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا، حببه إلى عباده، (مصدر سابق)، ج4، ص1030

الأحاديث أيضا: أنهم يلعنون المرأة التي أبت من فراش زوجها، ومن باع شيئا به عيب ولم ينبِّه عليه، وتلعن من ضلَّل أعمي عن الطريق، ومن يشير على أخيه بحديدة يقصد إيذائه وإخافته والاعتداء عليه، وتلعن من سب أصحاب رسول الله ﷺ ويدعون علي الممسك البخيل أن يتلف الله ماله، وأعمال أخري تستوجب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين علي فاعلها. وهكذا [1].

أما الكافرون فلا ليس لهم من هذه الولاية حظ ولا نصيب، ولذلك لا ينالون من جانبهم دعاء ولا استغفارا ولا بشرى؛ لأنهم أعداء الله ورسله، فإذا حضرت الملائكة لقبض أرواحهم قبضوها محفوفة بمظاهر البطش والسخرية منهم، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾، (الأنعام، الآية: 93)، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾، (الأنفال، الآية: 50-51). فإذا ذهبوا إلى النار تلقاهم خزنتها، وأذاقوهم من ويلاتها ما يستحقونه جزاء كفرهم، فإذا طلبوا منهم التخفيف للعذاب لم يستجيبوا لهم ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** ﴾ (غافر، الآية: 49-50)، وإذا رغبوا في الموت لم يجابوا إلى رغبتهم؛ ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** ﴾، (فاطر، الآيتان: 36-37)، لأن

1-لمزيد من التوسع ينظر: محمد إمام، **الحق المبين في معرفة الملائكة المقربين**، (مرجع سابق)، ص28 وما بعده.

الآخرة دار خلود وجزاء، لا دار امتحان وابتلاء.

ولعل أهم هذه الوظائف وأوضحها فيما يتعلق بالإنسان أنهم يحملون وحي الله إلى خلقه قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾، (الشعراء، الآيات: 192-195)، ومعلوم أن المكلَّف بالوحي هو الملك جبريل. وقوله في آية أخرى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾، (الشورى، الآية:51).

وبالإضافة إلى هاته الأعمال، فإن لهم أعمالا أخرى أناطها الحق بهم كسَوْق الناس إلى المحشر يوم القيامة، وسوق أهل النَّار إلى النَّار وغير ذلك، نكتفي منها بهذا القدر، ففيه غناء وكفاء، ومن شاء أن يستزيد فدونه كتب الحديث وهي على حبل الذراع لمن يريد.

وإذا كان الملائكة يقومون بكل هاته الأدوار وبغيرها من جلائل الأعمال، يتبين لنا الدور الهام الذي يضطلعون به في النظام الكوني، لكنهم خلق من مخلوقات الله، وشتان شتان بين **خالق ومخلوق**، ولذلك لا يصح لأحد من العباد أن يتوجه إليهم بالعبادة، لأنها حق للخالق وحده، ومن مقتضى ربوبيته، وعندما نسب أقوام إلى الله تعالى وتقدَّس بنوة للملائكة، جاءت آيات الله حافلة بكل إنذار وتهديد لهول هاته المقولة – لأن في حقيقتها كفر وشرك بالله – يقول الحق سبحانه بالله تعالى:﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا، لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا، أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا، وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا، إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** ﴾، (مريم، الآيات: 88-93). وبهذا يكون التوحيد خالصا من كل شائبة، لتكون العبادة لله وحده لا شريك له.

7- أثر الإيمان بالملائكة:

7-1- التشبّه بهم: ومما ينبغي أن يسعى إلية المؤمن وهو محاولة التشبّه بهم على قدر الطاقة في لزوم الطاعة واجتناب العصيان، والتنمذج بهم على قدر الوسع، بل والانخراط فيسلكهم النوراني، وتقوية الجانب الملائكي في الإنسان

7-2- ازدياد الشعور بعظمة الله واستشعار رحمته، إذ وكل الملائكة بالدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم. والتحرز عما أمكن من المعاصي، حين يتذكر أنهم يسجلون عليه كل ما يقوله ويفعله. والإقدام والشجاعة في الجهاد، حين يتصور أنهم يؤيدون المجاهدين، بأمر رب العالمين. والعمل للجنة ليكون ممن يسلمون عليه. والبعد عن أسباب دخول النار لئلا يكون ممن يوبخونه[1].

7-3- الإيمان بالملائكة يرسخ في نفس المؤمن تصور التكريم الإلهي للإنسان، حيث تفضّل الله عليه بأن سخر له هذا الكون الرحب الواسع لخدمته، كما سخر له هذا العالم الغيبي لخدمته في كل أطوار حياته، منذ بدء خلقه وهو في بطن أمه، وفي جميع مراحل حياته كلها، وحيث يموت كما بينا سابقا، وفي قراره الأخير إما إلى جنَّة أو إلى نار.

ولما كان الإيمان بالملائكة قسما من عالم الغيب، أدرج البعض معهم الإيمان بعالم الجنّ، وهو عالم خفي أيضا، تحدث عنهم القرآن الكريم، وفيه سورة باسمهم، كما تحدثت عنهم السنة الشريفة، وإنكار وجود الله هذا العالم الغيبي، أو تأويله بنحو غير مرضي، ضلال في الدين، وحسبنا في ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾، (الذاريات، الآية:56).

1-علي الطنطاوي، **تعريف عام بدين الإسلام**، (مرجع سابق)، ص179.

ومع كثرة حديث القرآن عن الجنّ، غير أن حديثه عنهم، لم يكن كحديثه عن الملائكة، حيث أشار القرآن إلى أن منهم الصالحين والطالحين، أو القاسطين، لذلك لم يجعل حديثه عنهم عقيدة من العقائد الإسلامية، كما جعل الملائكة، وإنما تحدث عنهم فقط، كما يتحدث عن الإنسان، وعن كل شيء، وإذن فالتصديق بوجودهم من مقتضيات التصديق بالقرآن، وصدقه في كل ما حدّث عنهم[1].

□

1-محمود شلتوت، **الإسلام عقيدة وشريعة**، ط18. القاهرة: دار الشروق، 2001م، ص32.

الفصل الثالث
الإيمان بالكتب السماوية

تمهيد:

الإيمان بالكتب السماوية هو الركن الثالث من أركان العقيدة الإسلامية، المذكورة في الحديث الشريف: "أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ"[1]، وقد ورد هذا الأصل في بعض الآيات القرآنية في الترتيب الثالث بعد الإيمان بالله تعالى والرسل، لقوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾، (النساء، الآية:136).

وتوضح الآية الشريفة أن الإيمان بالأنبياء والرسل جميعا، يقتضي الإيمان بكتبهم السماوية كلها، سواء في ذلك ما أنزل على محمد ﷺ، أو ما أنزل على الرسل السابقين. وقد تضمنت هاته الكتب العقائد التي أوجب الله على الناس الإيمان بها، وكذلك الشرائع سواء أكانت عبادات فرضها على الناس أم معاملات بيَّن فيها الحلال والحرام.

1- حاجة الناس إلى الكتب السماوية:

النبوة والرسالة الإلهية فضل من الله تعالى، وعناية منه سبحانه بالبشرية التي

1-رواه البخاري في **صحيحه**، سورة لقمان باب قوله إن الله عنده علم الساعة، (مصدر سابق)، ج6، ص 115؛ ورواه مسلم، في **صحيحه**، كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (مصدر سابق)، ج1، ص36.

كانت في حاجة ماسة إليها، وهي أيضا من الأمور الجائزة في حق الله، فليس في إنزال الكتب استحالة عقلية، ولا إلحاق نقص بجناب القدس، بل إن في إنزالها تعريضا للمكلفين للأجر الجزيل والثواب العظيم، ومادام الأمر على هذا النحو، فإن الكتب السماوية تعد أمرا ضروريا بالنسبة للبشرية من عدة وجوه:

1-1-الحاجة المعرفية:

إن الله سبحانه خلق الإنسان وكرمه بالعقل والتفكير، فاهتدى الإنسان بعقله إلى القوة المبدعة التي تدبر هذا العالم من سمائه إلى أرضه، ومن عرشه إلى فرشه، وعرف أن هاته القوة هي الله، الذي يتصف بصفات الكمال ويجلُّ عن كل نقص، وذلك عن طريق النظر في المصنوعات، "إذ أن الموجودات إنما تدل على الصانع لمعرفة صنعتها. وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم"[1] على حد تعبير الفيلسوف ابن رشد، ولكن قد يضل الكثيرون في اكتناه هذه القوة، فالإله عند أرسطو مثلا – وهو من أذكى العقول على مدار التاريخ البشري – هو المحرك الذي لا يتحرك ! وهو عند اسبينوزا "الطبيعة"، وعند فلاسفة التحرير هو الإنسان، وعند آخرين هو الأرض، بل ربما يجعله بعضهم حجرا أو شجرا وما إلى ذلك من الضلالات التي حدثت في تاريخ البشر. وحسب البعض من هؤلاء أنهم وصلوا إلى إثبات وجوده، لكن إذا تجاوزوا هذا الحد، وقعوا في التيه والضلال لذلك لم يكن هناك طريق مأمون لمعرفة الذات الإلهية، وحقائق التوحيد، إلا طريق النبوة حيث يتلقى النبي المعرفة مباشرة من لدنه. ويطلع على الحقائق التي لا يمكن للإنسان أن يصل إليها في مجرى العادة.

بل ربما اهتدت بعض العقول الآدمية إلى أن لوجود الإنسان معنى، وأن الله لم يخلقه باطلا، عن طريق النظر في كيفية خلقه حيث جمع الله فيه قوى العالم المختلفة،

1-ابن شد، **فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال**، تح: محمد عمارة، ط2. القاهرة: دار المعارف (د، ت)، ص22.

فهو كما يقول الراغب الأصفهاني: "مخلوق خلقة تصلح للدارين، وذلك أن الله تعالى قد أوجد ثلاثة أنواع من الأحياء، نوعا لدار الدنيا وهي الحيوانات، ونوعا للدار الآخرة وهو الملأ الأعلى، ونوعا للدارين وهو الإنسان، فالإنسان واسطة بين جوهرين وضيع وهو الحيوانات، ورفيع وهو الملائكة، فجمع فيه قوى العالمين وجعله كالحيوانات في الشهوة البدنية والغذاء والتناسل والمهارشة والمنازعة وغير ذلك من أوصاف الحيوانات. وكالملائكة في العقل والعلم وعبادة الرب والصدق والوفاء، ونحو ذلك من الأخلاق الشريفة.. فإنه لو خلق كالبهيمة معرى عن العقل لما صلح لعبادة الله تعالى وخلافته، كما لم يصلح لذلك البهائم، ولا لمجاورته ودخول جنته ولو خلق كالملائكة معرَّى عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة أرضه كما لم يصلح لذلك الملائكة" [1].

وإنما أوجده وخلقه على هاته الصورة، ليكون خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾، (البقرة، الآية:30). فاهتدى الإنسان من خلال هذا، أن الله لم يخلقه عبثا، كما نبَّه الله عليه بقوله: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾، (الذاريات:الآية:56).

ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بمعرفة العبادات المقربة من الله كي ينتحلها، والنواهي الجالبة لسخط الله وغضبه كي يجتنبها، وهذه لا تعرف إلا من جهة الشارع، فاحتاج الإنسان إلى الوحي والكتب كيف يعرف من خلالها أوامر الله ونواهيه.

وكذلك يمكن لبعض العقول الآدمية أن تدرك بقاء النفس الإنسانية، وتدرك أن لها حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم أو تشقى فيها بعذاب أليم، وأن السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء في حياتها لفانية[2].

1- الراغب الأصفهاني، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، ط1. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1983م، ص37.

2- محمد عبده، **رسالة التوحيد**، (مرجع سابق)، ص47.

لكن وإن أدركت هاته العقول وجود حياة أخرى لأن هذا ما يقتضيه العدل الإلهي، فإنها تعجز عن إدراك تفاصيل ما في هذه الحياة، لكن الوحي كما هو معلوم لا يقف عند هذا الحد، بل نراه يصف الجنة وأنواع نعيمها، والنار وألوان عذابها، كأنهما رأي عين، حتى إنه ليحصي عدة الأبواب، وعدة الملائكة الموكلة بتلك الأبواب، وهذا ولاشك لا يمكن أن يصل إليه العقل البتة، ومن ثم فإن العقول البشرية قاصرة – تماما –عن تحديده. والحقيقة أن الإيمان بالنبوة ليس بالأمر العجيب بعد الإيمان بكمال الله وحكمته ورحمته ورعايته للكون وتدبيره للعالم، وتكريمه للإنسان، بل هذا الإيمان فرع عن ذلك ولابد، فما كان الله ليخلق الإنسان، ويسخر له ما في الكون جميعاً، ثم يتركه يتخبط على غير هدى، بل كان من تمام الحكمة أن يهديه سبيل الآخرة كما هداه سبيل الحياة الدنيا، وأن يهيئ له زاده الروحي، كما هيأ له زاده المادي، وأن ينزل الوحي من السماء ليحيي به القلوب والعقول، كما أنزل من السماء ماء لتحيا به الأرض بعد موتها.

ومن هنا كان من حكمة الخالق الحكيم، أن يبعث الرسل، وينزل الكتب يهدون البشر إلى ما ينبغي عليهم عمله، وما يجب عليهم تركه، ويبينون ما خفي من أمر الآخرة، وما عجزت عقولهم عن دركه وتحديده من صور السعادة والشقاء الأخروي، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾، (النحل، الآية:36). وقال: ﴿ **وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾، (الرعد، الآية:7) وقال: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ** ﴾، (الحديد، الآية25). فهذه الآية تبيّن أن قيام القسط علّةٌ لإنزال الكتاب والميزان.

والنبي كما قال البيضاوي هو الذي "يقرر الحجة ويميط الشبهة، ويرشد إلى ما توقف العقل فيه، كبعث الأموات، وأحوال الجنة والنار، ومنها أن يبين حسن ما

توقف العقل فيه، ويفصل ما حسنه إجمالا، ومنها أن يعيِّن وظائف الطاعات والعبادات المذكِّرة للمعبود المكررة لاستحفاظ التذكر، وغيرها، ومنها أن يشرع قواعد العدل المقيم لحياة النوع، ويعلم الصناعات الضرورية النافعة المكملة لأمر المعاش، ومنها أن يعلم منافع الأدوية ومضارها، وخصائص الكواكب وأحوالها التي لا يحصل العلم بها إلا بتجربة متطاولة لا تفي بها الأعمار، وأيضا فالعقول متفاوتة والكامل نادر، **فلا بد من معلم يعلمهم ويرشدهم على وجه يناسب عقولهم**"[1].

وهكذا كانت البشرية في أمس الحاجة إلى معلمين يعلمون ما ينبغي اعتقاده في الجناب المقدس، وأن يفصلوا لهم ما في الحياة الآخرة من بعث، ونشر وحساب وجنة ونار ونعيم عظيم وعذاب مقيم، ويزكون الأنفس، ويشعلون فيها مجامر الحب والحنان إلى الله تعالى.

1-2- **الحاجة الاجتماعية:** إذا ذهبنا إلى علماء الاجتماع المحدثين، فإننا نجدهم يقررون أن الإنسان مدني بطبعه، ومعنى هذا أنه لا يمكن أن يعيش أو يستمر بقاؤه إلا في وسط جماعة من الناس، وهو ما وضحه نجم الدين الأصفهاني شارح المطالع بقوله:"إن الله خلق الإنسان بحيث لا يستقل وحده بأمر معاشه، لأنه يحتاج إلى غذاء ولباس ومسكن، وسلاح وكلها صناعية، ليس كسائر الحيوانات التي يكون ما تحتاج إليه من الغذاء، واللباس والمسكن والسلاح طبيعيا، والشخص الواحد لا يمكنه القيام بإصلاح تلك الأمور وترتيبها إلا في مدة لا يمكن عادة أن يعيش تلك المدة، وإن أمكن فهو عسير جدا "[2].

ثم يردف قائلا: "فكان أمر معاشه لا يتم- بل لا يتيسر -إلا بمشاركة آخر من

1- ناصر الدين البيضاوي، **طوالع الأنوار من مطالع الأنظار**، (مرجع سابق)، ج1، ص129.

2- شمس الدين الأصفهاني، **مطالع الأنظار في شرح طوالع الأنوار**، ط1. قم: مركز بخش 1393هـ، ج2، ص280 .

بني جنسه ، ومعاوضة ومعاونة تجريان بينهما فيما يعِّن لهما، ممّا يتوقف عليه صلاح الشخص أو النوع؛ بحيث يزرع هذا لذاك، و يخبز ذاك لهذا، و يخيط واحد للآخر، والآخر يتخذ الأبره له، وعلى هذا قياس سائر الأمور، فيتم أمر معاش كل من بني نوعه باجتماع ومعاوضة ومعاونة، فإذن الإنسان محتاج بطبعه في معاشه إلى اجتماع يتيسَّر بسببه المعاوضة والمعاونة والمعاضدة، ولذلك قيل: الإنسان مدني بطبعه؛ فإن التمدن عندهم عبارة عن هذا الاجتماع[1].

وحاجة الإنسان إلى غيره تزيد وتكثر كلما زاد وكثرت مطالبه في معيشته، وهذا لا يتم إلا بمعاوضة، والمعاوضة لا ينتظم أمرها، إلا إذا كان هناك عدل بين الناس. وذلك لأن كل واحد يشتهي ما هو محتاج إليه، ويغضب على من يزاحمه في ذلك، فيقع التنازع، ويختل أمر الاجتماع، ويشملُ الناس الهرجُ[2]، والمرجُ[3].

وهذا الاختلال لا يندفع، والحياة البشرية لن تستبَّ، والاجتماع الإنساني لن ينتظم، إلا بقانون كلي، يردع الإنسان ويلزمه التزام السلوك الاجتماعي السوي، ويحفظ أفراد النوع الإنساني من بغي بعضهم على بعض، وهذا القانون الكلي ربما يقول قائل: إننا نكل وضعه لعقل الإنسان وضميره، إذ العقل والضمير بإمكانهما أن يدركا الحقوق والواجبات التي تنظم أمر الناس. نقول: إن أكثر الناس خلقوا بحيث لا يمكنهم معرفة ما لهم وما عليهم، بل استعدادهم إما ضعيف يتقوى بأخبار الرسل، أو هنالك مفاسد لا تندفع إلا بالقسر، على رغم أنفهم[4]. فضلا على أن الناس متفاوتون في إدراك الحقائق على حسب تفاوت عقولهم، فإلى أي عقل نتحاكم؟

1- المرجع السابق، ج2، ص280.

2- الهرج والمرج أي: القتل والاختلاط.

3-أبوبكر المرعشي، **نشر الطوالع**، تح محمد يوسف إدريس، ط1. عمان: دار النور المبين للدراسات والنشر 2011م، ص510.

4-ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، تح: سيد سابق، (مرجع سابق)، ج1، ص 157.

بل المشاهد في دنيا الناس أن سلطان العقل – عند الكثيرين إلا ما رحم الله وقليل ما هم – تتغلب عليه الشهوة، ويتسلّط عليه الهوى، ولا أدل من فشو هاته المظالم الاجتماعية بالرغم من التقدم الهائل الذي أحرزته البشرية في مجال العلوم والفنون.

وقد يقال: إننا نفوض وضع ذلك القانون إلى الكمل من الفلاسفة والمفكرين وعلماء القانون والاجتماع، وهؤلاء هم الصفوة المختارة من البشر.

ونرد على هذا أيضا: فنقول أن العقل لا يستطيع أن يدرك كثيرا من المصالح الدينية والدنيوية، التي يبلغ بها الإنسان أقصى درجات الكمال، فضلا أن آراء هؤلاء المفكرين تختلف في كثير من المصالح، وهذا ولا شك موجب للتنازع، والتقاتل كما هو مشاهد اليوم بين أنصار النظريات التي تريد أن تحكم العالم، بل إننا إذا حللنا عقول هؤلاء المفكرين، وجدنا فيها تحيزات ورثوها من بيئاتهم التي عاشوا في كنفها، بقوا أسرى لها، وبقت تعمل في منطقة اللاشعور، وألم يقل علماء النفس أن النفس الإنسانية تخضع لما لا تشعر بعه، أكثر من خضوعها لما تشعر به. فضلا عن هذا فقد دلنا الواقع أن هؤلاء المفكرين لم يكن لهم سلطان الطاعة على أغلب أقوامهم، فضلا عن غيرهم.

وإذا حدث إن وقع تحالف بين المعرفة والسلطة أحيانا، كما وقع مع لينين الذي اعتنق آراء ماركس، واستطاع أن يفرضها بالقوة القاهرة، وأن ينشرها في كثير من أصقاع العالم، فإننا نقول: أن من جاء بعده قضى على ذلك الفكر، ونبذه الناس.

وإذن فالعقل سواء كان لفرد من أفراد النوع الإنساني، أو لفيلسوف ذا مخيلة مبدعة ليس مستقلا في إدراك الحقائق أو المصالح العامة للفرد أو الجماعة، وليس في مكنته أو مقدوره، أن يسنَّ قواعد العدل، التي تمنع المجتمع من الفساد وذهاب الريح.

ولكي يتم حفظ النظام في العالم، وتتحقق السعادة للجميع لابد أن يكون هذا التشريع من مصدر يكون أسمى من الإنسان، ويكون من قوة عليا يخضع لها البشر خضوعا تاما، و هذا ما بينه حكيم الأمة الإمام ولي الله الدهلوي في نص دال على ما نحن بصدده فقال: في الفصل الذي كتبه بعنوان:"الحاجة إلى هداة السبل ومقيمي الملل"، منطلقا من فهمه لقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾، (الرعد، الآية:7)، رادا هذه الحاجة إلى ما يلي:

- غلبة البهيمية والهوى على الإنسان ما لم يكن له هاد.
- قصور العقل البشري ومحدوديته.
- والراشد من الرأي في الجملة لا يدرك المصالح إلا إدراكا جزئيا، فيحفظ شيئاً، وتغيب عنه أشياء، أو يظن في نفسه أنه الكامل الذي لا يحتاج إلى مكمل، فيحتاج إلى من ينبهه على جهله.

"وبالجملة فالناس يحتاجون لا محالة إلى عالم حق العلم تؤمن فلتاته، وإلى رجل عارف بالمصلحة على وجهها يقوم بسياستها، ثم لابد لهذا العالم أن يثبت على رؤوس الأشهاد أنه عالم بالسنة الراشدة، وأنه معصوم فيما يقوله من الخطأ والإضلال"[1].

1-3- الحاجة النفسية: إذا كانت النبوة كما قلنا سابقا ضرورية لصلاح المجتمع ونظام العالم، فإنها ضرورتها للإنسان أشد لأن هذا الكائن فيه استشرافات معرفية لاحد لها، وأشواق روحية غير متناهية عبر عنها جلال الدين الرومي بعبارة طليّة بقوله: "إن هذه الأرض والسماء الواسعتين، مزّقتا قلبي من ضيقهما"، وبالتالي يظل في حاجة إلى من يلبي له هذه التطلعات، ويحقق له أشواقه المادية والمعنوية. لكن

1-ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، (مرجع سابق)، ج1، ص 153؛ وينظر أيضا: أحمد بخيت، **المدخل إلى الفقه الإسلامي**، (مرجع سابق)، ص20-21.

الإنسان يشعر بعجزه عن تحقيق الأماني التي تراوده لإعمار حياته.

إن استشعار هذا الإنسان لهذه الحاجة والعجز يدفعه إلى البحث عن مكمل يلبي له أشواقه وآماله، ويعرفه بطريق الخير والسعادة، فلا يجده إلا في طريق فوق العقل. فكان هذا الضعف والعجز الإنساني عن تحقيق السعادة والخير لنفسه دالين عند التأمل على الحاجة لوجود الوحي.

والنبوة والرسالة أمر تقتضيه النفس البشرية وحاجتها لما يزيل قلقها ووحشتها، هذا القلق الذي عبَّر عنها ابن القيم بقوله: "إنَّ في القلب شعث، لا يلمه إلا الإقبال على الله. وفيه وحشة، لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه.وفيه نيران حسرات: لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه.وفيه طلب شديد: لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه. وفيه فاقة: لا يسدها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له. ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدا."[1]!

والواقع أن الوحي ضروري لرياضة القوى النفسانية بمنعها من متابعة الشهوة والغضب، وعن التخيلات والتوهمات، والإحساسات والأفاعيل المثيرة للشهوة والغضب، والمانعة عن توجه النفس الناطقة إلى جناب القدس، ولا يكمل الإنسان كماله اللائق به كإنسان، ويكون جديرا برضا ربه، ومؤهلا للخلافة في الأرض، إلا بإدامة النظر في الأمور التي تفي بحاجات روحه التي امتاز بها عن غيره، وعلى هذا فأهم مصالح الإنسان على الإطلاق إبلاغه السعادة والكمال المقدور له بتعريفه بخالقه ومعبوده وطريق الوصول إليه ووضعه على الصراط المستقيم الذي لا يضل

1-ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3. بيروت: دار الكتاب العربي 1996م، ج3، ص156.

فيه ولا يشقى[1].

والمنهج الذي يحقق هذا كله، إنما الوحي الرباني الذي يؤيد الله به رسول من رسله، لأن الإنسان لا يستطيع بنفسه أن يعرف هذه الأمور على وجه صحيح سالم لأنها فوق طاقة البشر والعقل، وفي هذا المعنى يقول الرازي: "اعلم أن أكثر الخلق ناقصون، ولابد من مكمل يكملهم، ومرشد يرشدهم، وهاد يهديهم، وما ذاك إلا الأنبياء عليهم السلام وبديهة الفطرة شاهدة بأنه يجب على الناقص الاقتداء بالكامل"[2].

وهكذا فإن الوحي حاجة أساسية لا غنى للبشر عنها، لصلاح العالم، وكمال نظام الاجتماع الإنساني، ولتزكية نفوس الخلق، وبيان طرق الخير والسعادة.

2-دليل وجوب الإيمان بالكتب السماوية:

الإيمان بالكتب السماوية قضيّة مركزيّة لا يصح إيمان العبدِ إلا بها، وقد أوجب الشارع الإيمان بجميع الكتب السماوية المنزلة على جميع الرسل حتى خاتمهم محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾، (البقرة، لآية 136).

وهذه الكتب منها ما قص الله علينا خبرها، ومنها ما لم يخبرنا به، وإذن فيجب الإيمان على وجه العموم بكل ما أنزله الله تعالى على رسله وأنبيائه، وعلى وجه التعيين يجب أن نؤمن بالكتب التي أخبرنا أنه أنزلها على أنبيائه ورسله، وهذه الكتب المنصوص عليها هي:

1-شمس الدين الأصفهاني، **مطالع الأنظار في شرح طوالع الأنوار**، (مرجع سابق)، ج2، ص 282؛ عبد الكريم زيدان، **أصول الدعوة**، (مرجع سابق)، ص26.

2- الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، (مرجع سابق)، ج26، ص 364.

1- صحف إبراهيم: وقد قص الله القرآن الكريم علينا خبرها، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾، (الأعلى، الآيتان: 18-19)، فوجب الإيمان بها وبما ورد فيها بإجمال. لأنه لا يعرف لها أصل صحيح.

2- التوراة: معناه في اللغة العربية الألواح، وهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ** ﴾، (المائدة، الآية:44)، والتوراة التي يجب علينا الإيمان هي التوراة الأصلية المنزلة على موسى عليه السلام، أما التوراة الحالية فقد كتبت بعد موت موسى عليه السلام بمئات السنين كما يقول المختصون في علم مقارنة الأديان.

3-الزبور: هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على داوود عليه السلام، والزبر جمع زبور - كالرسول والرسل - وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته بمعنى حسنته. وقيل: الزبر اسم للمواعظ و الزواجر من زبرته إذا زجرته[1].قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** ﴾، (الإسراء، الآية:55)، وقد ضاع هذا الكتاب وفقد، وما بقي منه، بقي محرفا مشوها لا ينطبق عليه حكم الكتاب الذي أنزل على سيدنا داود عليه السلام.

4-الإنجيل: ومعناه البشارة، والإنجيل الذي أمرنا بالإيمان به هو الكتاب المنزل على عيسى بن مريم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً** ﴾، (الحديد، الآية:27)، وأما المتداول حاليا بين أيدي النصارى فقد زيد فيه ما ليس منه، وفيه نقص أيضا عما هو في الأصل الإلهي المنزل على عيسى عليه السلام. ولا أدل على ذلك من هذه الاختلافات الكثيرة بين الأناجيل الأربعة التي بين أيدينا حاليا

1-الطنطاوي، **التفسير الوسيط**، (مصدر سابق)، ج2، ص359.

وهي: لوقا، ومتى، ومرقس، ويوحنَّا.

ويحدثنا علماء الأديان المسيحيين أنفسهم أن هاته الأناجيل الأربعة كتبت عن أصول مفقودة، وبلغات غير اللغة الآرامية التي كان يتكلم بها السيد المسيح عليه الصلاة والسلام.

5-القرآن الكريم: وقد جعله الله خاتم الكتب السماوية، وجعله كتابا للبشرية عامة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك قرر الله تعالى أن هذا الكتاب سيبقى محفوظا إلى أن تقوم الساعة، قال تعالى:﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾، (الحجر، الآية:9). وقال أيضا في آية أخرى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾، (فصلت، الآيتان:41-42).

والإيمان بالقرآن الكريم يكون بالوثوق به وثوقا علميا لا يشوبه شك بأنه محفوظ من التحريف والزيادة والنقصان، وبالإيمان بسمتين تسمانه دون سائر الكتب وهما سمتا: **التصديق والهيمنة**، وذلك لقوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾، (المائدة، الآية:48).

والتصديق معناه أن القرآن الكريم مصدق ومؤيد لما جاء في الكتب السماوية السابقة عليهفي حدود ما لم يصبه التحريف والتبديل، وأما الهيمنة فهي أن القرآن الكريم هو الكاشف عن مدى ما أدخل في الكتب الإلهية السابقة، وهو ليس منها، أو حذف منها وهو فيها. وعليه فهو المرجع النهائي في الأحكام.

3- **الوحي:** لغة الإعلام في سرعة وخفاء، ومنه وحي الحاجب واللحظ سرعة إشارتهما ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾، (مريم، الآية:11)، أي أومأ ورمز، وقيل أصل الوحي السر والإخفاء ومنه سمي الإلهام وحيا ومنه، قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ** ﴾،

(الأنعام، الآية121)، أي يوسوسون في صدورهم[1]، يقال وحيت إليه وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره[2]، وفي **الاصطلاح: "**هو أن يُعلم الله من اصطفاه من عباده كلَّ ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سريِّة خفية غير معتادة للبشر"[3].

وعرفه "محمد عبده"، وفرق بينه وبين الإلهام، فقال:"إنه عرفان يجده الشخص من نفسه، مع اليقين بأنه من قِبَل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه، أو بغير صوت. ويفرق بينه وبين الإلهام، أن الإلهام وجدان تستيقنه النفس، وتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان الجوع، والعطش والحزن والسرور"[4].

وعليه فالوحي بهذا المعنى الشرعي يستجمع عدة عناصر هي:

1- إنه إنباء من الله تعالى.

2- حرص النبي أو الرسول على وعي ما أوحي إليه، إذ قال: " فيَفْصِمُ عنِّي وقد وَعَيْتُ عنه ما قال، وأحيانًا يتمثَّلُ لي المَلَكُ رَجُلًا فيُكَلِّمُني فأَعِي ما يقول"، فأثبت لنفسه الوعي التام لحالته قبل الوحي، وأثناء الوحي، وبعد الوحي، وبهذا الوعي الكامل لم يخلط بين ذاته الإنسانية المتلقيِّة، وذات الله الملْقية، قال تعالى: مبينا عدم تدخل إرادة الرسول فيما يلقى إليه: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾، (يونس، الآية:15).

1-القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء**، ط1. بيروت: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1988م، ج1، ص 252.

2- محمد عبده، **رسالة التوحيد**، (مرجع سابق)، ص57.

3- محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط3.القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه1367هـ، ج1، ص63.

4-- محمد عبده، **رسالة التوحيد**، (المرجع السابق)، ص57.

3- تيقن النبي أو الرسول أن ما يلقى إليه من الوحي هو من قبل الله، ولذلك كان النبي ﷺ يتلقى الوحي بمشاعره كلها.

4- ظاهرة الوحي متماثلة عند جميع الأنبياء لأن مصدرها واحد وغايتها واحدة، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** ﴾، (النساء، الآيتان:163-164).

3-1- أنواع الوحي: الوحي على ثلاثة أنواع جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾، (الشورى، الآية:51).

3-1-1- الوحي القلبي: ويكون بإلقاء المعنى في قلب الرسول ﷺ، على وجه يحصل له معه اليقين أنه من قبل الله تعالى، وله صورتان:

أولا - الرؤيا في المنام: وهي بالنسبة للأنبياء وحي حق، وقد كانت الرؤيا الصالحة أول ما بدئ به رسولنا ﷺ، من الوحي. فَكَان لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ[1]. وقد ورد عن النبي ﷺ، قوله:"رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ"[2].

وقد وقع هذا النوع من الوحي، أي بواسطة الرؤيا لإبراهيم - عليه السلام - كما حكى ذلك القرآن، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ**

1-أخرجه البخاري **في صحيحه**، سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق، باب حدثنا يحيى بن بكير، (مصدر سابق)، ج6، ص173؛ وأخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (مصدر سابق)، ج1، ص139.

2- أخرجه مسلم في **صحيحه**، في كتاب الرؤيا، (مصدر سابق)، ج4، ص771.

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾، (الصافات، الآيات:102-106).

ثانيا -الوحي بلا واسطة: ويكون بإلقاء المعنى المراد إلقاء مباشرا في قلب نبي، وقد حصل هذا النوع لآدم عليه السلام، عند تعليمه الأسماء، قال تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾، (البقرة، الآية:31)، ووقع هذا لموسى عليه السلام عند ذهابه لميقات ربه: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي** ﴾، (الأعراف، الآية:143). وقوله في آية أخرى: ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾، (النساء، الآية:164). كما وقع هذا النوع من الوحي لنبينا محمد ﷺ، ليلة المعراج، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ** ﴾، (النجم، الآيات:8-12). وهذه الصورة منصور الوحي هي أشدها على النبي لأن القوى البشرية، لا تقوى على ذلك إلا بمدد من عنده، وقد ورد في السنة ما يوضح ذلك، قال عليه الصلاة والسلام: " إذا قَضَى اللَّهُ الأمْرَ في السَّماءِ، ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بأَجْنِحَتِها خُضْعانًا لِقَوْلِهِ كالسِّلْسِلَةِ علَى صَفْوانٍ..."[1].

وربما كان الإلقاء في القلب من الملك في قلب الرسول ﷺ، كما جاء في الحديث: " إنَّ رُوحَ القُدُسِ نفثَ في رُوعِي، أنَّ نفسًا لَن تموتَ حتَّى تستكمِلَ أجلَها، وتستوعِبَ رزقَها، فاتَّقوا اللهَ، وأجمِلُوا في الطَّلَبِ "[2].

3-1-2- الوحي من وراء حجاب: وهذا حصل مع موسى عليه الصلاة والسلام، عند اصطفائه للرسالة، عندما نودي: ﴿ **مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾، (القصص، الآية:30)، وهذا النوع من الوحي، يختلف عما قبله لأن موسى لم يكن له عهد به، و لم يكن يدور في خلده

1-أخرجه البخاري **في صحيحه،** سورة الحجر باب قوله إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين، (مصدر سابق)، ج6، ص80.

2- ينظر الألباني، **صحيح الجامع الصغير وزياداته،** ط1. بيروت:المكتب الإسلامي، (د، ت)، ج1، ص419-420. وقال صحيح

نهائيا، بل فاجأه على حين غرة. ولذلك كان الكلام من وراء الحجاب مناسبا لحاله عليه السلام.

3-1-3- الوحي بواسطة الملك: وهو أن يرسل الله تعالى: ملكا مكلفا بالوحي إلى رسوله، فيكلم النبي ويبلغه ما أمر الله به، وهذا النوع من الوحي هو الغالب في الإيحاء، وقد أوحى الله تعالى القرآن إلى نبينا محمد ﷺ، بهذه الطريقة، إذ كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ، بآيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾، (الشعراء، الآيات: 192-195)وله أساليب شتى:

-مجيء الملك في صورته الحقيقية الملكية: وقد ظهر جبريل عليه السلام للرسول ﷺ، في صورته الحقيقية الملكية مرتين، فقد ورد في صحيح مسلم عن مسروق؛ قال: كنت متكئا عند عائشة. فقالت: يا أبا عائشة! ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا ﷺ، رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال وكنت متكئا فجلست. فقلت: يا أم المؤمنين! أنظريني ولا تعجليني. ألم يقل الله عز وجل: ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ** ﴾، (التكوير، الآية:23)؛ ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ** ﴾، (النجم، الآية:13)، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: "إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ. لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ. رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ. سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ "[1].

وعن مسروق؛ قال قلت لعائشة: فأين قوله: ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ** ﴾، (النجم، الآيات:8-10)، قالت: " إنما ذاك جبريل ﷺ، كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ. وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ

1-أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل: {ولقد رآه نزلة أخرى}، وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء؟، (مصدر سابق)، ج1، ص159.

صُورَتِهِ، فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ"[1]

-مجيء الملك في صورة بشرية: وقد جاء جبريل إلى النبي محمد ﷺ، وهو في غار حراء يتحنث – أي يتعبد –" فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾[2]، (العلق، الآيات1-5)، وتارة يظهر الملك في صورة إنسان يراه الحاضرون ويستمعون إليه. وقد ورد أن جبريل تمثل للنبي محمد ﷺ، في هيئة رجل أعرابي، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسأل النبي ﷺ، عن الإسلام والإيمان[3]، ورأى ابن عباس وأسامة بن زيد وغيرهما جبريل وهو عند رسول الله ﷺ، في صورة دحية الكلبي[4].

-مجيء الملك في صورة غير مرئية: وتارة يهبط جبريل على الرسول ﷺ، خفية فلا يُرى، ولكن يظهر أثر التغير والانفعال على صاحب الرسالة فيغط غطيط النائم ويغيب غيبة كأنها غشية أو إغماء وما هي في شيء من الغشية والإغماء إن هي إلا استغراق في لقاء الملك الروحاني وانخلاع عن حالته البشرية العادية فيؤثر ذلك على

1-أخرجه مسلم في **صحيحه،** كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾، وهل رأى النبيﷺ، ربه ليلة الإسراء؟ (مصدر سابق)، ج1، ص160.

2-أخرجه البخاري في **صحيحه،** سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق باب حدثنا يحيى بن بكير، (مصدر سابق)، ج6، ص173.

3- سبق تخريج الحديث فيما تقدم.

4-هو دحية بن خليفة بن فروة الكلبي صحابي، مشهور، أول ما شهد الخندق، وقيل أحد، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته، وبقي إلى خلافة معاوية، وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر الروم. ينظر: القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى،** (مرجع سابق)، ج1، ص 361.

الجسم فيغط ويثقل ثقلا شديدا قد يتصبب منه الجبين عرقا في اليوم الشديد البرد. وقد يكون وقع الوحي على الرسول كوقع الجرس إذا صلصل في أذن سامعه وذلك أشد أنواعه. وربما سمع الحاضرون صوتا عند وجه الرسول كأنه دوي النحل لكنهم لا يفقهون كلاما ولا يفقهون حديثا. أما هو صلوات الله وسلامه عليه فإنه يسمع ويعي ما يوحى إليه ويعلم علما ضروريا أن هذا هو وحي الله دون لبس ولا خفاء ومن غير شك ولا ارتياب فإذا انجلى عنه الوحي وجد ما أوحي إليه حاضرا في ذاكرته منتقشا في حافظته كأنما كتب في قلبه كتابة[1].

وقد وضح الرسول ﷺ، هاتين الحالتين الأخيرتين في إجابته لسائل سأله عن كيفية نزول الوحي عليه، فقال ﷺ: "أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ"[2].

4- إمكان الوحي:

الوحي هو نوع من الاتصال بين الله سبحانه وتعالى وأنبيائه، وهذا الاتصال قد يحدث بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام، وأحيانا من دون واسطة كما بينا آنفا. ومن ينكر الوحي يرفض الإسلام في جملته، ويقوضه في أساسه ويهدم دعائمه الأولى الرئيسية، لكن السؤال الذي يواجهنا، كيف يتم هذا الاتصال ؟، وهل هو أمر ممكن في ذاته؟

البراهمة والسمنية[3] قديما أنكروا أي إمكانية للاتصال بين البشر وعالم الغيب،

1- محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (مرجع سابق) ج1، ص64؛ وينظر أيضا: صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ط10.بيروت: دار العلم للملايين 1977م، ص25

2- أخرجه البخاري في **صحيحه**، بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، (مرجع سابق)، ج1، ص6.

3- طائفة من طوائف الهند، كانت تؤمن فقط بالمحسوسات، وأن ليس وراء وجودها وجود آخر، ومن ثم أنكرت الرسالات السماوية، وأنكرت الإله ذاته.

وربما تابعهم في ذلك بعض الفلاسفة من أمثال أبي بكر الرازي الطبيب صاحب كتاب "مخاريق الأنبياء"، وابن الراوندي صاحب "الفرند"، ومن ثم أنكروا الوحي والنبوة. أما اليوم فإن البلاء استشرى أكثر في غمرة هاته الفتنة المادية[1].

4-1-الأدلة الفلسفية على إمكانية الوحي: وقد تصدى مفكرو الإسلام لكل الاتجاهات المنكرة للنبوة والوحي، وبينوا أن الوحي في حد ذاته ممكن، وفي مقدمة هؤلاء أبي نصر الفارابي الذي حاول بكل ما أوتي من جهد، أن يدلل على إمكانه بدليل سيكولوجي نفسي.

4-1-1- دليل الفارابي (ت339هـ): ويعتمد هذا الدليل على الرؤى والأحلام، باعتبارها نموذجا مصغرا وإلى حد ما لحالة النبوة، وهذا باعتراف الدين نفسه – سواء في الإسلام أو الأديان السابقة عليه –ولقد جاء في الحديث الشريف:" رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ" "[2].

وملخص هذه النظرية كما يصورها الدكتور "إبراهيم مدكور": "إن النوم هو ركود الإحساس، وأن الحلم صورة ناتجة عن المخيلة التي تعظم قوتها أثناء النوم، إثر تخلصها من اشتغالها بالمحسات حتى تصعد إلى سماء النور والمعرفة.

ومتى توفرت لشخص مخيلة ممتازة تمت له نبؤات في النهار مثل نبؤات الليل، وأمكنه في حال اليقظة أن يتصل بالعقل الفعال مثل اتصاله به أثناء النوم، بل ربما كان ذلك على شكل أوضح وصورة أكمل"[3].

1- يمكن الرجوع إلى طروحات الكثير من الحداثيين العرب، وهي تمثل الآن اتجاها فكريا ذا بال في الساحة الفكرية، والتي تزعم أن الدين إنما ينبغي أن ينظر إليه نظرة تاريخية فحسب، وفي مقدمة هؤلاء محمد أركون وحسن حنفي وعبدالمجيد الشرفي وغيرهم.. وإذا دققنا النظر في كتابات هؤلاء نجدها تلتقي في هدف واحد، وهو إحلال العقل محل الوحي.

2- أخرجه مسلم في **صحيحه**، في كتاب الرؤيا، (مصدر سابق)، ج4، ص771.

3-إبراهيم مدكور، **في الفلسفة الإسلامية – منهج وتطبيقه–**، ط 2. القاهرة: سميركو، (د، ت)، ج1، ص95.

وربما فهم البعض من هذه النظرية أن الرجل يقول بالنبوة المكتسبة، أو أنه يسوي بين النبي والفيلسوف، لكن هذا الفهم يزول عندما نضع هاته النظرية في سياقها التاريخي، وبخاصة إذا أدركنا أن الفترة التي عاشها الفارابي، وقبله بقليل كانت ميدانا فسيحا يعج بالمجادلات والاعتراضات حول النبوة، ولقد تولى كبر هذه الهجمة بعض الزنادقة، لذلك كانت معالجة الفارابي لهذه القضية من منظور عقلي صرف. يفضي في الأخير إلى التسليم بها وتصديقها، والأخذ عنها.

ومما يؤخذ على تفسير الفارابي للنبوة، أنه جعل الأساس فيها هو عمل الخيال المبدع أو الخلاق الذي يمكِّن صاحبه أن يقتنص معارف إن لم تكن في حال اليقظة ففي حال النوم، هذا الأساس الذي سار به المستشرق الانكليزي" منتجمري وات" Montgomey Watt، إلى أقصى غاياته حيثأكد في كتابه " محمد في مكة " أن النبي ﷺ من جنس الكتاب الموهوبين، والشعراء الأفذاذ الذين يتمتعون ب" حدس الخيال المبدع "[1] حيث أخرجوا للبشرية آثارا خالدة، لكن هاته الروائع ليست خيالية بالمعنى المبتذل، بل هي واقعية تعالج أمورا لها علاقة بالبيئة، وهذا ما أكده بقوله "القرآن انبثاق مبدع في حياة مكة "[2].

وخطل هذا التفسير واضح، إذ كيف يستطيع عمل الخيال أن يحدثنا عن حوادث الماضي الموغلة في القدم، بهذه الدقة المتناهية، كما وضحها القرآن، ربما يستطيع صاحب "الخيال الخلاق"، تركيب صورة ليس لها في الواقع وجود، وربما يستطيع صاحبه أن يعلل وقوع الظواهر والحوادث على نحو من الأنحاء، لكنه أعجز من أن ينشئ تاريخا صحيحا، لوقائع لم يشاهدها، ولم تكن له فيها أثارة من علم.

4-1-2- دليل الغزالي(ت505ه): التقط الإمام الغزالي نظرية النبوة هذه من الفارابي، ونزع عنها نقطه ضعفها المتمثل في الأساس الذي اعتمدت عليه وهو

1-منتجمري وات، **محمد في مكة**، تر: شعبان بركات، ط1. بيروت: المكتبة العصرية 1952م، ص136.
2-المرجع نفسه، ص139

"الخيال" يقول:"اعلم: أن جوهر الإنسان في أصل الفطرة، خلق خاليا ساذجا لا خبر معه من عوالم الله تعالى، والعوالم كثيرة لا يحصيها إلا الله تعالى، كما قال: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**﴾، وإنما خبره من العوالم بواسطة الإدراك وكل إدراك من الإدراكات خلق ليطلع الإنسان به على عالم من الموجودات، ونعني بالعوالم، أجناس الموجودات.فأول ما يخلق في الإنسان حاسة اللمس، فيدرك بها أجناسا من الموجودات: كالحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، واللين، والخشونة، وغيرها. واللمس قاصر عن الألوان والأصوات قطعا، بل هلي كالمعدوم في حس اللمس. ثم تخلق له حاسة البصر، فيدرك بها الألوان والأشكال، وهو أوسع عالم المحسوسات. ثم ينفتح له السمع، فيسمع الأصوات والنغمات، ثم يخلق له الذوق. وكذلك إلى أن يجاوز عالم المحسوسات، فيخلق فيه التمييز، وهو قريب من سبع سنين، وهو طور آخر من أطور وجوده. فيدرك فيه أمورا زائدة على عالم المحسوسات، ولا يوجد منها شيء في عالم الحس.

ثم يترقى إلى طور آخر، فيخلق له العقل، فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات، وأمورا لا توجد في الأطوار التي قبله. ووراء العقل طور آخر تفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب، وما سيكون في المستقبل، وأمورا أخر، العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز. من إدراك المعقولات، وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز، وكما أن المميز لو عرضت عليه مدركات العقل لأباها واستبعدها، فكذلك بعض العقلاء أبوا مدركات النبوة واستبعدوها، وذلك عين الجهل: إذ لا مستند لهم إلا أنه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه، فيظن أنه غير موجود في نفسه. والأكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الألوان والأشكال، وحكي له ذلك ابتداء، لم يفهمها ولم يقربها. وقد قرب الله تعالى على خلقه بأن أعطاهم نموذجا من خاصية النبوة، وهو النوم، إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب.. كما أن العقل طور من أطوار الآدمي، يحصل فيه عين يبصر بها أنواعا من المعقولات، والحواس

معزولة عنها، فالنبوة أيضا عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها الغيب، وأمور لا يدركها العقل."[1]

وهكذا استطاع الرجلان أن يدللا على أن الوحي في حد ذاته أمر ممكن ولا يترتب عليه استحالة عقلية.

4-1-3- دليل ابن خلدون (ت808هـ): تكلم ابن خلدون عن الاتصال بين الإنسان والملك وقرر بأن هذا الأمر ممكن في ذاته وليس فيه استحالة مستدلا على ذلك بالترتيب المشاهد في عالم الموجودات حيث لاحظ أنها تترقى صعودا من المعادن إلى النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج. فنهاية التدرج في المعادن يؤدي إلى النبات، ونهاية التدرج في النبات يتصل بأبسط الحيوانات مثل النخل والعنب واتصاله بالحلزون والصدف، بل إن بعض الحيوانات تأخذ شبه النبات مثل الإسفنج إذ هو حيوان يشبه النبات، إذن فهناك صلة بين آخر أفق النبات، وأول أفق الحيوان، وفي الحيوان هناك ما يشبه الإنسان مثل النسناس [2]، ومادام وجدنا صلة مشتركة بين الحيوان والإنسان، فإن هذا يؤدي بنا إلى القول بإمكانية أن تكون هناك صلة بين الإنسان وأفق الملائكة، وبخاصة إذا ادعى هذه الصلة الصفوة المختارة من البشر، وفي هذا المعنى يقول ابن خلدون: "اعلم. أرشدنا الله وإياك أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب، والإحكام وربط الأسباب بالمسببات، واتصال الأكوان بالأكوان، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض لا تنقضي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته..ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن، ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش، وما لا بذر له، وآخر أفق النبات مثل

1-أبو حامد الغزالي، **المنقذ من الضلال**، تح: عبد الحليم محمود، (مرجع سابق)، ص 181-182.

2-النسناس هو نوع من القرود الصغيرة، وأتذكر أثناء أحد رحلاتي في أندونيسيا أنني خلته طفلا صغيرا يجمع المال من المارة عوض والده.

النخل، والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط، ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد الغريب لان يصير أول أفق الذي بعده، واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية "[1].

ويضيف ابن خلدون قائلا: وهناك آثار متنوعة لهذه العوالم المختلفة، ففي العالم المادي آثار من حركات الأفلاك والعناصر، وفي عالم التكوين آثار من حركة النمو والإدراك تشهد كلها بأن لها مؤثرا آخر للأجسام، وهذا المؤثر روحاني إلا أنه يتصل بتلك المكونات، وذلك المؤثر الروحاني هو النفس المدركة والمحركة، وفوقها الملائكة، وهي إدراك صرف وتعقل محض، ومن الملائكة تأتي للنفس قوة الإدراك والحركة[2].

وعليه – وطبقا للنظرية الخلدونية – فإن لدي النفس استعدادا للتحول إلى الطبيعة الملائكية في وقت من الأوقات، وفي لمحة من اللمحات، وذلك بعد أن تكتمل روحانيتها، ويكون لها اتصال بالأفق الملائكي بنفس ما يحدث من تطور الأدنى للأعلى في الحلقات السابقة، والطبيعة البشرية متصلة بعالم المادة عن طريق الجسد، وعن طريق النفس يمكن أن ترقى إلى عالم الملائكة. وحينئذ تكتسب المدارك العلمية وتعلم الغيب، حيث توجد الأحداث في عوالم الملائكة مجردة عن زمن الحدوث[3].

4-2- الأدلة العلمية على إمكانية الوحي: إن الانفجارات المعرفية والمنهجية التي شهدتها البشرية في الفترة الأخيرة لم تضعف من مكانة الإسلام، ولم تنل من قيمته

1-ابن خلدون، **العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، ط1. بيروت: دار الفكر 1981م، ج1، ص119-120.

2-المرجع نفسه، ج1، ص 121.

3-المرجع نفسه، ج1، ص 121.

كما يعتقد، وإنما عززت من مركزه، وقوت أسسه ومبانيه، فظهور بعض العلوم وتوسعها مثل التنويم المغناطيسي، واكتشاف منطقة اللاشعور، بالإضافة إلى ما نعرفه ونشاهده وننتفع به مما يسمونه التليفون واللاسلكي والميكرفون والراديو. كل هذا أثبت بما لا يدع للشك أن موضوع الوحي لا يتعارض مع نواميس الطبيعة وأسرار الوجود.

4-2-1-التنويم المغناطيسي: وهو من المقررات العلمية الثابتة. ما كشفه الدكتور مسمر الألماني في القرن الثامن عشر وجاهد هو وأتباعه مدى قرن كامل من الزمان في سبيل إثباته وحمل العلماء على الاعتراف به وقد نجحوا في ذلك فاعترف العلماء به علميا بعد أن اختبروا به الآلاف المؤلفة من الخلق واطمأنوا إلى تجاربه. واستطاعوا أن يثبتوا بوساطته أن للإنسان عقلا باطنا أرقى من عقله المعتاد، وأنه وهو في حال التنويم يرى ويسمع من بعد شاسع، ويقرأ من وراء حجب ويخبر عما سيحدث مما لا يوجد في عالم الحس أقل علامة لحدوثه.كما أثبتوا من خلال التجربة إلى أي حد أظهر الله في هذا العصر آيات باهرات على أيدي الطبيعيين الذين ينكرون ما وراء المادة ويسرفون في الإنكار، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل يثبتون ما وراء المادة ويسرفون في الإثبات[1]. تحقيقا لقوله سبحانه: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾، (فصّلت، الآية:53).

ويحدثنا الزرقاني عن هذه التجربة، فيقول: "قام المحاضر وهو أستاذ في التنويم المغناطيسي وأحضر الوسيط وهو فتى فيه استعداد خاص للتأثر بالأستاذ، والأستاذ فيه استعداد خاص للتأثير على الوسيط فالأول ضعيف النفس والثاني قويها. نظر الأستاذ في عين الوسيط نظرات عميقة نافذة وأجرى عليه حركات يسمونها سحبات، فما هي إلا لحظة حتى رأينا الوسيط يغط غطيط النائم وقد امتقع لونه،

1-محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (مرجع سابق) ج1، ص66-67.

وهمد جسمه، وفقد إحساسه المعتاد حتى لقد كان أحدنا يخزه بالإبرة، وخزات عدة، ويخزه كذلك ثان وثالث، فلا يبدي الوسيط حراكا ولا يظهر أي عرض لشعوره وإحساسه بها. وحينئذ تأكدنا أنه قد نام ذلك النوم الصناعي، أو المغناطيسي وهناك تسلط الأستاذ على الوسيط يسأله: ما اسمك؟ فأجابه باسمه الحقيقي. فقال الأستاذ: ليس هذا هو اسمك إنما اسمك كذا، وافترى عليه اسما آخر، ثم أخذ يقرر في نفس الوسيط هذا الاسم الجديد الكاذب، ويمحو منه أثر الاسم القديم الصادق بوساطة أغاليط يلقنها إياه في صورة الأدلة، وبكلام يوجهه إليه في صيغة الأمر والنهي. وهكذا أملى عليه هذه الأكذوبة إملاء وفرضها عليه فرضا حتى خضع لها الوسيط وأذعن"[1].

ويضيف الزرقاني قائلا:" ثم أخذ الأستاذ وأخذنا نناديه باسمه الحقيقي المرة بعد الأخرى في فترات متقطعة وفي أثناء الحديث على حين غفلة كل ذلك وهو لا يجيب. ثم نناديه كذلك باسمه الموضوع فيجيب دون تردد ولا تلعثم. وبهذه التجربة أثبت الأستاذ أن المنوِّم بكسر الواو يستطيع أن يمحو من نفس وسيطه كل أثر يريد محوه مهما كان ثابتا في النفس كاسم الإنسان عينه ومهما كان مقدسا فيها كعقائد الدين."[2].

ويعلق الزرقاني فيقول: "وبهذه التجربة أيضا ثبت لي أنا من طريق علمي ما قرب إلى الوحي عمليا وما جعلني أعلله تعليلا علميا: فالوحي عن طريق الملك عبارة عن اتصال الملك. بالرسول اتصالا يؤثر به الأول في الثاني ويتأثر فيه الثاني بالأول وذلك باستعداد خاص في كليهما فالأول فيه قوة الإلقاء والتأثير لأنه روحاني محض والثاني فيه قابلية التلقي عن هذا الملك لصفاء روحانيته وطهارة نفسه المناسبة لطهارة الملك. وعند تسلط الملك على الرسول ينسلخ الرسول عن

1-محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (مرجع سابق) ج1، ص67-68
2-المرجع نفسه، ج1، ص68.

حالته العادية ويظهر أثر التغير عليه ويستغرق في الأخذ والتلقي عن الملك ويطبع ما تلقاه في نفسه حتى إذا انجلى عنه الوحي وعاد إلى حالته الأولى وجد ما تلقاه ماثلا في نفسه حاضرا في قلبه كأنما كتب في صحيفة فؤاده كتابا "[1].

وإذا كان المخلوق يستطيع أن يؤثر في نفس مخلوق آخر هذا التأثير بواسطة التنويم المغناطيسي، فكيف يستحيل وقوع هذه العملية نفسها بين العبد وربه؟ إننا بعد اطلاعنا على هاته التجربة وتجارب غيرها، لا نجد مبررا لإنكار الوحي والإلهام.

4-2-2- وسائل الاتصال الحديثة: والدليل العلمي الآخر، ما وصل إليه العلم من أجهزة ووسائل إن العلم الحديث استطاع أن يخترع من العجائب ما نعرفه ونشاهده وننتفع به مما يسمونه التليفون واللاسلكي والميكرفون والراديو. وعن طريق أولئك أمكن الإنسان أن يخاطب من كان في آفاق بعيدة عنه وأن يفهمه ما شاء ويرشده إلى ما أراد. فهل يعقل بعد قيام هذه المخترعات المادية أن يعجز الإله القادر عن أن يوحي إلى بعض عباده ما شاء عن طريق الملك أو غير الملك تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا[2].

ومن ناحية أخرى استطاع العلم الحديث أيضا أن يملأ بعض اسطوانات من الجماد الجامد بأصوات وأنغام وبقرآن وأغان وكلام على وجه يجعلها حاكية له بدقة وإتقان وبين أيدينا من ذلك شيء كثير لا سبيل إلى إنكاره يسمونه بالفونغراف.أَبَعْدَ هذه المخترعات القائمة يستبعد على القادر تعالى بوساطة ملك ومن غير وساطة ملك أن يملأ بعض نفوس بشرية صافية من خواص عباده بكلام مقدس والمشاهدات الكثيرة.[3]

وهكذا فإن العقل والعلم متعاضدان على تجويز أن يتلقى بشرا وحيا من الملأ

1- محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (مرجع سابق) ج1، ص69.

2-المرجع نفسه، ص69.

3- المرجع السابق، ج1، ص69.

الأعلى. وبخاصة ونحن نعلم أن النبي له وجهان: وجه ظاهر، ووجه باطن، فالوجه الظاهر متجه إلى الخلق، وإلى إقامة العدل بين الناس وتأليفهم، والوجه الباطن متجه إل قبول الوحي والعلوم الإلهامية[1].

5- أدلة وقوع الوحي:

بينا سابقا أن نزول الوحي على الأنبياء أمر ممكن في ذاته، لكن كيف نثبت أنه حدث ووقع بالفعل؟ يرى علماء العقيدة أن أدلة وقوع الوحي يمكن أن تثبت بطرق ثلاثة: الخبر المتواتر، ولقد سميناه بالدليل التاريخي، ومن واقع السيرة الذاتية، ومن شاهد المعجزة، إذ هي دليل صدق النبي على أنه مبعوث من قبل الله تعالى.وبخاصة معجزة القرآن الخالدة[2].

5-1- الدليل التاريخي: ونعني به الخبر المتواتر بوقوع الوحي، فهو دليل بالنسبة لمن لم يحضر زمن النبي ولم يشاهد ما ظهر عليه من معجزات، وآية ذلك ظهور أنبياء

1- الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، تح: أحمد سعيد البالنبوري، ط3. دمشق: دار ابن كثير 2017م، ج2، ص217-218.بتصرف.

2- يقول أبو حامد الغزالي:". فإن وقع لك الشك في شخص معين، أنه نبي أم لا؟ فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله، إما بالمشاهدة، أو بالتواتر والتسامع، فإنك إذا عرفت الطب والفقه، يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم، وسماع أقوالهم، وإن لم تشاهدهم، ولا تعجز أيضا عن معرفة كون الشافعي رحمه الله فقيها، وكون جالينوس طبيبا، معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير. بل بأن تتعلم شيئا من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما، فيحصل لك علم ضروري بحالهما. فكذلك إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر في القرآن والأخبار، يصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة، وأعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب، وكيف صدق صلى الله عليه وسلم في قوله: " من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم " ويكف صدق في قوله: " من أعان ظالما سلطه الله عليه كيف صدق في قوله: " من أصبح وهمومه هم واحد الله تعالى هموم الدنيا والآخرة. فإذا جربت ذلك في ألف وألفين وآلاف، حصل لك علم ضروري ولا تتمارى فيه. فمن هذا الطريق اطلب اليقين بالنبوة، ولا من قلب العصا ثعبانا، وشق القمر، فإذن ذلك إذا نظرت إليه وحده، ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر، وربما ظننت أنه سحر وتخييل، وأنه من الله تعالى إضلال فإنه " يضل من يشاء ويهدي من يشاء ". ينظر: الغزالي، **المنقذ من الضلال**، تح: عبد الحليم محمود، (مرجع سابق)، ص185-186.

عديدين، وإخبارهم عن الله تعالى، وظهور أدلة الصدق عليهم. في دعوى النبوة، ونزول الوحي عليهم، وقد تواتر – والتواتر يفيد اليقين – الخبر بنزول الوحي على عدد من الأنبياء كإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهما الصلاة و السلام، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا** ﴾، (النساء، الآيتان:163-164).

5-2-دليل السيرة الذاتية: فلو ادعى شخص أنه يوحى إليه من قبل الله تعالى، فعلينا أن ننظر في سيرته الذاتية، لأن العلم بأحوال ذلك الشخص وأخلاقه قبل ادعائه للنبوة خير باعث على تصديقه أو تكذيبه، وقد استدلت خديجة رضي الله عنها، على صدقه، بذلك، وكذلك أبو بكر، ولم يحتاجا في أمره إلى دليل خارج عن حاله وخلقه، وتاريخ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يحدثنا أنهم أعلا أقرانهم كعبا في كمال الفطرة، ونقاء الجوهر، وحسن الأخلاق، والصدق والأمانة في الأقوال والأفعال ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ** ﴾، (الحج، الآية:75).

وتذكر لنا كتب السيرة أنه لما تنازعت قريش فيمن يمتاز بشرف وضع الحجر الأسود في مكانه، واشتد الخلاف بينهم في ذلك، حتى كاد أن يتحول إلى حرب ضروس، اتفقوا أن يحكموا أول داخل عليهم من باب المسجد، فشاء الله أن يكون محمدا فلما رأوه هتفوا: **هذا الأمين**، رضيناه، هذا محمد[1].

وهذا أبو جهل يقول للنبي ﷺ "إنا لا نكذبك يا محمد ولكن نكذب ما جئت به"[2]، فأنزل الله تعالى: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾، (الأنعام، الآية:33).

1- المباركفوري، **الرحيق المختوم**، (مرجع سابق)، ص68.

2-الطنطاوي، **التفسير الوسيط**، (مصدر سابق)، ج5، ص65.

وأعظم شهادة تدعم ما نقول هي: قول أبي سفيان لهرقل عندما سأله عن النبي ﷺ وكان مما سأل عنه: "فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟، فذكرت أن لا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ **لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ**"[1].

وتجمع كتب السيرة أن محمدا كان رجلا أميا بين ظهراني قوم أميين وثنيين، يغشى مجالسهم – دون أن يشاركهم في فسق أو كفر –ويحيا حياتهم البسيطة مشغولا بقوت يومه، راعيا الغنم لأهل مكة على قراريط، أو تاجرا بالأجر مع السائب بن السائب المخزومي، أو مع غلام اسمه ميسرة[2]، لا صلة له بحضور مجالس العلم كما هي عادة قومه، ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾، (العنكبوت، الآية:48).

يقضي محمد في هذا المستوى أكثر من أربعين سنة من عمره، ثم يخرج للناس على حين غرة، فيفاجئهم بكلام لا علاقة له بما عليه عاش، أو عهد في بيئته. يتناول فيه أخبار الأمم الماضية بدقة عجيبة، نرى ذلك فيما قصه علينا من قصة أصحاب الكهف فقد ذكرت المصادر القديمة أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة شمسية. بينما نجد القرآن أشار أنهم لبثوا في كهفهم ﴿ **ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا** ﴾ وهذا السنون التسع هي فرق ما بين عدد السنين الشمسية والقمرية. فانظر إلى هذا الحساب الدقيق في أمة أمية لا تكتب ولا تحسب! فمن أين لمحمد هاته المعارف الدقيقة في مثل بيئة قومه الأميين الوثنيين ؟!لا شك إنه الوحي، كما قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا** ﴾، (هود، الآية:49).

ومن تتبع سيرته الشريفة وفي شهادة أعدائه وأصدقائه عنه، كما بينا سابقا، لا يشك في صدقه حينما أعلن عن نفسه أنه ليس هو واضع ذلك الكتاب، وأن منزلته منه منزلة المتعلم المستفيد، بل كان يجب أن نسجل من هذا الاعتراف دليلا آخر على صراحته

1– البخاري، في **صحيحه**، بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، (مصدر سابق)، ج1، ص8.
2– المباركفوري، **الرحيق المختوم**، (مرجع سابق)، ص66. وما بعده.

وتواضعه. ولكن العجب – كما يقول محمد عبدالله دراز بحق –أن يبقى بعض الناس في حاجة إلى الاستدلال أن القرآن ليس من صنعة محمد ﷺ يقول رحمه الله: "الحق أن هذه القضية لو وجدت قاضيا يقضي بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها على نفسه، ولم يطلب وراءها شهادة شاهد آخر من العقل أو النقل، ذلك أنها ليست من جنس "الدعاوى" فتحتاج إلى بينة، وإنما هي من نوع "الإقرار" الذي يؤخذ به صاحبه ولا يتوقف صديق ولا عدو في قبوله منه، إن أية مصلحة للعاقل الذي يدعي لنفسه حق الزعامة ويتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات لتأييد تلك الزعامة، نقول: أية مصلحة له في أن ينسب بضاعته لغيره، وينسلخ منها انسلاخا؟ على حين أنه كان يستطيع أن ينتحلها فيزداد بها رفعة وفخامة شأن، ولو انتحلها لما وجد من البشر أحدا يعارضه ويزعمها لنفسه"[1].

ثم يردف قائلا: "الذي نعرفه أن كثيرا من الأدباء يسطون على آثار غيرهم فيسرقونها أو يسرقون منها ما خف حمله وغلت قيمته وأمنت تهمته، حتى إن منهم من ينبش قبور الموتى ويلبس من أكفانهم ويخرج على قومه في زينة من تلك الأثواب المستعارة. أما أن أحدا ينسب لغيره أنفس آثار عقله وأغلى ما تجود به قريحته فهذا ما لم يلده الدهر بعد"[2].

وهناك زاوية أخرى تستلفت النظر في سيرته العطرة، ربما لفتت القليل من دارسي سيرته، فتناولوها على استحياء وهي قول لعمه أبي طالب: "والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته "[3].

1–محمد بن عبد الله دراز، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، ط. الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، 2005، ص51.

2– المرجع نفسه.

3–ابن هشام، **السيرة النبوية**، (مرجع سابق)، ج1، ص266.

وهي كلمة فيها ما فيها من الصولة في الحق، واليقين في الوحي ومصدره، وهذا بخلاف "الكشف" الذي يحصل للبعض عن طريق الرياضات والمجاهدات الروحيّة والذي إن وجده الشخص، فإنه لا ينشئ في نفسه يقينا كاملا ولا شبه كامل في مصدره وموحيه، بل يظل أمرا ذاتيا تعتري صاحبه فيه الشكوك والظنون. وتأمل معي هذا المثال الذي سأعطيه لك، لتتأكد في مبلغ ثقة الرسول ﷺ فيما يوحي إليه وفي مصدره.

تذكر كتب الحديث أن النبي -ﷺ- كان يحرس بالليل، فلما نزلت ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾، (المائدة، الآية: 67).ترك الحرس وقال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ "[1].

وحقا لقد ضمن الله بها لنبيه حماية شخصه والأمن على حياته حتى يبلغ رسالات ربه، فقد عصمه الله من أذية قومه له في مواطن كثيرة كان خطر الموت فيها أقرب إليه من شراك نعله، ولم يكن له فيها عاصم إلا الله وحده.

من ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد. فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاه. فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة. فعلق سيفه بغصن من أغصانها. قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر. قال: فقال رسول الله ﷺ، " إن رجلا أتاني وأنا نائم. فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي. فلم أشعر إلا والسيف صلتا[2] في يده. فقال لي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ:

1-الترمذي، **سنن الترمذي**، تح: إبراهيم عطوة عوض، أبواب تفسير القرآن باب: ومن سورة المائدة، (مصدر سابق)، ج5، ص251.

2-بفتح الصاد وضمها. أي مسلولا.

اللَّهُ. قَالَ فَشَامَ السَّيْفَ[1].فها هو ذا جالس"[2]

ولن استرسل أكثر في سرد هذه الوقائع، فهي أكثر من أن تُعدَّ وتحصر، وكتب السيرة على حبل الذراع لمن يريد أن يستزيد. ونعتقد أن فيما أوردناه غنية وكفاء.

ولن نذهب في المقارنة بين الوحي والمكاشفة بعيدا، ولكن حسبنا أن نشير أن المكاشف تكون لديه معارف غير منظمة في غالب الأحيان، بخلاف الوحي فإنه يكون مترابطا ومنسجما. وحسبك أن تتأمل الوحدات الموضوعية لسور القرآن الكريم لترى الإعجاز في ذلك كله.

أضف إلى ذلك أن طبيعة الحقائق الدينية تأبى الخضوع لهذا الضرب في اقتناص المعارف الغيبية، وإنما تخضع لضرب من الحوار بين ذاتين: ذات متعالية ملقية، وذات متلقية مأمورة، يكون فيها الحوار واضحا ومفهوما ولا طريق لعلامات الاستفهام إليه، وتستيقن النفس من مصدره وموحيه. وهذا يمكن أن نستجليه في تصوير السيدة عائشة لبدء الوحي، حيث قالت: "أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، قَالَ: وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** ﴾

1-عناه غمده ورده في غمده. يقال: شام السيف إذا سله وإذا أغمده، فهو من الأضداد. والمراد هنا غمده.

2- مسلم، **صحيح مسلم**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الفضائل، باب توكله على الله تعالى، وعصمة الله تعالى له من الناس، (مصدر سابق)، ج4، ص786.

الآيات إلى قوله: ﴿ **عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ [1]حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، قَالَ لِخَدِيجَةَ: أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرَهَا، الْخَبَرَ، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ."[2].

وغني عن البيان هنا أن رجفة بوادره عليه السلام، تشير إلى الرعب الذي اعتراه، مما يدل دلالة قاطعة أن الوحي جاءه بغتة، وأنه صلى ﷺ لم يكن متوقعاً لهذا الأمر، ولم يفكر قط في أمر النبوة، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ** ﴾، (القصص، الآية:86)، وكما قال: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا** ﴾، (الشورى، الآية:52).

والحديث واضح في تأكيده أن الوحي من مصدر إلهي لا شك في ذلك، وأنه من مصدر مفارق بمعنى: أنه ليس من قبيل المكاشفة التي تنال بالرياضة والمجاهدة، ولا هو نتيجة التأمل العقلي، أو عن طريق المطالعة وقراءة الكتب، قال تعالى: ﴿ **كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾، (الشورى، الآية:3).

وهناك تفسير آخر للوحي المحمدي يذهب إليه بعض المستشرقين المتعصبين، يتلخص في أن النبي ﷺ كانت تنتابه حالات من الصرع، وأن أعراضه كانت تظهر عليه، إذ كان يغيب عن صوابه، ويسيل منه العرق، وتعتريه التشنجات، حتى إذا أفاق من نوبته تلا على المؤمنين به ما يقول أنه وحي الله إليه، في حين لم يكن هذا

1-قوله: ترجف بوادره في رواية فؤاده. والبوادر جمع بادرة، وهي اللحمة التي بين العنق أصل العنق والمنكب.

2-البخاري، في **صحيحه**، سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق، باب حدثنا يحيى بن بكير، (مصدر سابق)، ج6، ص173.

الوحي إلا اثر من نوبات الصرع[1].

يقول: "جون بورت" في كتابه "الاعتذار إلى محمد والقرآن" وهو يبين خطل هذا التفسير: "وقد كذب من نسبه إلى الصرع، وهذا الافتراء شاع عمن تأثر بالعلوم اليونانية، فجعل الوحي الكريم مرضا عصبيا، وثورة جسمية، وتبعه المسيحيون المتعصبون، فزادوا في الطين بلّة، واتهموا خير إنسان بعث ليتم مكارم الأخلاق، بالصرع، والتهيج العصبي، ليضلوا قومهم ويزيدوهم جهلا على جهلهم، وبهذه الأباطيل يستغلون العصبية في المسيحيين، ويحثوهم على عداء محمد ﷺ"[2].

ونحن حينما ندفع هاته التهمة عن الرسول الأعظم محمد ﷺ فلأننا رأينا المباينة التامة، والمناقضة الكلية بين حالته ﷺ، وحالات المبتلى بالنوبات العصبية، ومن يعرف أعراض هاته النوبات والأمراض، يعرف أن هذا العصاب تصاحبه دائما أعراض وحالات تصفر فيها الوجوه، وتبرد الأطراف، وتصطك الأسنان، ثم يعقبها عادة الاضطراب والصراخ والعويل، وهي أعراض لا نجد لها وجودا في حالات محمد ﷺ.

كذلك فإن المصاب بالصرع حينما تخطئه هاته الحال، ويرجع إلى حالته الطبيعية ربما نسي ما شاهده وسمعه، وأين هذا من حالته ﷺ، التي يذكر كتاب سيرته أنه ما أن تنجلي عنه تلك الحالة، إلا وهو يتلو قرآنا جديدا محدثا. ويوضح لنا الدكتور محمد حسين هيكل هذه النقطة أكثر فيقول: "فنوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أي ذكر لما مر به أثناءها؛ ولا يذكر شيئا مما صنع أو حل به خلالها؛ ذلك لأن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطل. وهذه أعراض الصرع، كما يثبتها العلم، ولم يكن ذلك ما يصيب النبي العربي أثناء الوحي، بل كانت تتنبَّه حواسه المدركة في تلك الأثناء تنبها لا عهد للناس به، وكان يذكر بدقة غاية الدقة ما يتلقاه وما يتلوه

1-محمد حسين هيكل، **حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم**، ط14. القاهرة: دار المعارف (د، ت)، ص57.

2- جون ديون بورت، **الاعتذار إلى محمد والقرآن**، تر: عباس الخليلي، ط1. طهران1376هـ، ص22.

بعد ذلك على أصحابه"[1].

ثم أن نزول الوحي لم يكن يقترن حتما بالغيبوبة الجسيمة، وإنما هو أشبه بالسحابة الرقيقة التي قد تشبه السِنَة أو الإغماء، ولقد كانت هذه السحابة كثيرا ما تعروه قائما أو قاعدا، وسائرا أو راكبا، وبكرة أو عشيا، وفي أثناء حديثه مع أصحابه أو أعدائه، وكان تعروه فجأة وتزول عنه فجأة، وتنقضي في لحظات يسيرة، لا بالتدريج الذي يعرض للوسنان، وبالإجمال كانت حالا تباين حال صاحب الغيبوبة في أوضاعها وأوقاتها وأشكالها وجملة مظاهرها[2].

وعلى هذا يمكن القول بدون موارية بأن ما زعموه بأن الوحي نوع من الصرع يصيب ذات النبي ﷺ، باطل. هذا بالإضافة إلى أن كلام المصاب بالصرع يكون مرتبطا في الغالب بتصورات وهمية مثل أن يرى روحا شريرة تتوعده بالأذى أو تنذره بالقتل، فتكون كلماته كلها تدور في هذا الفلك، ولكن لم يشاهد قط شخصا مصابا بالصرع يكون كلامه دعوة للفضائل ومحاربة للرذائل، وهل من الإنصاف أن يصدر من صاحب نوبات عصبية مثل هذا القرآن الذي عجز فصحاء العرب عن مجاراته، وفشل رجال القانون في تقليده ومحاكاته، واعترف عباقرة العلم المعاصر بإعجاز إشاراته؟

ولعل في هذا مقنع لكل من شك، أو ارتاب في أن دعوته لقومه لم تكن وليدة رغبة ذاتية، أو مجد شخصي يريد أن يدركه، بل كانت بلاغا لأمر الله سبحانه وتعالى.

5-3-دليل المعجزة:

وهي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجزهم عن الإتيان بمثله.أما دلالة المعجزة عل وقوع الوحي**،** فهي دليل

1- محمد حسين هيكل، **حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم**، ط14. القاهرة: دار المعارف (د، ت)، ص57.
2-محمد بن عبد الله دراز، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، (مرجع سابق)، ص101.

بالنسبة لمن حضر زمن النبي وشاهد المعجزة التي ظهرت على يديه، وشهودها يفيد من شاهدها اليقين بصدق من ظهرت على يديه في دعواه الرسالة وأن الله أوحى إليه. وأعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة، كما يقول ابن خلدون: "القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد ﷺ، فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه والقرآن هو بنفسه الوحي المدعى وهو الخارق المعجز فشاهده في عينه، ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه، وهذا معنى قوله ﷺ، "مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ"[1].يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح، وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصدق لها أكثر لوضوحها فكثر المصدق المؤمن وهو التابع والأمة "[2].

وما من دليل يقام لإثبات نبوة نبي أو رسول إلا وكانت مثل هاته الأدلة وأكثر منها وأظهر موجودة في إثبات نبوة محمد ﷺ، ولهذا من يؤمن بنبوة موسى أو عيسى أو أي نبي آخر، ويجحد نبوة محمد ﷺ، فإنه يكون متناقضا في نفسه وفي الواقع، ومثله كمثل من يعتقد أن فلانا عالم بالطب لأنه طالب في السنة الأولى في كلية الطب، ولكن يرفض الاعتقاد بأن أستاذ هذا الطالب الذي ظل يمتهن الطب عشرات السنين تدريسا لهذا الطالب وغيره، وتطبيقا لعلم الطب، يرفض أن يعتقد فيه معرفة الطب، ومن البديهي أن رفضه هذا مع اعتقاده ذاك تناقض محض لا يصدر إلا عن جهل وتعصب وتقليد[3].

1-رواه البخاري في **صحيحه،** كتاب فضائل القرآن باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل، (مصدر سابق)، ج6، ص182.

2-ابن خلدون، **العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،** تح: خليل شحادة، ط1. بيروت: دار الفكر 1981م، ج1، ص119.

3-عبد الكريم زيدان، **أصول الدعوة،** (مرجع سابق)، ص27.

هذا بصورة عامة، أما الأدلة الخاصة التي يمكن أن نثبت بها نبوة محمد ﷺ، فهي كثيرة منها شاهد السيرة العطرة الذي ذكرناه آنفا، ومن أدلة نبوته هؤلاء الصحابة الذين أحاطوا بالنبي ﷺ، وهم رجال أذكياء وذوي أخلاق مستقيمة، ومن الأدلة على نبوته أيضا: هاته البركات من العلوم والمعارف والأذواق التي رؤيت في آل بيته، وصالحي الأمة كل ذلك حصل بسبب متابعتهم واستقامتهم على شريعته ﷺ، ومن الأدلة أيضا هؤلاء الأفذاذ من العلماء أصحاب الخوارق العلمية، فمع فرط ذكائهم كانوا تابعين له ﷺ معترفين له بالفضل وعلو الكعب.

ومن أدلة نبوته ﷺ: احتواء هذه الشريعة على علوم هي في الغاية من الحكمة والصواب، أرشدوا من خلالها الناس إلى قيم عليا، كقيمة وحدة الإنسانية والمساواة بين البشر، ولقد جاء في القرآن: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾، (الحجرات، الآية:13)، وفي الحديث: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى"[1]. وكقيمة تكريم الإنسان، وقيمة الحرية وهي أعلى القيم التي وصلت الإنسانية إليها اليوم، وهي قيم يستحيل صدورها عن رجل أمي عاش في ذلك المجتمع العربي الذي نعرفه جميعا مجتمع لا قبل له بالفلسفات أو الثقافات الأخرى، فلو لم تكن وحيا إلهيا، لما أمكن لأحد أن يأتي بها مهما كان نضوجه العقلي واتساع أفق تفكيره.

وهناك جانب آخر من إعجاز القرآن هو احتواؤه على أنباء ما قد سبق الأمم، وما فصله من تلك الأنباء على وجهه الصحيح كما وقع؟ وهذه معاني نقلية بحتة لا مجال فيه للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة

1- أحمد بن حنبل، **المسند**، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، (مصدر سابق)، ج34، ص474، قال المحقق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

والتلقي والتعلم.

فمن علم محمدا أسماء بعض الأنبياء والأمم الماضية، ومجمل ما جرى من حوادث التدمير في ديار عاد وثمود وطوفان نوح؟ ومن علم محمدا هذه التفاصيل الدقيقة والكنوز المدفونة في بطون الكتب التي لم يكن يعرفها إلا القليل من الدراسين؟ وإنك لتجد الصحيح المفيد من هذه الأخبار محررًا في القرآن.

حتى الأرقام.. طبق الأرقام: فترى مثلًا في قصة نوح -عليه السلام- في القرآن أنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا. وفي سفر التكوين من التوراة أنه عاش تسعمائة وخمسين سنة. وترى في قصة أصحاب الكهف عند أهل الكتاب أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة شمسية. وفي القرآن أنهم لبثوا في كهفهم "ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا" وهذا السنون التسع هي فرق ما بين عدد السنين الشمسية والقمرية.

نعم؛ إنها لعجيبة حقًّا: رجل أمي بين أظهر قوم أميين، لا صلة له بالعلم والعلماء؛ يقضي في هذا المستوى أكثر من أربعين سنة من عمره، ثم يطلع علينا فيما بين عشية وضحاها فيكلمنا بما لا عهد له به في سالف حياته، وربما لم يتحدث إلى أحد بحرف واحد منه قبل ذلك، ويبدي لنا من أخبار تلك القرون الأولى مما أخفاه أهل العلم في دفاترهم[1]، وصدق الله العظيم حينما قال: ﴿ **وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾، (العنكبوت، الآية:48)، وقوله: ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا** ﴾، (هود، الآية:49)، وقوله: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** ﴾، (يوسف، الآية:3).

وشيء آخر تظهر فيه النبؤات القرآنية، وهو إخباراته المستقبلية من ذلك أن

1-محمد بن عبد الله دراز، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، (مرجع سابق)، ص65 وما بعده.

المشركين كانوا يجادلون المسلمين في مكة قبل الهجرة، يقولون لهم: إن الروم أهل كتاب، وقد غلبتهم المجوس، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل عليكم، فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم؛ فنزلت الآية: ﴿ **الم، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ** ﴾، (الروم، الآيات:1-4). ولقد صدق الله وعده، فتمت للروم الغلبة على الفرس، بإجماع المؤرخين في أقل من تسع سنين، مع أن الإخبارَ بهذا النصر وبأنه كائن، تم في وقت بلغت فيه دولة الروم الغاية من الضعف، فلم يكن أحد يظن أنها تقوم لها بعد ذلك قائمة، ولذلك كذب به المشركون حتى تراهن بعض المسلمين وبعض المشركين على ذلك، فلما جاء الأجل الذي ضربه الله انتصر الروم على الفرس وأجلوهم من بلادهم التي أخذوها منهم وتحقق وعد الله. وهذا تأكيد على أن هذه النبوءة جاءت من لدن المهيمن على كل الوسائل والأحوال، ومن بيده مصير الشعوب والأمم وأقدارها.

وناحية أخرى من نواحي إعجاز القرآن، استوقفتنا، ولكن سوف سنشير إليها باقتضاب وهي إشاراته العلمية، وهي في اعتقادي دليل صدق القرآن وحقيقته، إذ ورغم نزول القرآن قبل آماد متطاولة، من زمن العلوم الحديثة، لم يستطع أحد أن يثبت تعارضا بين حقيقة أشار إليها محكم التنزيل، وبين ما توصلت إليه العلوم الحديثة، ولو كان هذا القرآن من وضع البشر لكان هذا ضربا من المستحيل.

فلقد جاء في القرآن: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا** ﴾، (الرعد، الآية:2). وهذه الآية مطابقة لما كان يراه الرجل القديم، فإنه كان يشاهد عالما كبيرا قائما بذاته في الفضاء، مكونا من الشمس والقمر والنجوم، ولكنه لم ير ساريات أو أعمدة، والرجل الجديد يجد في هذه الآية تفسيرا لمشاهدته، التي تثبت أن الأجرام السماوية، قائمة دون عمد في الفضاء اللانهائي، بيد أن هنالك "عمدا غير مرئية"، تتمثل في قانون "الجاذبية"، (Gravitation Pull)، وهي التي تساعد كل هذه

الأجرام على البقاء في أمكنتها المحددة[1].

وقد أشار القرآن الكريم إلى حقائق كونية أخرى، ودعا إلى تأمل قوانينها الثابتة من ذلك دائرية السماء والأرض، كما في قوله تعالى: ﴿ **يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ** ﴾، (الزمر، الآية:5). وكروية الأرض غير مكتملة الأقطاب، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا** ﴾، (الأنبياء، الآية:44).

ويلاحظ أن هذه الحقائق التي أشار إليها القرآن الكريم، تتفق مع آخر ما توصل إليه العلم الحديث، ونكتفي هنا بشهادة عالم فرنسي حاذق وهو الدكتور "موريس بوكاي"، (Maurice Bucaille)، صاحب الكتاب الذائع الصيت:(La BIBLE, le CORAN et la SCIENCE)، والذي ترجم بعنوان: "القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم"، يقول فيه: "ولقد أدهشتني في البداية هذه الصورة العلمية الخاصة بالقرآن إلى حد بعيد، لأني لم أكن أظن أبدا أنه يمكن حتى هذا الزمن أن نكتشف في نص مكتوب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا، عددا من اليقينيات المتصلة بموضوعات شديدة التنوع ومتفقة تماما من المعارف الحديثة، ولم يكن لدي في البدء أي إيمان بالإسلام"[2].

فمن أخبر محمدا بهذه العجائب من أسرار الكون في زمن لم يكن الإنسان قد عرف من الطبيعة إلا القليل النادر!!لسنا نملك أمام هذه المواطآت العجيبة، إلا أن نؤمن أنَّ هذا الكتاب الذي بين أيدينا صادر من موجود عليم خبير، أحاط علمه بالأزل وبالأبد على السواء، يعلم الحقائق في صورتها النهائية، كما لا يندّ عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء. فلا غرو والأمر هكذا أن يكون القرآن أعظم دليل

1- وحيد الدين خان، **الإسلام يتحدى**، تر: ظفر الإسلام خان، ط4.القاهرة: الرسالة 2005م، ص190-191.

2- موريس بوكاي، **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**، تر: حسن خالد، ط3. بيروت: المكتب الإسلامي 1990م، ص 147-148.

على نبوة محمد ﷺ.

5-4- معجزات الأنبياء: تعريف المعجزة: مأخوذ من العجز، وهو عدم القدرة على فعل الشيء، وأما في الاصطلاح: فهي أمر يظهربخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يُعْجِز المنكرين عن الإتيان بمثله.

شرح التعريف: وإنما قال أمر ليتناول الفعل كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ، والترك كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام. والقول، كالقرآن الكريم فهو أعظم دليل على نبوة محمد ﷺ، وقد تحدى الله به فصحاء العرب، واحترز بقيد المقارنة للتحدي عن كرامات الأولياء والعلامات الإرهاصية التي تتقدم بعثة الأنبياء، وعن أن يتخذ الكاذب معجزة من يعاصره من الأنبياء حجة لنفسه وعن أن يقول معجزتي ما ظهر مني في السنين الماضية فقد صرحوا بأنه لا عبرة بذلك[1].

5-5- شروط المعجزة: ذكر السعد سبعة شروط لها، رتبها الإمام البيجوري في شرحه على الجوهرة.

1- أن يكون الأمر المعجز من الله تعالى، وليس لمدعي النبوة دخل فيه، يريد الله به تصديقه في دعوى الرسالة، ويكون قولا أو فعلا أو تركا، كما بينا سابقا في تعريف المعجزة.

2- أن يكون الأمر المعجز خارقا للعادة، وعلى هذا فإن ما اعتاده الناس واستمروا عليه مرة بعد أخرى. من مثل طلوع الشمس كل يوم من المشرق، وظهور الأزهار في الربيع، ليست بالأمر المعجز، فلو ادعى إنسان النبوة، وقال

1-مسعود التفتازاني، **شرح المقاصد في علم الكلام**، ط1.كراتشي: دار المعارف النعمانية باكستان 1981م، ج2، ص176 -177.

معجزتي: طلوع الشمس غدا في الصباح، فلا تصدق دعواه.

3- أن يكون على يد مدعي النبوة. وخرج بذلك الكرامة: وهي ما يظهر على عبد ظاهر الصلاح، ومن قبيلها المعونة، ليعلم الناس أنه تصديق له في دعوى الرسالة.

4- أن يكون مقرونا بدعوى النبوة أو الرسالة. ليخرج بذلك الإرهاص: وهو ما كان قبل الرسالة مثل تكليم عيسى بن مريم الناس.

5- أن يكون موافقا للدعوى، وخرج بذلك المخالف لها، كما إذا قال: آية صدقي انفلاق البحر، فانفلق الجبل.

6- أن لا يكون مكذبا للمدعي.

7- أن يتعذر معارضته، وخرج بذلك السحر والشعبذة وهي خفة اليد[1].

وزاد الإمام البيجوري شرطا آخر وهو أن لا يكون في زمن نقض العادة، كزمن طلوع الشمس من مغربها [2].

5-6- أقسام المعجزة: يمكن تقسيم المعجزة باعتبارات مختلفة، فباعتبار كونها قولا أو غيره تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1-مسعود التفتازاني، **شرح المقاصد في علم الكلام،** (مرجع سابق)، ج2، ص176 -177؛- الإمام البيجوري، **تحفة المريد على جوهرة التوحيد،** ط1. القاهرة: دار السلام 2001م، ص220-221

2- المرجع نفسه، ص220-221

-**قول**: كالقرآن الكريم الذي هو معجزة محمد النبي الخاتم ﷺ.

-**فعل**: كانقلاب العصا حيّة تسعى، وحنين الجذع، ونبع الماء بين أصابعه الشريفة.

-**ترك**: وذلك كعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام.

وتنقسم المعجزة باعتبار كونها حسيّة أو معنوية إلى قسمين.

أ- حسيّة: هي معجزات أجراها الله تعالى على يد أنبيائه، وهي مخالفة لما ألفه الناس، وأمثال هذه كثيرة منها:معجزة سيدنا موسى من انفلاق البحر حين ضربه بعصاه، ومعجزات سيدنا عيسى بن مريم كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، ومع أن القرآن الكريم، حافل بذكر العديد منها، إلا أن روحه كانت متشوفة إلى إقامة الإيمان على أساس الدليل المستمد من التأمل العقلي، والنظر في الأدلة الكونية، والنصوص القرآنية ظاهرة الوضوح في أنه لا يمكن أن تتأسس عقيدة – لها ما ليس لغيرها – من التقدير والاهتمام على الخوارق التي تدهش العقول، وتأخذ بالألباب في لحظة خاطفة بعيدة عن التأمل الهادئ أو النظر الواعي، قال تعالى: ﴿ **إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ** ﴾، (الشعراء، الآية:4). فالقرآن لم يشاء هذا الطريق، وإنما أراد طريق تأسيس الإيمان على الدليل والبرهان.

ب-معنويّة: كالقرآن الكريم، بل تشمل الأحاديث الصحيحة التي تحث على مكارم الأخلاق، وتدعو إلى التحلي بالفضائل، وتحذر من عواقب الرذائل، وتبين خطرها على المجتمعات البشرية. وعلى العموم فهي جوامع الكلم التي جمعت المعاني الكثيرة في القول القليل الوجيز، وهي شيء فضل به النبي محمد ﷺ.

6- ختم النبوة: ختم النبوة واحدة من عقائد الإسلام العظيمة، وتعني أن الإسلام خاتمة الرسالات السماوية، وأن محمدا خاتم الأنبياء، وذلك لقوله تعالى: ﴿

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾، (الأحزاب، الآية:40).

قال القرطبي: "قَرَأَ عَاصِمٌ وَحْدَهُ بِفَتْحِ التَّاءِ، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ بِهِ خُتِمُوا، فَهُوَ كَالْخَاتَمِ وَالطَّابَعِ لَهُمْ. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ بِكَسْرِ التَّاءِ بِمَعْنَى أَنَّهُ خَتَمَهُمْ، أَيْ جَاءَ آخِرَهُمْ. وَقِيلَ: الْخَاتَمُ وَالْخَاتِمُ لُغَتَانِ، مِثْلُ طَابَعٍ وَطَابِعٍ، وَدَانَقٍ وَدَانِقٍ"[1]. وقد ورد في الحديث: "مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ! " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، "فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ. جِئْتُ فَخَتَمتُ الأَنْبياءَ"[2]. ولقوله عليه الصلاة والسلام:" لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ"[3].

وقال ابن كثير: "فمن رحمة الله-تبارك وتعالى- بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم، ثم من تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر-تبارك وتعالى- في كتابه، وأخبر رسوله في السنة المتواترة عنه، أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل، ولو تخرق وشعبذ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم.."[4].

المبررات العقلية التي جعلت نبوة محمد ﷺ هي النبوة الخاتمة:

إن المتأمل في فجر تاريخ البشرية يجد أن الشعوب والأقوام كانت منعزلة بعضها عن بعض في الغالب، فلم تكن وسائل الاتصال متاحة، بحيث يسهل التلاقي

1- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (مصدر سابق)، ج14، ص196.

2-مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، (مصدر سابق)، ج4، ص1791.

3- رواه البخاري في **صحيحه** عن أبي هريرة – رضي الله عنه- كتاب التعبير، باب المبشرات، (مصدر سابق)، ج9، ص31.

4- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (مصدر سابق)، ج6، ص384.

والتعارف بين هاته الجماعات، بل كانت كل جماعة منطوية عن ذاتها لا تعرف عن تقاليد وعادات الشعوب الأخرى شيئا، ولذا كان من الطبيعي أن تختلف تشريعات الله لهاته الأقوام، بحسب هاته الاعتبارات، لذلك كانت الأنبياء ترسل إلى أقوامها خاصة، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ** ﴾، (الأعراف، الآية 59). وقال: ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ** ﴾، (الأعراف، الآية 73). وقال: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾، (الزخرف، الآية 46). وقال: في شأن عيسى عليه السلام:﴿ **وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾، (الزخرف، الآية 49). فلما تغيرت البشرية كثيرا عما كانت عليه في حياتها الأولى، وصارت ناضجة من الناحية العقلية بعد أن تجاوزت المرحلة البدائية، وكادت العزلة بين جماعاتها أن تختفي، وزاد التقارب فيما بينها، وتجاوز الكثير منها المرحلة القبليِّة، واستقرت بعض الجماعات في مجتمعات قومية، وأخذ بعضها يتصل ببعض بصلات التجارة أو العلم أو الحرب أو الهجرة أو ما شاكل ذلك، عندئذ شرعت الجماعات البشرية في استثمار الطبيعة استثمارا جديا[1].

والحقيقة إن هذه التطورات التي حدثت في تاريخ البشرية، اقتضت وجود رسالة خاتمة، لأن تلك الرسالات السماوية كانت خاصة، ومحدودة في الزمان والمكان كما بينا من قبل، ولذا فإن الاعتبارات الخاصة كانت غالبة في أحكامها على الاعتبارات العامة، كما كانت معجزات رسلها معجزات حسيّة، لأن تلك الرسالات كانت تخاطب الإنسانية وهي في دور لم يستو سوقها بعد.

أما وقد اشتدَّ سوق الإنسانية، وقوي ساعدها، وصارت مؤهلة لتقبل تعاليم، وتشريعات مشتركة بينجميع الأجناس والقبائل، فلا بد من رسالة للبشرية تناسب

1-عبد الغني مقصود، **أصول العقيدة الإسلامية**، ط1. القاهرة: مكتبة الزهراء 1406هـ، ص175و ما بعده.

نضوجها العقلي، رسالة تتغلب فيها الاعتبارات الإنسانية العامة عن الاعتبارات الخاصة، رسالة تتناغم مع فطرة الإنسان في كل زمان ومكان، رسالة تضع المبادئ العامة الخالدة التي لا تقبل النسخ أو التغيير، وهذا ما تحقق في رسالة محمد النبي الخاتم ﷺ، فلا غرو أن تكون عامة لكل البشرية، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾، (سبأ، الآية:28).

وفي هذا المعنى يقول محمد إقبال: "إن النبوة في الإسلام لتبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة نفسها، وهو أمر ينطوي على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمدًا إلى الأبد على مقود يقاد منه، وإن الإنسان لا بدّ له في النهاية من أن يعتمد على نفسه! وإن الإنسان لكي يحصل كمال معرفته لنفسه ينبغي أن يترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو"[1].

وهكذا فإن انقطاع النبوة بعد محمدﷺ، توفير للجهود البشرية، والطاقات الإنسانية، من أن تمتحن وتستنفد بعد كل فترة زمنية، أو على مسافة مكانية في التصديق والتكذيب، وتوجيه الإنسان إلى أن ينظر إلى الكون، والأرض في استخدام مواهبه وطاقاته، لا إلى السماء بين آونة وأخرى، لينزل للإنسانية وحي جديد، وعلم مفيد مزيد، فيتفادى بذلك من بلبلة فكرية، وصراع مذهبي، وتمزق اجتماعي[2].

وبهذا يتأكد أن ختم الإسلام للرسالات الإلهية، له من المبررات العقلية بجانب النصوص الدينية ما يجعل هذه القضية مقبولة في نظر العقل، بحيث لا تنتظر من بعد دينه من دين، ولا بعد رسوله من رسول.

1-محمد إقبال، **تجديد التفكير الديني في الإسلام**، ترجمة عباس محمود، ط. بيروت: دار آسيا، 1985م، ص177.

2 - أبو الحسن الندوي، **العقيدة والعبادة والسلوك**، ط2. الكويت: دار القلم 1983م، ص48.

7- أثر الإيمان بالكتب على الفرد والمجتمع:

إن الإيمان بالكتب الإلهية التي أنزلها الله على رسله يعود بالخير على البلاد والعباد في العاجل والآجل، لأن الرسول: يعرفنا المصالح وخاصة الدينية التي تجلب المنافع وتدفع المضار، وعلى أساسها يحصل العبد على الثواب، ويبعد عن العقاب. ولو خلت هاته الكتب من النفع لكان إنزالها على الرسل عبثا يتنزه الباري عنه.

7-1- استقرار المجتمعات: أما أثر الإيمان بالكتب على الاجتماع الإنساني، فهو حقيقة مسلمة عند كافة العقلاء، إذ أن حياة الناس لا تستقيم أو تستقر إلا بإنزال الكتب وهو ما بينه الشهرستاني بقوله: "إن نوع الإنسان محتاج إلى اجتماع مع آخر من بني جنسه في إقامة معاشه، والاستعداد لمعاده؛ وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ما هو له، ويحصل بالتعاون ما ليس له؛ فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هي الملة، والطريق الخاص الذي يوصل إلى هذه الهيئة هو المنهاج، والشرعة، والسنة.."[1].

وتشتمل هذه الشرعة أو المنهاج على ما يحقق العدل والقسط بين الناس، وما يحفظ مصالحهم في الدنيا والآخرة.

7-2-تأييد الرسل وإظهار صدقهم: أنزل الله الكتب السماويّة لبيان صدق الرسل والأنبياء في دعواهم المتعلّقة بالبعثة والاصطفاء، ومما يصح أن يُستشهد به في هذا المجال قول الحق سبحانه: ﴿ **فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ** ﴾، (آل عمران، الآية:184)، فتكذيب الرسل عادة متبعة من قبل الظالمين بالرغم من التأييد الإلهي بهذه الكتب المنزّلة التي تدلّ على صدق دعوى الاصطفاء.

1-أبو الفتح محمد الشهرستاني، **الملل والنحل**، ط1. القاهرة: مؤسسة الحلبي (د، ت)، ج1، ص38.

7-3-حفظ الدين: إن استمرار وجود الكتاب الإلهي بين الناس يحفظ دعوة الرسول ورسالته من النسيان والاضمحلال، ويصونها من التحريف والتبديل، لاسيما حين تكون دعوة الرسول عامة شاملة كرسالة محمد ﷺ، إذ يقوم الكتاب بعد رحيل الرسول مقام الرسول نفسه الذي بلغه إلى الناس من ناحية بيان أصول الدين وشرائعه وسائر مواعظه وآدابه. كما ينبغي أن يرجعوا إليه عند كل اختلاف، يختلف حوله الناس مما تتناوله أحكام شريعة الله لهم .قال الله تعالى: ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** ﴾، (البقرة، الآية:213). ومن ثم تغدو هاته الكتب المرجعيّة الحاكمة للناس في معرفة الاستحقاقات واستنباط الواجبات، ولو تُركت الأمور للناس لفسدت الأرض، واختل نظام العالم.

الفصل الرابع

الإيمان بالرسل

تمهيد:

الإيمان بأنبياء الله ورسله هو الأصل الرابع من أصول العقيدة الإسلامية المذكورة في الحديث الشريف: "أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ"[1]، وقد ورد هذا الأصل في بعض الآيات القرآنية في الترتيب الثاني بعد الإيمان بالله تعالى مما يدل دلالة واضحة على المكانة التي يتبوأها من بين أصول العقيدة الإسلامية، ومن بين هذه الآيات قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾، (النساء، الآية:152)، وقوله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا** ﴾، (النساء، الآية:150).

وعلى المؤمن أن يؤمن برسل الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن الكريم تفصيلا، ويؤمن إجمالا بأن لله رسلا أرسلهم للناس لم يقصص علينا ذكرهم في القرآن والسنة الشريفة، قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾، (غافر، الآية:78)، ولقد نهض الرسل أجمعون ليبلغوا عنه سبحانه ما شاء من العقائد والعبادات والأحكام والآداب، الحكمة من ذلك كما يقول الإمام الدهلوي: أن

1- رواه البخاري في **صحيحه**، سورة لقمان، باب قوله إن الله عنده علم الساعة، (مصدر سابق)، ج6، ص 115؛ ورواه مسلم، في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (مصدر سابق)، ج1، ص36.

يوفي الله تعالى عباده ما لا غنى لهم عنه، من بقاء نوعهم، ونظام حياتهم، وسعادتهم في دنياهم وأخراهم.

1-حاجة الناس إلى الرسل:

لا مراء أن حاجة الناس للرسل الكرام وللوحي الإلهي، حاجة ملحة، وضرورية لأسباب نذكر منها: إن معارف الإنسان ومدركاته لا تكفي في التعرِّف على طريق الكمال والسعادة في العاجل والآجل، وكذلك فإن العقول متفاوتة في إدراك المصالح والمنافع، فالتفويض إليها مظنة التنازع والتقاتل، ومفض إلى اختلال النظام[1]، فكان أن تفضل الله – رحمة منه –بالبشر، فاختار منهم رجالا اصطفاهم واجتباهم، وأمرهم بتبليغ شرائعه للناس، وقد أتوا في تلك الشرائع بعلوم هي الغاية في الحكمة والصواب، تهدي إلى الرُّشْد، وتأخذ بيدي الإنسان إلى كماله الممكن. ليكون خليفة الأرض قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾، (البقرة، الآية:30).

ولا يمكن أن يتم هذا إلا بعقائد حقَّة، وعبادات، ومعاملات وهي لا تعرف إلا من جهة الله تعالى، فاحتاج البشر إلى أن يعرفوا الله تعالى ونواهيه، فاقتضت الحكمة الإلهية الاستجابة إلى هذه الاحتياجات المعنوية لطفا منه ورحمة، وكلّ ما ينبغي الناس فعله هو الرجوع إلى هذه الكتب السماويّة ليجدوا فيها بغيتهم، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾، (الحج، الآية:54)، وقال تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾، (يونس، الآية:35)، وألم يقل النبي ﷺ: "..وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ. كِتَابُ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ " قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى

1- مسعود التفتازاني، **شرح المقاصد في علم الكلام**، ط1. استطنبول: مطبعة الحاج محرم صفند البوسنوي 1888م، ج2، ص175.

السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ "اللَّهُمَّ! اشْهَدِ اللَّهُمَّ! اشْهَدْ" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ."[1].

ولهذا يحمد أهل الجنّة الخالق المتفضل، ويَشْكروا الأنبياء والرسل لأنهم السبب في هدايتهم ووصولهم إلى ما هم فيه من النعيم المقيم، كما بيَّن الحق ذلك في قوله: ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ** ﴾، (الأعراف، الآية: 43). بالإضافة إلى الحاجة المعرفية التي أشرنا إليها، هناك وظائف مهمة أخرى يؤدونها في مجال تكامل البشر، أهمها ما يلي:

1-1-التذكير: أي تذكير البشر بما يغفلون عنه، نتيجة إقبالهم على الدنيا، وانهماكهم في لذاتها الفانية، وطلبهم للعلو والرئاسة، ولذلك يوصف النبي بالمذكر قال تعالى: ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ** ﴾، (الغاشية، الآية21)، وسمي القرآن بالذكر، كما في قوله ﴿ **أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾، (الأعراف، الآية:63).

1-2-القدوة: والأنبياء والرسل لا يزودون البشر بمعارف نظرية وكفى شأن الفلاسفة، وإنما يحدثون نقلة كبرى في نفوس من يعتنقون دعوتهم، ويقبلون على التزكية على أيديهم، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾، (الأحزاب، الآية:21). وقوله تعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ** ﴾، (الممتحنة، الآية:4).

والاقتداء بالرسل الكرام لا يعني النظر في النصوص وحفظها فحسب، بقدر ما يعني الاتصاف بأخلاقهم، وأحوالهم، وأذواقهم أي العمل بمضامين النصوص. ولقد كان من ثمار هذه التربية النبوية هذا التكامل المادي والروحي الذي حازه آل بيته الأطهار، وصحابته الأبرار. المستوجب لمغفرة الله ورضوانه قال تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ**

1-رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، (مصدر سابق)، ج2، ص386.

فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾، (الفتح، الآية:29).

1-3- القيادة: لما كانت آراء الناس تختلف في تقدير المصلحة، فما يراه زيد مصلحة، يراه عمرو مفسدة، فكان هذا موجبا لتصادم الرغبات، ووقوع التشاحن والبغضاء، ومن ثم كان لابد أن يقيم الله تعالى سبحانه واحدا من الناس ويؤيده بالآيات، حتى يُعلم بها أنه مرسل من قبل رب العالمين، وحتى **ينقاد إليه الجميع وينفذوا أوامره**، فيقطع بذلك أسباب الغواية، ويوصد أبواب الضلال، ويوقف الناس على ميزان العدل والإنصاف، ويرشدهم إلى ما فيه الخير في الدنيا والآخرة. وفي هذا المعنى يقول الإمام البيضاوي: " لما لم يكن الإنسان بحيث يستقل بأمر نفسه، وكان أمر معاشه لا يتم إلا بمشاركة آخر من أبناء جنسه، ومعاوضه ومعاونه يجريان بينهما فيما يعِّن لهما بما يتوقف عليه صلاح الشخص أو النوع، احتاج إلى عدل يحفظه بشرع يفرضه شارع يختص بآيات ظاهرة ومعجزات باهرة، ويدعو إلى طاعته، ويحث على إجابته، ويصدق في مقالته، يوعد المسيء بالعقاب، ويعد المطيع بالثواب، وهو النبي "[1].

1-4- إقامة الحجة: أرسل الله رسله ليقطع عذر الخلق من كل الوجوه، قال تعالى: ﴿ **رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾، (النساء، الآية:165)، فيحيا من حيي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، ولا يقولون كما حكى الله قولهم: ﴿ **مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ** ﴾، (المائدة، الآية:19)، وقوله أيضا: ﴿ **وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ**

1-ناصر الدين البيضاوي، **طوالع الأنوار من مطالع الأنظار**، ط1. قم: مركز بخش 1393هـ، ج1، ص129.

﴿إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾، (طه، الآية:134).

إذن فقد أرسل الله تعالى الرسل لقطع عذر العباد ولإقامة الحجة عليهم، لأن الرسل إذا بينوا أحكام الشرائع مفصلة سقطت حجج البشر.

2-مفهوم النبوة والرسالة:

يأتي لفظ النبوة في اللغة العربية على وجهين: الأول، يكون مهموزا فيقال: نبوءة، والثاني غير مهموز. أما المهموز فمشتقةٌ من النبأ، وهو الإخبار؛ ويكون النبي حينئذ على صيغة فعيل بمعنى مفعول، أي منبأ بالغيوب، أو بمعنى فاعل، أي منبئ بما أطلعه الله تعالى عليه، وتترك الهمزة في هذا الوجه تسهيلا[1].

وأما الوجه الثاني وهو عدم الهمزة فيكون مشتقا من النبوة وهي العلو والارتفاع، يقال: نبا إذا ارتفع[2]، ويكون المعنى هو ارتفاع منازل الأنبياء على الخلق، باختصاصهم بما اختصهم الله به من وحيه وخطابه. وكلُّ رسولٍ نبيّ؛، والرسول لفظةٌ مشتقّةٌ من الإرسال، وتعني التوجيه والتتابع .[3]

أما اصطلاحا: فقد اختلف أهل العلم فيها، وافترقوا على مذاهب: والذي نرجّحه، أن الرّسول هو المبعوث إلى قومٍ برسالة جديدة وشرعٍ جديد، في حين أن النبيّ هو مُذَكِّرٌ لقومه برسالةٍ سابقةٍ، وإن أمر بالإبلاغ والإنذار، فيكون كلّ رسولٍ نبيّاً، وليس كلُّ نبيٍّ رسولا[4]. ويؤيده ما ورد في حديث أبي ذر رضي الله عنه قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ كمِ الأنبياءُ؟ قال: (مئةُ ألفٍ وعشرونَ ألفًا) قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ كمِ

1-ابن منظور، **لسان العرب،** (مرجع سابق)، مادة نبأ.ج15، ص 303؛ وينظر أيضا: القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ط1. بيروت: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1988م، ج1، ص 250.

2-ابن منظور، **لسان العرب،** (مرجع سابق)، مادة نبأ.ج15، ص 303.

3-القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى،** (مرجع سابق)، ج1، ص 250؛ ابن منظور، **لسان العرب،** (مرجع سابق)، مادة رسل.ج11، ص 283 وما بعده.

4-القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى،** (المرجع السابق)، ج1، ص251.

الرُّسلُ مِن ذلك؟ قال: (ثلاثُمئةٍ وثلاثةَ عشَرَ جمًّا غفيرًا) قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ مَن كان أوَّلَهم؟ قال: (آدَمُ)[1].

وترجع النبوة إلى اصطفاء الله عبدا من عباده واختصاصه بالوحي إليه، ومن هنا فليست النبوة مما يدرك بالجد والاجتهاد، سواء بالممارسة أو الرياضة الروحية أو النظر الفكري، وليست كذلك ثمرة الخيال الخلاق، أو أثرا من آثار العبقرية، ليست النبوة في ذلك من شيء، قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾، (الحج، الآية:75)، وقوله: ﴿ **وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾، (الأنعام، الآية: 124). وقال عن محمد ﷺ ، ﴿ **وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ** ﴾، (القصص، الآية:23).

فالنبوة ثمرة من ثمرات الاصطفاء الإلهي لا يمكن اكتسابها والحصول عليها بالرياضات الروحية، ولا بضروب المجاهدات من صوم وزهد وجوع وملازمة للخلوات، إنها مرتبة اصطفاء كامل مقترنة بالوحي الذي يتصل فيه النبي بمصدر علوي مفارق، ذي وجود يقيني، يصله بالله مباشرة أو عن طريق ملك يبلغه أمر الله.

3-دليل وجوب الإيمان بأنبياء الله ورسله:

من أصول العقائد الإسلامية الإيمان بالأنبياء والرسل الذين أرسلهم إلى الناس يدعونهم إلى عبادة الله والعمل الصالح، ويبشرونهم بالجنة، وينذرونهم من النار، وقد أوجب الله التصديق بهم لأنهم طريق الهداية إليه كما في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾،

1-ابن حبّان، في **صحيحه**، باب ما جاء في الطاعات وثوابها ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبي بشيء منها، (مصدر سابق)، ج 2، ص77.وقال شعيب الأرناؤط: إسناده ضعيف جدّاً.

(النساء، الآية 136).

وقد أوجب الشارع الإيمان بهم من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾.

4- دلالات صدق الرسالات الإلهية:

يمكن إدراك صدق دعوى الرسالة بأمور عدة لعل أشهرها ثلاث:

الأمر الأول: شاهد سيرة مدعى الرسالة في قومه قبل مبعثه.

الأمر الثاني: شاهد محتوى الرسالة التي يدعو إليها.

الأمر الثالث: شاهد الآيات والمعجزات التي يظهرها الله على يديه مقرونة بدعوى الرسالة.

4-1- شاهد سيرة مدعى الرسالة في قومه قبل مبعثه: كنَّا قد بينا سابقا أن النبوة ليست مما ينال بالرياضة أو الاجتهاد الشخصي، بحيث تكون في مقدور كل إنسان، وهذا يعني أنها موهبة من الله تعالى، ونعمة منه على عبده، قال تعالى: ﴿ **قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾، (إبراهيم، الآية11). وقوله: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾، (الحج، الآية:75). لكن هذا لا يعني أن هذه الهبة الربانية، تحصل لأي إنسان كيفما اتفق، وأي مخلوق كان، إذ حسبنا أن ندرك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾، (البقرة، الآية:124). وهذا ولا شك بيان لمن يُلْقى عليه عبء القيام بالرسالة، والآية تدل صراحة على أن الظالمين من ذريته ليسوا أهلا لأن يكونوا أئمة يقتدى بهم، وتشير إلى أن العدل

الإنساني طريق لهذا الاستحقاق، وقد ناله من توافر فيه من ذريته إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وغيرهم من الأنبياء. مع استصحاب أن المقاييس الحقيقية لهذا الاصطفاء تظل حقا لله وحده، قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾، (الأنعام، الآية 124).

والذي نريد أن نصل إليه أن "النبوة والرسالة ليست خاضعة لقانون الصدفة والهوى، وإنما هي خاضعة للتدبير المحكم والعلم المحيط، والعناية التي لا تخطئ. فالرسول المبلغ عن الله، بل والنبي على العموم، في أي أمة كان، وإلى أي شعب أرسل تختاره العناية الإلهية بدقة، فيربى تربية خاصة بحيث يكون في جميع أطواره مكلوءا بالرعاية، محفوظا بالعناية"[1].

وآية ذلك قوله تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿ **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي** ﴾، (طه، الآية:39)، و في محمد يقول الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ** ﴾، (الضحى، الآيتان:6-8).

ومن هذين الموقفين يتبين كما يقول طه حبيشي بحق: "عناية الله لأنبيائه، ورعايته لهم في تكوين شخصياتهم، وتحديد مجرى سلوكهم، وما محمد وموسى - عليهما السلام - إلا مثَلين تجلى فيهما تطبيق تلك القاعدة، وعليه فالأنبياء جميعا خاضعون لهذا القانون وتلك الحتمية (حتمية وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي)[2].

وفي هذا المعنى يقول القاضي عياض: "وكان ﷺ مجبولاً على هذه الصفات في أصل خلقته، وأوّل فطرته. لم تحصل له باكتسابٍ ولا رياضةٍ، إلا بجودٍ إلهيٍّ وخصوصيّةٍ ربّانيةٍ، وكذا لسائر الأنبياء"[3].

1- طه حبيشي، **النبوة في الفكر الإسلامي – قضايا وتحليلات–**، ط1.القاهرة: دون تحديد مكان النشر 1981م، ص8.

2-المرجع نفسه، ص10.

3- القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، (مرجع سابق) ج1، ص97.

ويحدثنا تاريخ الأنبياء – صلوات ربي وسلامه عليهم – أنهم كانوا كما يقول الشهرستاني: "خيرة الله في خلقه وحجة الله على عباده والوسائل إليه وأبواب رحمته وأسباب نعمته ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ** ﴾، (الحج، الآية: 75)، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً** ﴾، (آل عمران، الآية: 33)، فكما يصطفيهم من الخلق قولا بالرسالة والنبوة، يصطفيهم من الخلق فعلا بكمال الفطرة ونقاء الجوهر وصفاء العنصر وطيب الأخلاق وكرم الأعراق فيرقيهم مرتبة مرتبة حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة وكملت قوته النفسانية وتهيأت لقبول الأسرار الإلهية بعث إليهم ملكا وأنزل عليهم كتابا"[1].

وبهذا الدليل استدلت السيدة خديجة – رضي الله عنها – عندما جاءها رسول الله ﷺ وهو يرجف فؤاده، مما حدث له في غار حراء، وقد خشي على نفسه أن يكون قد أصابه سوء، فقالت له فيما قالته له: "كلا، والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"[2].

فهي – رضي الله عنها –لم تنتظر معجزة من السماء لتصدق بأنه نبي هذه الأمة[3]، بل نظرت في سيرته ﷺ، وبما يتصف به من أخلاق وشيم، فهذه السيرة الطيبة العطرة لا يمكن أن يكون صاحبها كذابا يدعي على الله ما ليس فيه، وهذا الدليل يكفي لأصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة، ولهذا استدلت به على نبوته، وهو دليل على كمال عقلها ورجاحتة.

ويصدق ذلك أيضا على حديث جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – أمام

1- الشهرستاني، **نهاية الإقدام في علم الكلام**، تح: أحمد المزيدي، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م، ج1، ص259.

2- ينظر: المباركفوري، **الرحيق المختوم**، (مرجع سابق)، ص57.

3-ابن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط2. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1955م، ج1، ص 238.

النجاشي حين أرسلت قريش إلى الحبشة رسولين لاسترداد المهاجرين ومما قاله سيدنا جعفر: "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا.. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، "[1].

والشهادة النموذجية في هذا الشأن هي تلك الشهادة التي قدمها أبو سفيان قائد حزب المعارضة المناوئة للإسلام والمسلمين، والذي لم يعتنق الإسلام بَعْدُ، والتي استطاع من خلالها "هرقل" الروم أن يتوصل إلى نتيجة حاسمة وهي أنه "لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ."[2]

وجمهور علماء العقيدة يرون أن من يصطفيهم الله لتبليغ رسالاته لابد أن يكونوا معصومين[3] من اقتراف الكبائر قبل البعثة وبعدها، أما الصغائر فتقع منهم من غير تعمد، بل ذهبت الإمامية أبعد من هذا وقالت: إنَّ جميع الأنبياء والرسل: "معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبا **لا صغيرا ولا كبيرا**،.. واعتقادنا فيهم أنهم موصوفون بالكمال، والتمام والعلم **من أوائل أمورهم إلى**

1- المرجع السابق، ج1، ص 336.

2-هذه الفقرة جزء من نتيجة محاورة وقعت بين أبي سفيان وهرقل الروم بعد ما جاءه كتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام، ينظر: البخاري، في **صحيحه،** بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، (مصدر سابق)، ج1، ص8.

3- العصمة في اللغة: المنع والامساك أما في الاصطلاح: فهي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها. ينظر: الجرجاني، **كتاب التعريفات،** ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1983م، ص150؛ وينظر أيضا: ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة،** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2 بيروت: دار الجيل 1996م، ج7، ص7-11.

أواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل "[1]

وأجاز علماء العقيدة وقوع المعاجز على أيدي الأنبياء حتى قبل مبعثهم، لتكون من قبيل الإرهاصات لرسالتهم، تهيئة للقلوب والنفوس، وتذكر كتب السيرة أن حليمة السعدية مرضعة الرسول ﷺ رأت من بركته ﷺ ما قصت منه العجب[2].

وتحدثنا كتب السيرة أنه لما توفي جد النبي وكان قد عهد ﷺ إلى أبي طالب ابن أخيه محمد وكان أبو طالب رجلا فقيرا وله أولاد كثر ولا يكادون يشبعون جميعا من طعام، فلما كفلوا محمد ﷺ بينهم صارت البركة في بيتهم وفي حياتهم وفي كل شيء حتى الطعام، وأحس أبو طالب ببركة محمد فكان يقول لأبنائه: انتظروا حتى يأتي ولدي، فيأتي النبي فيأكل معهم، فكانوا يفضلون من طعامهم، فيعجب أبو طالب ويقول: إنك لمبارك.[3]

1- ابن بابويه القمي، **اعتقادات الصدوق ضمن عقائد الشيعة**، تح: محمد رضا، ط2. قم: دار التفسير 2016م، ص126.

2-قال ابن إسحاق: كانت حليمة تحدث: " أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه، في نسوة، تلتمس الرضعاء قالت: وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئا، قالت: فخرجت على أتان معنا شارف لنا، والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج.. فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم نام، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا هي حافل، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة! لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فو الله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك! أربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله! إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها شأنا، قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعا لبنا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعا لبنا، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه" ينظر: المباركفوري، **الرحيق المختوم**، (مرجع سابق)، ص46-47.

3- محمد أبو شُهبة، **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**، ط1. دمشق: دار القلم 1427هـ، ج1، ص208.

في حادثة أخرى لما أقحطت مكة سنة من السنين وواجه الناس جفافا شديدا، فأهرع الناس إلى أبي طالب يطلبون منه أن يستسقي لهم، فأمرهم أن يأتوه بابن أخيه محمد، فأتوه به وهو رضيع، فوقف تجاه الكعبة، فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بإصبعه الغلام، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ههنا وههنا، وأغدق واغدودق، وانفجر الوادي وأخضب النادي والبادي[1].

بل إن القرآن الكريم يقرر لنا هاته الحقيقة فيما قصه علينا من خبر عيسى ابن مريم، حين كلم الناس في المهد صبيا حين اُتهمت أمه بأنها أتت شيئا فرِيًّا، قال تعالى: ﴿ **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ** ﴾، (مريم، لآيات:27-34).

وأما حياتهم بعد البعثة فهم يتحلَّون بكل الخلال الرفيعة، والصفات الفاضلة، وحسبهم أنهم اختيروا لتحمل التبعة الثقيلة التي كلفوا بها، وقد أجمع علماء العقيدة على أنهم موصوفون على سبيل الإجمال بكل كمال بشرى، ومنزهون عن كل نقص يوجب الطعن فيهم، أو يقتضي سقوطهم من مخيال الناس وتصوّراتهم، وأما على سبيل التفصيل فيثبتون لهم من الصفات:

4- 1-1-الصدق:وهو قول الحقيقة فيما يبلّغونه عن الله تعالى، وفي جميع أقوالهم العادية؛ ومردّ ذلك إلى أنهم لو كانوا متصفين بالكذب لما صدّقهم الناس؛ فمقصود النبوّة هو الإخبار عن الله، فإن كان المُخبر مطعوناً في صدقه، غير موثوقٍ في كلامه، لصعد الطعن تراتبيّاً إلى ما يخبر به، وإلى الرسالة التي أتى بها، والقيم التي يدعو

1- ينظر: المباركفوري، **الرحيق المختوم**، (مرجع سابق)، ص49.

إليها. فهذا موسى علية السلام يقول كما ذكر لنا القرآن الكريم: ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾، (الأعراف، الآية:105).

4-1-2-الأمانة: وهي العصمة والحفظ، ظاهرا وباطنا بحيث يفعلون كل المأمورات ويتركون كل المنهيات. وهذه المسألة مما وقع فيها النزاع كثيرا بين أئمة هذا الفنّ، لكن القاسم المشترك بين الجميع هو أن الأنبياء معصومون بعد النبوة من الذنوب كلها كبيرها وصغيرها إلا ما كان على سبيل الخطأ والنسيان إذ أن هذا ليس من الذنوب في شيء[1].

لكن ينبغي ألا يغيب البال أن هؤلاء الصفوة الذين اصطفاهم الله لتبليغ رسالاته، يتولاهم الله بنوع خاص من التربية والرعاية منذ حداثتهم، وقد روى ابن الأثير: أن رسول الله ﷺ، قال: "ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته "[2].

4-1-3 - التبليغ: فالأنبياء معصومون من كل خطأ يتعلق بالأداء والتبليغ، فلا يجوز عليهم الكذب ولا التغيير ولا التبديل ولا الكتمان ولا تأخر البيان عن وقت الحاجة، ولا الغلط فيما يؤدونه عن الله تعالى[3]، حتى تقوم الحجة على الناس، ولا تقوم الحجة إلا إذا بُلِّغت الرسالة بطريقة صحيحة، فلا غرو أن يكون التبليغ هو القضية الكبرى التي تشغل الرسل الكرام قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ**

1- البغدادي، **أصول الدين**، ط1. اسطنبول: مطبعة الدولة 1928م، ص 168.

2- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1.بيروت: دار الكتاب العربي 1997م، ج1، ص539.واختلف العلماء في صحة هذا الحديث فصححه الحاكم والذهبي وضعفه ابن كثير في البداية والنهاية، ج2، ص287.

3- ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، (مرجع السابق)، ج7، ص19.

﴿ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾، (المائدة، الآية:67)، والخطاب شامل لكل رسول ونبي، بل يتعدى أمر الوجوب إلى أتباعهم كل بحسبه، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾، (آل عمران، الآية 104)[1].

4-1-4- الفطانة: وهي ذكاء العقل وسرعة الإدراك وقوّة البديهة والحجة، فالرّسل أرسلوا ليحاججوا الناس ولإرشادهم إلى الطريق المستقيم، وذلك لا يقع إلا من خلال حواراتٍ ومناظراتٍ لإبطال الباطل وبيان عواره للناس، وإقامة الحجّة على الكفار. ولعل أظهر الآيات التي بينت فطنة الأنبياء قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾، (الأنعام، الآية:83).

4-2- شاهد محتوى الرسالة التي يدعو إليها: ونعني به النظر في محتوى الرسالة التي يدعو إليها. وما تتضمنه من أوامر ونواهي، وما تدعو إليه من مكارم الأخلاق، فيستنبطون بما فيها من الكمال ما يدل على صدق الداعي إليها، وهذا الدليل يدركه ويقدره العلماء بالقانون والاجتماع الإنساني والعلوم الأخرى.

ومن هذا الباب أسلم بعض العرب لسماعهم بعض آيات القرآن، إذ يذكر أبو نعيم في "معرفة الصحابة": "أن أكثم بن صيفي بلغه مخرج النبي ﷺ، فأراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه، وقالوا: أنت كبيرنا لم تكن لتخف إليه، قال: فليأت من يبلغه عني، ويبلغني عنه، فانتدب رجلان، فأتيا النبي ﷺ، فقالوا: نحن رسل أكثم بن صيفي، وهو يسألك من أنت؟ وما جئت به؟ قال النبي ﷺ: "أما من أنا، فأنا محمد بن عبد الله، وأما من أنا فأنا عبد الله ورسوله، قال: ثم تلا عليهم هذه الآية: ﴿ إِنَّ

1- قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "والمقصود من هذه الآية أن تكون كل فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك **واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه**" ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (مصدر سابق)، ج2، ص78؛ وينظر أيضا: الرازي، التفسير الكبير، (مصدر سابق)، ج8، ص314.

اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل، الآية: 90)، قالوا: اردد علينا هذا القول، فردده عليهم حتى حفظوه، فأتيا أكثم، فقال: أبى أن يرفع نسبه، فسألناه عن نسبه فوجدناه زاكي النسب، واسطا في مضر، وقد رمى إلينا بكلمات قد حفظناهن، فلما سمعهن أكثم قال: أي قوم، أراه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا فيه أذنابا، وكونوا فيه أولا، ولا تكونوا فيه آخرا "[1].

ومن ذلك إسلام عمر بن الخطاب، إذ تذكر كتب السيرة أن عمر قال: "خرجت أتعرض رسول الله ﷺ، قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة "الحاقة"، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت- أي في نفسي- هذا والله شاعر كما قالت قريش، . قال: فقرأ: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ** ﴾، (الحاقة، الآية:40-41)، قال: قلت: كاهن. قال: ﴿ **وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ إلى آخر السورة. قال فوقع الإسلام في قلبي"[2]. قال ابن كثير: وهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب[3].

وهذا الخبر وغيره يدل على ما حواه النظم القرآني من الجزالة في الألفاظ، والعمق في المعاني، والإبداع في التصوير، مما كان سببا في دخول الكثير إلى الإيمان،

1- أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط1. الرياض: دار الوطن للنشر، 1995م، ج1، ص342.

2- ينظر: ابن الجوزي، **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، تح: عامر حسن صبري، ط1. منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مملكة البحرين، 2013م، ص170؛ وينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (مصدر سابق)، ج8، ص233؛ وينظر أيضا: المباركفوري، **الرحيق المختوم**، (مرجع سابق)، ص90، وأخرجه أحمد في **المسند**، مسند الخلفاء الراشدين مسند عمر بن الخطاب، (مصدر سابق)، ج1، ص 262. وإسناده ضعيف. لكن القصة وردت في مصادر متعددة في كتب السنن مما يشعر بأن لها أصلا.

3-ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (مصدر سابق)، ج8، ص233.

إذ أن أصحاب العقول الثاقبة والنفوس المهيأة، لا تحتاج أكثر من ذلك لكي تعتنق دعوة جديدة، وقد يقنع آخرون الدليل العقلي الذي يفحم بالحجة، كما وقع لجبير بن مطعم حين استمع إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ** ﴾، (الطور، الآيتان:35-36)، كاد قلبه أن يطير[1]، وكيف لا يطير قلبه والآية تدلل على أكبر القضايا الكونية ؟! وهي قضية وجود الله، وتذكرنا باستحالة خروج أي مخلوق من العدم من غير أي قوة خالقة، وباستحالة أن يخلق ذاته، أو أن يخلق أي شيء على الإطلاق في السماوات أو الأرض، وإذا ثبت بطلان هاته الأمور الثلاثة، فلم يبق إلا الإذعان لقانون السببية، والذي مفاده أن لكل مخلوق خالق. ولذا جاءت الأدلة الشرعية العقلية، تعلمنا الجدل والمحاجة، لدحض الشبهات، وإقامة الدلائل.

أما إذا كانت العقول يعتورها الشك، والقلوب مشربة بحظوظ الدنيا من منصب ومال وحظوة، كما وقع للوليد بن المغيرة، الذي حكى القرآن لنا خبره في قوله تعالى: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ** ﴾، (المدثر، الآيات:24)، فإن أمثال هؤلاء يكونون في أمس الحاجة إلى ما يزيل أسباب التردد في الإيمان، ولن يكون ذلك إلا بالآية أو المعجزة، حتى لا تبقى لهم حجة بعد ذلك، وقد أجرى الله سنته بأن يظهر على يد مدعي الرسالة أمرا خارقا للعادة يأتي تصديقا لدعواه، يكون – غالبا – من جنس ما نبغ فيه القوم إمعانا في التحدي.

4-3-شاهد الآيات والمعجزات التي يظهرها الله على يديه مقرونة بدعوى الرسالة:

1- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (مصدر سابق)، ج7، ص406، وقال ابن كثير، وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طُرُقٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ.

ما من رسول أرسله الله، إلا وأيده الله بما يدل على صدقه ونبوته، وقد ورد في الحديث الصحيح: "مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ"[1].

والملاحظ يجد أن هذه المعجزات ليست من صنيع الأنبياء – صلوات ربي وسلامه عليهم – بل هي من قبل الله، أظهرها الله على أيديهم تأييدا لهم ، ومن ثم نرى أن الكفار حين طلبوا من الرسل، أن يأتوا بأشياء ليست في مقدور البشر، كانت إجابة الرسل بأنهم بشر كغيرهم من سائر الناس، ولا يتميزون عنهم إلا بالنبوة والرسالة التي يمنُّ الله بها على من يشاء من عباده قال تعالى: ﴿ **قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾، (إبراهيم، الآية:11).

وحينما قال الكافرون لمحمد ﷺ، ﴿ **لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ** ﴾، (الإسراء، الآيات:90-93). أمر الله سبحانه أن يردَّ عليهم بقوله: ﴿ **قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا** ﴾، (الإسراء، الآيات: 93).

ولقد تنوعت المعجزات بحسب المناسبات بالنسبة للرسل جميعا وبالنسبة للرسول الواحد، كما تنوعت في طبيعتها، فلقد كانت لكل نبي معجزة تتناسب وعصره الذي عاش فيه، فموسى بعث في قوم فشا فيهم السحر، فكانت معجزته أن انقلبت عصاه حيّة تسعى ﴿ **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا** ﴾، (طه، الآية:69)، عندئذ أدرك السحرة الفرق بين ما صنعوا وما صنع، وتيقنوا أنهم لو اجتمعوا جميعا

1-رواه البخاري في **صحيحه،** كتاب فضائل القرآن باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ج6، ص182.

لعجزوا عن الإتيان بمثل ما تحداهم به، قال تعالى: ﴿ ف-**أُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ** ﴾، (طه، الآية:70).

وأرسل عيسى –عليه السلام– إلى قوم برعوا في الطب وعرفوا به، فكانت معجزته شيئا يعلو على ما نبغوا فيه، قال تعالى: ﴿ **وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾، (آل عمران، الآية: 49).

وإذا استعرضنا المعجزات التي أنعم الله بها على النبيين قبل نبينا محمد ﷺ وجدنا أن هذه المعجزات كانت أشياء مادية تختلف عن صميم الرسالة التي كُلِّف بها الرسل الكرام، فمعجزة موسى عليه السلام كانت العصا ورسالته التوراة، وعيسى عليه السلام معجزته إبراء الأكمه والأبرص ورسالته الإنجيل، وهذا يعني أن المقصود من هذه المعجزات تثبيت قلوب من شاهدها، وبالتالي فهي منتهية بانتهاء ذلك الجيل، وكذلك الحال في معجزات الرسول ﷺ التي من هذا القبيل. لكن أعظم معجزاته ﷺ كانت رسالته ذاتها التي هي القرآن الكريم، وهو لا يزال قائما بين أيدينا يتحدى أمم العالم بأن يأتوا بمثله، وفي هذا المعنى يقول ابن رشد الحفيد: "إن دلالة القرآن الكريم على نبوة محمد ﷺ ليست كدلالة انقلاب العصا حية، ولا كدلالة إحياء الموتى وإبراء المرضى، فإن تلك وإن كانت أفعالا لا تظهر إلا على أيدي الأنبياء، وهي مقنعة عند الجمهور، فليست تدل دلالة وضعية إذا انفردت، إذ كانت ليست فعلا من أفعال الصفة التي سمي بها النبي نبيا. أما القرآن فدلالته على هذه الصفة، مثل دلالة الإبراء على الطب، ومثال ذلك لو أن شخصين ادعيا الطب، فقال أحدهما: الدليل على أني طبيب أني أسير على الماء، وقال الآخر: الدليل على أني طبيب أني أبريء الأمراض، لكان تصديقنا بوجود الطب عند من

أبرأ المرضى ببرهان، وتصديقنا بوجود الطب للذي مشى على الماء مقنعا"[1].

ولا نريد أن نكرر بيان أوجه الإعجاز في القرآن الكريم في هذا الموضع، إذ كفانا ذلك ما سبق، ولكن حسبنا أن نقرر أن تحدي القرآن للمعارضين سيظل قائما وموجها إلى كل مرتاب في نبوة محمد ﷺ وفي نسبة القرآن إلى الله تعالى، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بخاصة إذا أدركنا أن التحدي هو إثارة حماس قوى المعارضة لتفعل، ويأتوا بمثل هذه المعجزة، ويحشدوا لها من استطاعوا من مختلف الخصوم والمعاندين والكفار، ولكن بالرغم من ذلك كله لم يجرؤوا على إجابة تحديه وكسره، إذا أدركنا هذه الحقيقة أدركنا لا محالة عظمة هذا الدليل – دليل إعجاز القرآن – على صدق نبوة محمد ﷺ وصدق رسالته.

وبناء على ما سبق، فإذا ثبت بدليل الإعجاز أن القرآن من عند الله وأن محمدا ﷺ رسول الله، فإن هذا يتضمن في التصور الإسلامي، الإيمان بجميع الأنبياء السابقين الذين ذكروا في القرآن الكريم، دون توقف ولا تردد لأن القرآن شهد لهم بذلك، دون تفريق بينهم، لأن التفريق بينهم يخرج صاحبه من الإيمان إلى الكفر يقول ابن كثير: "إن من كفر بنبي من الأنبياء، فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية"[2]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ وَلَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴾، (النساء، الآيتان: 150-151). ولذلك مدح الله المؤمنين الذين لا يفرقون بينهم من حيث

1-ابن رشد، **الكشف عن مناهج الأدلة**، (مرجع سابق)، ص 221.

2-ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (مصدر سابق)، ج2، ص394.

الإيمان بهم كما في قوله تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ** ﴾، (البقرة، الآية 285).

لكن عدم التفريق بينهم لا يمنع من تفاضلهم، فإن قمة الكمال الإنساني مرتبة ذات درجات بعضها فوق بعض قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** ﴾، (البقرة، الآية:253)، ومن الأنبياء الذين فضلهم الله على غيرهم أولوا العزم من الرسل قال تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾، (الأحقاف، الآية:35). وهم الخمسة المذكورين في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾، (الأحزاب، الآية:7).

والواقع أن الإيمان بالأنبياء والرسل ليس مقصورا على هؤلاء المذكورين في القرآن فحسب، بل إنه بمقتضى التصور الإسلامي يجب الإيمان بالنبوة عموما، وبخاصة أنه قد جاء في القرآن الكريم ما يفيد أن هناك أنبياء غيرهم لم يسمّهم، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** ﴾، (غافر، الآية:78) وإنما قص الله تعالى بعضا منهم فقط. وقد سمَّى الله تعالى مِن أولئك الرسل مَن سمَّى، وأخبر بقصص بعضهم، دون الكثير منهم، قال ابن كثير: "و الأنبياء الذين نُصَّ على أسمائهم في القرآن، هم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس، والْيَسَع، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد ﷺ وقوله: ﴿ **وَرُسُلا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** ﴾؛ أي: خلقاً آخرين لم يذكروا في القرآن "[1].

1- إسماعيل بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (مصدر سابق)، ج2، ص 417.

5- مقتضى الإيمان بنبوة محمد ﷺ ولوازمه:

ومن مقتضيات الإيمان بنبوته ﷺ، التسليم التام له، وتصديقه فيما أخبر عنه، وطاعته فيما أمر به، دون تحرج أو تبرّم قال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾، (النساء، الآية:65). فلقد أقسم الله بذاته العلية أنَّ كل من يدعى الإيمان لا يكون إيمانه صادقا إلا إذا تقبل حكم رسول الله ﷺ، عن إذعان واقتناع، ولهذا وردت نصوص كثيرة تبين أن المخالفة لأمر رسول الله وعصيانه سبب لعذاب الله ومقته، وأن على المخالفين أن يحذروا الفتنة والعذاب الأليم، كما في قوله: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾، (النور، الآية:63)، كما وردت آيات أخرى تأمر بطاعته، وأن طاعته إنما هي طاعة الله ذاتها قال تعالى: ﴿ **مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾، (النساء، الآية:80).

والحقيقة أن ما تذكره هذه النصوص هو من مقتضيات الإيمان بنبوة سيدنا ﷺ، إذ من غير المقبول من الناحية المنطقية، أن يؤمن الإنسان به، ثم ينازعه في حكمه، أو يتمرد عليه إلى غير ذلك مما لا يتفق أبدا مع لوازم الإيمان ومقتضياته، ولذا كان واجباتنا تجاهه ﷺ، أمور هي:

أولا-محبته أكثر من النفس، بل لا يُعتدُّ بإيمان المرء إلا إذا أحب رسول الله ﷺ، أكثر من المال والأهل، والولد والناس أجمعين؛ وفي هذا يقول النبي ﷺ، "فَوَ الذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ"[1]، ومما يدل على ذلك أيضًا ما رواه عبدالله بن هشام؛ حيث قال: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ،

1-رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، (مرجع سابق)، ج1، ص12.

ﷺ، الآنَ يَا عُمَرُ "[1].

ثانيا -توقيره وتبجيله سواء في حياته أو بعد مماته ﷺ، قال تعالى: ﴿ **لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ** ﴾، (الفتح، الآية:08)، أي: "تعظموه وتجلّوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنَّة العظيمة برقابكم "[2]، فليس الرسول كواحد من الناس، بل ينبغي احترامه واجلاله حتى في ندائنا له، قال تعالى: ﴿ **لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾، (النور، الآية:63)، وأكَّد ذلك في سورة الحجرات في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾، (الحجرات، الآيات:1-3).

ثالثا- الابتعاد الكامل عن إيذائه ﷺ، بأي شكل أو لون، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا** ﴾، (الأحزاب، الآية:53)، وقال جلَّ ذكره: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾، (التوبة، الآية:61)، ويندرج تحت هذا الحكم إيذاؤه ﷺ، بسبِّ ذريته أو عدواتهم، وبخاصة أنه أوصى ﷺ، بذلك، كما جاء في الحديث الصحيح: "أنا تاركٌ فِيكم ثَقلينِ: أوَّلهما: كتابُ الله، فيه الهُدى والنُور؛ فخُذوا بكتابِ اللهِ، واستمسِكُوا بهِ، فحثَّ عَلَى كِتابِ اللهِ ورغَّبَ فيهِ، ثمَّ قَالَ: وأهلُ بَيْتي، أُذكِّركم اللهَ في أهلِ بيتي، أُذكِّركم اللهَ فِي أهلِ بيتِي، أُذكِّركُم اللهَ فِي أهلِ بَيتِي "[3]. وفي معنى هذا

1-رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب الأيمان والنذور، باب: باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، ج8، ص129.

2-عبد الرحمن السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، تح: عبد الرحمن اللويحق، (مصدر سابق)، ص792.

3-: أخرجه مسلم في **صحيحه**، 33-كتاب النبوات، 42- باب فضائل أهل البيت، رقم الحديث (2408)، ط2.الرياض: دار السلام 2000م، ص1061.من حديث زيد بن أَرقمَ رضي الله عنه.

الحديث يقول أبو العبَّاس القرطبيُّ: وقوله: "وأهلُ بيتي، أُذكِّركم الله في أهل بيتي ثلاثًا"؛ هذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يَقتضي: وجوبَ احترام آل النبيِّ ﷺ، وأهل بيته، وإبرارَهم، وتوقيرهم، ومحبَّتهم وجوبَ الفروض المؤكَّدة، التي لا عُذرَ لأحد في التخلُّف عنها. هذا مع ما عُلِم من خصوصيتهم بالنبيِّ ﷺ، وبأنهم جزءٌ منه؛ فإنَّهم أصولُه التي نشأ منها، وفروعُه التي تنشأ عنه"[1]. ويدخل في آل بيته زوجاته الكريمات، فهن أمهاتنا بنص القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾، (الأحزاب، الآية: 6).

رابعا-الصلاة عليه ﷺ، فكلما سمعتَ اسمه صلِّ عليه، بل أَكْثِر من الصلاة عليه في كل وقت وحين؛ وقد أمرنا الله عز وجل بذلك فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾، (الأحزاب، الآية: 56).

ومع علو مقامه الشريف ﷺ هذا، فإنه كان حريصا على إظهار عبوديته لربه، حماية لجناب التوحيد من أن يلامسه أي نوع من أنواع الشرك، وكان يقول محذرا أمته من أن يقعوا فيما وقع فيه النصارى: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُهُ وَرَسُولُ"[2]. وتروي كتب الحديث أن رجلا قال للرسول ﷺ: "مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: "جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا، مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ"[3]. ولتحقيق هذه المعاني العالية في نفوس المؤمنين، بيَّن القرآن الكريم أن محمدا ﷺ، بشر قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾، (الكهف، الآية:110).

1-ينظر: أبو العبَّاس القرطبيُّ، **المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، تحقيق: محي الدين ديب مستو، وآخرون، ط1.دمشق: دار ابن كثير 1996م، ج6، ص 304.

2-أحمد بن حنبل، **المسند**، مسند الخلفاء الراشدين مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (مصدر سابق)، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين.ج1، ص302.

3- أحمد بن حنبل، **المسند**، من مسند بني هاشم مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ، (مصدر سابق)، قال المحقق: صحيح لغيره، ورجاله رجال الشيخين غير يزيد بن الأصم، فمن رجال مسلم. ج5، ص197.

وهذا كله لمنع الناس من الغلو فيه، سدّا لباب التحريف، وإذا كان هو يقول عن نفسه، كما أمره بذلك القرآن: ﴿ **قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾، (الأعراف، الآية188)، وقوله: ﴿ **قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ** ﴾، (الأنعام، الآية:50)، فغيره ممن يتبعونه من أهل الولاية والفضل والصلاح لا يملكون ذلك من باب أولى.

فالرسول ﷺ جاء بالدين الخالص، ومن حرصه على تكميل الإنسانية، كان يبين لهم التوحيد، كما يوضح لهم الشرك حتى لا يقعوا فيه، وهذا من كمال نصحه ورحمته ﷺ، فجزاء الله عن أمته خيرا قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾، (التوبة، الآية:128).

6- أثر الإيمان بالرسل عل الفرد والمجتمع:

لبعثة الرسل فوائد لا تحصى، وهو ما بينه الإمام البيضاوي بقوله أن النبي هو من: "يقرر الحجة ويميط الشبهة، ويرشد إلى ما توقف العقل فيه، كبعث الأموات، وأحوال الجنة والنار، ومنها أن يبين حسن ما توقف العقل فيه، ويفصل ما حسنه إجمالا، ومنها أن يعيِّن وظائف الطاعات والعبادات المذكِّرة للمعبود المكررة لاستحفاظ التذكر، وغيرها، ومنها أن يشرع قواعد العدل المقيم لحياة النوع، ويعلم الصناعات الضرورية النافعة المكملة لأمر المعاش، ومنها أن يعلم منافع الأدوية ومضارها، وخصائص الكواكب وأحوالها التي لا يحصل العلم بها إلا بتجربة متطاولة لا تفي بها الأعمار، وأيضا فالعقول متفاوتة والكامل نادر، فلا بد من معلم يعلمهم ويرشدهم على وجه يناسب عقولهم "[1].

1-ناصر الين البيضاوي، **طوالع الأنوار من مطالع الأنظار**، (مرجع سابق)، ج1، ص129.

الفصل الخامس
الإيمان باليوم الآخر

تمهيد:

الإيمان باليوم بالآخر هو الركن الخامس من أركان العقيدة الإسلامية، كما جاء في حديث جبريل المتقدم، بل هو العنصر الهام الذي يلي الإيمان بالله مباشرة قال تعالى: ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾، (البقرة، الآية:177).

والإيمان باليوم الآخر هو الذي يكيّف نشاط الإنسان في شتى مناشط الحياة الفردية منها والاجتماعية، وهو الذي يجعل لحياتنا غاية ومعنى، وهذه الغاية هي العبودية لله، وفعل الخيرات، وترك المنكرات، وتحقيق الخلافة على الأرض.

ومتى فقد الإنسان عقيدة الإيمان باليوم الآخر، فقد سموه الروحي وفضائله العليا، وانحط إلى الدرك الهابط، وانغمس في المستنقع الآسن، وعمي عن الهدف الأعلى من خلق هذا الكون الرحب، قال تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** ﴾، (المؤمنون، الآية:115).

والحياة بالنسبة للمسلم لا تنتهي بالموت، بل الموت في التصور الإسلامي معانقة للخلود، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾، (ق، الآية:22)، والخلود في العقيدة الإسلامية يبدأ بنفخة الملك الأولى ويستمر إلى ما بعد الموت في جنة أبدا أو نار أبدا. بخلاف التصورات الفلسفية وبخاصة الوجودية منها التي تعتبر الموت نهاية الرحلة، حيث يشكل الموت

عندهم، قبل أي شيء آخر حدا نهائيا، ولقد أدت سيطرة الموت على تفكير بعض فلاسفتهم إلى نغمة كئيبة في فلسفاتهم[1]، بخاصة عندما يحسون بأن الموت يتخطف كل حي، عندها يصرخ الإنسان (الوجودي) بأعلى صوته: "الكون جائر"[2]. وهنا يأتي القرآن الكريم ليبشر الإنسان بحياة أخرى، ويؤكد أن كل إنسان سينال جزاء يتناسب تناسبا حقيقيا مع ما قدمه من عمل: ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ؟ مَا لَكُمْ ؟ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟** ﴾، (القلم، الآيتان:35-36)؛ ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ؟** ﴾، (ص، الآيتان:28-27). فلذلك كان العقل يتطلع إلى عالم آخر، يتحقق فيه هذا العدل الكامل فلا غرو إذن أن يكون الركن الخامس من أركان الإيمان محققا لهذا التطلع الفطري، والظمأ الأنطولوجي.

1- دليل وجوب الإيمان باليوم الآخر:

والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وقد تضافرت الآيات القرآنية على التأكيد على هذا الركن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾، (البقرة، الآيات:1-4)، وقد ورد في القرآن الكريم بأسماء عدة منها: يوم القيامة، اليوم الآخر وأحيانا يسميه بالآخرة أو الدار الآخرة، الساعة، القارعة، يوم التغابن، يوم الخروج، يوم الحساب، يوم الدين، يوم البعث، يوم الجمع، يوم الحسرة، يوم التناد، يوم الفصل، يوم الوعيد، ويوم الخلود، وغيرها من الأسماء.

ومنكر هذا اليوم كافر، لأنه منكر لما علم من الدين بالضرورة. وهو فوق ذلك

1-جون ماكوري، **الوجودية**، (مرجع سابق)، ص 274-275.

-2المرجع نفسه، ص276.

ظالم لنفسه أيضاً، إذ أن ترتب الجزاء على التكليف مما تفرضه بداهات العقول.

2- مراحل اليوم الآخر:

يبدأ اليوم الآخر بالموت الذي هو مفارقة الروح للبدن، إذ أن كل من مات فقد قامت قيامته، وحان حينه، ففي صحيح البخاري عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسألونه عن الساعة، فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: "إِنْ يَعِشْ هَذَا لَا يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ"[1]، قال هشام يعني: موتهم. وينتهي بدخول الجنة أو نار جهنَّم.

وهناك محطات أخرى بعد الموت تتمثل في:

2- 1- عذاب القبر وسؤال الملكين: وهو مرحلة تلي الموت مباشرة، يقول شارح الطحاوية: "وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول"[2].

وعذاب القبر يكون لكل من مات وهو مستحق للعذاب، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع، أو احترق حتى صار رمادا ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر.

ومن الإشارات القرآنية الواضحة الدالة على فتنة القبر وعذابه قوله تبارك وتعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ** ﴾، (إبراهيم، الآية:27)، ففي الحديث الذي يرويه البراء بن عازب – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: "إذا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ

1- رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب الرقاق باب سكرات الموت، (مصدر سابق)، ج8، ص107.

2-ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط10. بيروت: مؤسسة الرسالة 1997م، ج2، ص577.

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ** ﴾، وفي رواية أخرى: عن شعبة وزاد ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾، نزلت في عذاب القبر "[1].

وقد روت السيدة عائشة – رضي الله عنها –: " أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ، قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر "[2].

ولعظم هذا الأمر وخطورته كان الرسول ﷺ يعلمه لأصحابه، بل خطب فيهم مرة به، ففي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنها –: قالت: "قام رسول الله ﷺ خطيبا، فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك، ضج المسلمون ضجة "[3].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: "إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثم أخذ جريدة رطبة، فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة. قالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عنْهما ما لَمْ تَيْبَسَا أَوْ: إلى أَنْ يَيْبَسَا. "[4].

وقد كان الرسول كثير التعوذ منه، ومن دعائه ﷺ "اللّهم إني أعوذ بك من **عذاب القبر**، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال "[5].

ولقد أنكر عذاب القبر بعض المتكايسين واحتجوا لذلك بأنهم يفتحون القبور

1–رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر، (مصدر سابق)، ج2، ص98.

2– المصدر نفسه والصفحة.

3–المصدر نفسه والصفحة.

4–رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب الوضوء باب حدثنا محمد بن المثنى، (مصدر سابق)، ج1، ص53.

5–رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب الجنائز باب التعوذ من عذاب القبر، (مرجع سابق)، ج2، ص 99.

فلا يرون شيئا مما ذكرته النصوص، وهذا خطأ محض، لأن الأمور السمعية ينبغي أن يكون المعول عليه فيها هو النص الصحيح، بخاصة إذا كان كل أمر منها ممكنا في ذاته، أي ليس بمستحيل وهذا هو المنهج الأسلم.

والحق الذي ينبغي أن يدين به المسلم، أن كل ما جاء به النص الصحيح، يجب أن يؤخذ على ظاهره، ما لم يترتب على الأخذ بذلك الظاهر محال عقلي واضح، وقد رأينا في تراثنا كثيرا من هذه المواقف - للأسف- التي حملت أصحابها على تفسيرات لظواهر النصوص الصريحة، فكان ذلك مسخا لها لا تفسيراً، وحسبنا هذا القدر من بيان حقائق عذاب القبر.

2-2- البرزخ: الحياة البرزخية مرحلة وسطى بين الموت وبين البعث، وتكون بعد أن يعذب من يعذب في القبر وينجو من العذاب من ينجو من المؤمنين. وقد وردت إشارات قرآنية دالة على وجوده منها قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾، (غافر، الآيتان:45-46). فعرض هؤلاء العصاة على النار غدوا وعشيا، إنما يراد به عرضهم في الحياة البرزخية، بدليل ما عقب به بعد ذلك من أنهم بعد قيام الساعة سينالون أشد العذاب وأنكى العقاب، يقول القرطبي: "والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ"[1]. ويؤيده فيما ذهب إليه العلامة ابن كثير حيث يقول: "إن الآية دلت على عرض الأرواح إلى النار غدوا وعشيا في البرزخ، وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصا بالروح"[2].

2-3- النفخ في الصور: النفخ في الصور كما ورد في القرآن الكريم مرتان، فالمرة الأولى هي نفخة الإماتة العامة، وأما الثانية فهي نفخة الإعادة. قال الله تعالى: ﴿

1-القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (مصدر سابق)، ج15، ص318.

2- وفيه تفصيل ماتع. ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (مصدر سابق)، ج7، ص133.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾، (الزمر، الآية:68).

وقد سمى القرآن النفخة الأولى بالراجفة، و سماها في موضع آخر بالصيحة، أما النفخة الثانية فسماها الرادفة، وسماها أيضا بالنفخ في الصور وهذا يفهم من قوله تعالى: ﴿ **يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة** ﴾، (النازعات، الآيتان:6-7)؛ وقوله تبارك وتعالى: ﴿ **مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ** ﴾، (يس، الآيات: 49-51).

وقد جاءت الأحاديث النبوية دالة على هاتين النفختين: نفخة الصعق ونفخة البعث فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ " قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال: أَبَيْتُ[1]. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أَبَيْتُ. قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أَبَيْتُ. "ويَبْلَى كل شيء من الإنسان إلا عَجْبُ الذَّنَب، فيه يُرَكَّبُ الخلق، ثم يُنْزِلُ الله من السماء ماء فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ الْبَقْلُ "[2]

2-4- البعث: وأصل البعث في اللغة: إثارة الشيء من محله، وتحريكه بعد سكون ومنه: بعث فلان الناقة: إذا أثارها من مبركها للسير، ويستعمل بمعنى الإيقاظ، كما ورد في قصة أهل الكهف ﴿ **فَضَرَبْنَا على آذَانِهِمْ فِي الكهف سِنِينَ عَدَدا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ...** ﴾، أي: أيقظناهم. ويستعمل - أيضاً - بمعنى الإحياء[3]وهو المراد هنا، ويعني إعادة الروح إلى الجسد، وإخراجهما معا لمحاسبتهم وجزائهم، وذلك بعد النفخة الثانية، وقد دلت النصوص الصحيحة على البعث، ويقصد بالبعث: التئام ذرات الجسم واجتماعَها، بعد أن تفرقَّت، واختلطت بالتراب، ثم رجوع الروح إلى الجسم

1-إشارة منه إلى أنه لم يسمع شيئا في ذلك من الرسول ﷺ، ولذلك امتنع عن الإجابة.

2-رواه البخاري في **صحيحه**، سورة الزمر باب قوله ونفخ في الصور، (مصدر سابق)، ج6، ص126.

3- محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، (مصدر سابق)، ج1، ص134.

مرة ثانية، وهو عبارة عن مجموع أمرين:

الأمر الأول: عودة الأجسام إلى ما كانت عليه قبل الموت.

والأمر الثاني: دخول الأرواح في الأجسام مثلما كان عليه الأمر في الحياة الدنيا.

ومجموع هذين الأمرين هو المراد بالبعث الذي هو إحياء الموتى في قبورهم[1]. قال الله تعالى: ﴿ **وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ** ﴾. (يس، الآيات:48-53)، هذا هو البعث ويسمى أيضا بالنشور ويسمى بالمعاد.

2-4-1- مُنكرو البعث: أنكر البعثَ طائفة من الدهريين والماديين قديما وحديثا، واستبعدوا حصوله – على اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم – وهذا ما بينه المولى في قوله تعالى: ﴿ **بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ** ﴾، (المومنون، الآيات:81-83)، وقد صنف أبو حامد الغزالي المنكرين إلى أصناف ثلاثة:

– **الدهريون:** وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا: أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه، وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أبدا وهؤلاء هم الزنادقة.

– **الطبيعيون:** هم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات. فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى، وبدائع حكمته، مما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم، مطلع

1- أحمد الطيب، **مقومات الإسلام**، ط1. القاهرة: مكتبة إحياء التراث الإسلامي 2019م، ص150.

على غايات الأمور ومقاصدها، ولا يطالع التشريح، وعجائب منافع الأعضاء مطالع إلا ويحصل له هذا العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان، لا سيما بنية الإنسان..! إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة.. ظنوا أن القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضا، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم، ثم إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم، كما زعموا، فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة، وأنكروا الجنة والنار، والحشر والنشر، والقيامة، والحساب، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب، ولا للمعصية عقاب، فانحل عنهم اللجام، وانهمكوا انهماك الأنعام. وهؤلاء أيضا زنادقة، لأن أصل الإيمان هو: الإيمان بالله واليوم الآخر، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر، وإن آمنوا بالله وصفاته.

-**الإلهيون:** وهم المتأخرون منهم مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو[1].

أما الطبيعيون العرب، فلم يكن لديهم أي دليل يطرحونه بين يَدَي إنكارهم هذا، إلا مجرد استبعاد أن تكون هناك **قدرة** شاملة تستطيع إعادة الحياة إلى أجساد نخرها البلى، وتحللت في التراب. وهو ما عبر عنه قائلهم:

حياة ثم موت ثم نشر ... حديث خرافة يا أم عمرو.

وتتلخص شبه منكري البعث فيما يلي:

أ-استبعاد أن تتحول ذرات الجسد- بعد تفتت العظام وتحلل الجسد إلى ذرات ترابية -إلى إنسان حي عاقل مدرك، كما كان سابقا في الحياة الدنيا، فهذه العقول المرتابة لم تستطع بسهولة أن تقتنع بأن الجسم الذي تحلل في التراب يمكن أن يستعيد هيئته الأولى، ويحيا من جديد، ولقد حكى القرآن الكريم دعواهم هذه فقال: ﴿ **وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** ﴾، (الإسراء، الآية:49)،

1-أبو حامد الغزالي، **المنقذ من الضلال**، تح: عبد الحليم محمود، ط1.القاهرة: دار الكتب الحديثة، (د، ت)، ص 128وما بعده.

وقال في آية أخرى: ﴿ **وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ** ﴾، (السجدة، الآية: 10)، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾ (سبأ، الآية:7). وجواب هاته الشبهة أن قدرة الله شاملة التي لايندُّ عنها شيء، ولا يعجزها شيء.

ب-إن هذه الحياة باقية مستمرة، وأن هذا النظام المشاهد في العالم من تعاقب الليل والنهار، وتولد الإنسان والحيوان والنبات من عمليات التزاوج، لا يتغير، ولا يتبدل، ولا ينخرم أبد الدهر. وقد جاءت ردود القرآن مؤكدة نهاية العالم وفنائه، كما في قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾، (الرحمن، الآيتان: 26-27)، وقوله في آية أخرى: ﴿ **وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾، (القصص، الآية:88)، ومدللة على إمكانية البعث، والحياة الآخرة من ناحية أخرى، كما تؤكد ذلك الحقائق العلمية المعاصرة.

ج-استبعاد إيجاد الشيء بعد عدمه، فالشيء بعد العدم لم يبق شيئا، فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود[1]، وإن شئت قلت: إن الشيء إذا عدمت ذاته وفنيت، فمن المستحيل أن يوجد مرة ثانية. والجواب على هذه الشبهة هو قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾، (يس، الآية: 79)، وفي معنى الآية يقول الرازي: "عني كما خلق الإنسان ولم يكن شيئا مذكورا، كذلك يعيده، وإن لم يبق شيئا مذكورا وأن من تفرقت أجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضه في أبدان السباع وبعضه في جدران الرباع كيف يجمع؟ وأبعد من هذا هو أن إنسانا إذا أكل إنسانا وصار أجزاء المأكول في أجزاء الآكل فإن أعيد فأجزاء المأكول، إما أن

1-فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير**، (مصدر سابق)، ج26، ص 308.

تعاد إلى بدن الآكل فلا يبقى للمأكول أجزاء تخلق منها أعضاؤه، وإما أن تعاد إلى بدن المأكول منه فلا يبقى للآكل أجزاء. فقال تعالى في إبطال هذه الشبهة: ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾ ووجهه هو أن في الآكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية، وفي المأكول هي ما كان له قبل الأكل. ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾ يعلم الأصلي من الفضلي فيجمع الأجزاء الأصلية للآكل وينفخ فيها روحه ويجمع الأجزاء الأصلية للمأكول وينفخ فيها روحه، وكذلك يجمع الأجزاء المتفرقة في البقاع، المبددة في الأصقاع بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة"[1].

2-4-2- أدلة القرآن الكريم على البعث: أمام هذه الشبهات الفاسدة، والدعاوي العريضة التي تعلل بها الكفار لإنكار البعث، عرض القرآن الكريم حججه الفاصلة على إمكانية البعث، محفزا العقل على التفكر في كتاب الطبيعة المفتوح، مبرزا أمام الأنظار آلاف المشاهد التي تظهر منها بوضوح مظاهر قدرة الله الخارقة، ليصل من خلالها للتدليل أن البعث أمر ممكن في حد ذاته، وقد سلك القرآن الكريم مسالك عدة في إثبات البعث، ما بين ما فطرت عليه النفوس من التصديق بما يقع منها تحت الاختبار والتجربة، وبين ما تصل إليه العقول السليمة عن طريق الأقيسة الصحيحة، والحديث عن البعث في القرآن تضمن شقين:

أ- إمكانه.

ب- ووقوعه.

والإمكان استدل عليه القرآن بالعقل، أما الوقوع فاكتفى فيه القرآن بالنقل وحده، وقد اهتم القرآن الكريم ببيان الإمكان والوقوع كليهما، واستدل عليهما ولفت الأنظار إليهما، ويمكن تناولهما في التالي:

أولا-الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم: أخبر القرآن الكريم عن

1- المصدر السابق، ج26، ص309

أقوام وأشخاص أماتهم الله ثم أحياهم، ليدلل بالتجربة الواقعية على إمكانية البعث. ومن هذه الوقائع ما يلي:

1- ما وقع لقوم موسى. قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾، (البقرة، الآيتان 55-56). وذكر البغوي أن موسى عليه السلام " لم يزل يناشد ربَّه حتى أحياهم الله تعالى رجلاً بعد رجل بعدما ماتوا يوماً وليلة، ينظر بعضهم إلى بعض، كيف يحيون "[1].

2- الشخص الذي ورد في قصة بني إسرائيل. يقول تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾. (البقرة، الآيتان 72-73)، يقول الطبري: احتج الله على المشركين المكذبين للبعث، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا. فقال لهم تعالى ذكره: أيها المكذبون بالبعث بعد الممات، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته، فإني كما أحييته في الدنيا، فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم، فأبعثهم يوم البعث[2].

3- القرية التي نزل بها الطاعون، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ** ﴾، (البقرة، الآية:243)، وقد أورد حسنين محمد مخلوف في معنى الآية: إن المشركين كانوا يستفتون اليهود في كثير من الأمور وكانت هذه القصة معلومة لليهود في أسفارهم وتواريخهم، فنزل القرآن بالإشارة إليها ليرتدع المشركون عما هم فيه من الضلال وإنكار البعث، ويعلموا أن دلائل القدرة على البعث مشهورة، وأن عند اليهود منها ما لو رجعوا إليهم فيه لعلموا أنه حق لا

1-البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، (مصدر سابق)، ج1، ص119.

2- محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (مرجع سابق)، ج2، ص232.

ريب فيه. وفي ذكر هذه القصة مع ذلك تشجيع للمؤمنين على الجهاد والتعرض للشهادة"[1].

بالإضافة إلى هذه القصص هناك قصص أخرى أخبر عنها القرآن الحكيم، كإخباره عن الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وإخباره عن إبراهيم حينما سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، وإخباره عن المسيح – عليه السلام – أنه كان يحيي الموتى بإذن الله تعالى، وإخباره أيضا عن أصحاب الكهف أنهم لبثوا نياما في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا [2]، وقال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ** ﴾، (الكهف، الآية:21)، وقد ذكر غير واحد من العلماء أن الناس كانوا قد تنازعوا في زمانهم هل يبعث الله الأرواح فقط أو يبعث الأرواح والأجساد فأعثر الله هؤلاء على أهل الكهف وعلموا أنهم بقوا نياما لا يأكلون ولا يشربون ثلاثمائة سنة شمسية وهي ثلاثمائة وتسع هلالية فأعلمهم الله بذلك إمكان إعادة الأبدان فهذه إحدى الطرق التي يبين الله بها إمكان المعاد[3]. وهذه ولا شك نماذج عمليّة، قدمتها القدرة الإلهية، في دنيا الناس من إحياء الله الموتى.

ثانيا – الاستدلال على البعث ببدء الخلق: أي قياس الإعادة على البدء، ويسميه ابن تيمية قياس الأولى، ذلك لأن العقول المستقيمة تقضي بأن الإعادة أهون من الابتداء، كما في قوله: ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾، (يس، الآيتان:78-79). وتذكر كتب التفسير أن جاء أبي بن خلف إلى الرسول ﷺ بعظم رميم وهو يفته ويذروه

1- حسنين محمد مخلوف، **صفوة البيان لمعاني القرآن**، ط1. القاهرة: الشروق بالاشتراك مع لجنة الاحتفالات بمقدم القرن الخامس عشر الهجري، دولة الإمارات 1982م، ص59.

2- الكهف، الآية:81.

3- ابن تيمية، **كتاب الرد على المنطقيين**، ط1. بيروت: دار المعرفة، (د، ت)، ص319-320.

في الهواء وهو يقول: يا محمد: أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال رسول الله ﷺ: نعم يميتك الله ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار. وكما في قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾، (العنكبوت، الآيتان:19-20).

ويذكر الكندي أن بدء الخلق في **القياس البشري** أصعب من إعادته، لأن جمع المتفرق أسهل من الإيجاد من عدم أما عند الباري فلا يوجد أشد وأضعف[1].

والحقيقة التي لا مراء فيها أن الإيمان بالبعث أقرب إلى التصديق عند أصحاب العقول السويّة من الخلق من عدم، ولكن العادة هي التي تحجب الناس عن هذه الحقيقة الساطعة، وإلى هذا الحقيقة أشار الفيلسوف بليز باسكال فقال: "**الملحدون**. ما حجتهم على استحالة البعث؟ أيهما أصعب الولادة أم البعث؟ أكينونةُ مالم يكن قط، أم استمرارُ كينونةِ ما قد كان؟ هل مجيء الكائن أصعب من عودته كائنا؟ العادة تجعل أحدهما سهلا، وعدمها يجعل الآخر مستحيلا: إنه لحكم العادة ؟!"[2]. ولا أدري هل أطلع الرجل على القرآن وتأثر به؟! أم توارد معاني فحسب !؟.

ثالثا- الاستدلال على البعث بخلق السماوات والأرض: والاستدلال في هذه الآيات أن الذي قدر على خلق السماوات والأرض وهيأ عظم من خلق الإنسان، قادر على إعادة الأموات، لأن الذي خلق الأصعب بدليل المشاهدة في خلق السماوات والأرض، سيقدر لامحالة على خلق الأسهل وهو إحياء الأموات. قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا** ﴾، (الإسراء، الآيات:98-100).

1- أبو يعقوب يوسف الكندي، **رسائل الكندي الفلسفية**، تح: محمد عبدا لهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي 1950م، ج1، ص374.

2- بليز باسكال، **الخواطر**، (مرجع سابق)، ص 79.

رابعا: الاستدلال على البعث بخلق النبات: لأن هناك شبه بين البعث وبين إحياء الأرض بخروج النبات منها وإنزال الماء من السماء عليها، وهذا كثير في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿ **ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ** ﴾، (ق، الآيات: 1-11).

خامسا: الاستدلال باليقظة بعد المنام: ولعل بعض الشاكين يقول: إذا سلمنا بحياة نباتية، كيف تعود الحياة الإنسانية بعد انقطاع الحواس وانفصال الشعور من الجسد؟ والقرآن الكريم في رده الشبهة يلفت أنظارنا إلى ظاهرة يتكرر حدوثها كل يوم: وهي توالي النوم بعد اليقظة، لكي يروا نوعا من حدوث الحياة بعد الموت[1]، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾، (الزمر، الآية:42).

سادسا: الاستدلال على البعث بأن الحكمة و العدل الإلهي يقتضيانه: حيث بيّن الحق حكمة البعث وضرورة وقوعه تحقيقا للعدل الإلهي قال تعالى: ﴿ **أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** ﴾، (القيامة، الآية 36)، وقوله تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** ﴾، (المؤمنون، الآية:115)، وفي سورة يونس قوله: ﴿ **إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

1- محمد عبدا لله دراز، **المدخل إلى القرآن الكريم**، تر: محمد عبد العظيم علي، ط1. الكويت: دار القلم 1984م، ص85.

الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾، (يونس، الآية: 4).

هذه بعض الطرق القرآنية التي سلكها القرآن الكريم في التدليل على إمكانية البعث، وهناك طرق أخرى لم نرد التطرق إليها خشية الإطالة مثل إخراج النار من الشجر الأخضر[1]، والاستدلال بالأطوار التي يمر بها الإنسان في دورة الحياة منذ أن كان علقة إلى أن صار خلقا جديدا في أكمل صورة عند ميلاده[2].

أما الوقوع فهو يحتاج إلى صحة الرواية فحسب، ومن هنا جاءت الآيات القرآنية، تؤكد صحة وقوعه من غير استدلال عليه، لكون الوقوع لا يحتاج إلا لمجرد الإخبار من الله تعالى به، كما جاء في قوله: **﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾**، (التغابن، الآية:7)، وقوله في سورة الزلزلة: **﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾**، (الزلزلة، الآيات: 6-8). فاكتفى القرآن الكريم في هذه الآيات بتأكيد الوقوع بناء على جواز الإمكان.

2-5- الحشر: وهو جمع الناس وسوقهم للحساب، فوق الأرض المبدَّلة ، قال تعالى: **﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾**، (إبراهيم، الآية: 48)، ووصفها لنا الرسول في قوله ﷺ: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ"[3].

1- **﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾**، (يس، الآية:80).

2- **﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾**، (المؤمنون: الآيات 12-16).

3- مسلم **في صحيحه**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور، وصفة الأرض يوم القيامة، (مصدر سابق)، ج4، ص150. (والعفراء) بيضاء إلى حمرة. (النقي) هو الدقيق الحواري، (ليس فيها علم لأحد) أي ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر

والآيات القرآنية التي تتحدث عن الحشر كثيرة، نذكر منها قوله تعالى: ﴿ **وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا** ﴾، (الكهف، الآية:48)، وقوله في سورة الملك: ﴿ **قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾، (الملك، الآية:24)، وقوله: ﴿ **يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ** ﴾، (ق، الآية:44).

ويحشر كل من يحتاجون إلى الفصل بينهم من أنس، وجن، ووحوش، وغير ذلك. قال تعالى: ﴿ **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ** ﴾، (الصافات، الآية: 22-24). وقوله ﷺ: "لتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إلى أهْلِها يَومَ القِيامَةِ، حتَّى يُقادَ لِلشَّاةِ الجَلْحاءِ، مِنَ الشَّاةِ القَرْناءِ "[1]. وهذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين. وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة الإسلام.

ومن صور الحشر يوم القيامة أن يحشر الناس حفاة عراة كما قال رسول الله ﷺ: "تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ"[2].

والحشر وهو ما يسمى بالموقف العظيم الذي تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، فيه تقف الخلائق بين يدي ربِّ العالمين، ويصيبهم الكرب الشديد، حيث تدنو الشمس من رؤوسهم، فيشعرون بالحر الشديد، كما ورد في الحديث عن المقداد بن الأسود، قال سمعت رسول الله ﷺ، يقول: "تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

1- مسلم **في صحيحه**، كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم، (مصدر سابق)، ج4، ص997.أما القصاص من القرناء والجلحاء فليس هو من قصاص التكليف: إذ لا تكليف عليها. بل هو قصاص مقابلة. والجلحاء هي الجماء التي لا قرن لها.

2- البخاري، في **صحيحه**، كتاب الرقاق باب كيف الحشر، (مصدر سابق)، ج8، ص109.

مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فيكونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إِلْجَامًا"[1].

وفي المقابل هناك أقوام لا يشعرون بهول هذا اليوم، ولا ما فيه من كرب، لأن الله يظلَّهم يوم القيامة كما جاء عن النبي ﷺ: "سبَعَةٌ يَظِلَّهُم اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ العَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ. وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ. وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ. وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ"[2].

2-6- الحوض: والخلائق على حالهم في المحشر، من الضيق، والحر، والعطش الشديد يرون حياض الأنبياء – عليهم السلام- ولكنهم لا يمكنهم الوصول إليها، ومن أعظم هذه الأحواض حوض نبينا محمد ﷺ، وقد ورد عنه ﷺ: " إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً "[3].

والحوض، كما قال القرطبي في "تذكرته"، يكون قبل الصراط وقبل الميزان وفي هذا المعنى يقول:" واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر، فقيل: الميزان قبل، وقيل: الحوض قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل. قلت: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم كما تقدم، فيقدم قبل الصراط والميزان.

1-مسلم في **صحيحه،** كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة، (مصدر سابق)، ج 4، ص196.

2-مسلم في **صحيحه،** كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، (مصدر سابق)، ج2، ص715.

3- الترمذي، **كتاب السنن،** أبواب صفة القيامة والرقائق والورع باب ما جاء في صفة الحوض، (مصدر سابق)، ج1، ص528.

2-7- **الشفاعة:** وهي هنا التوسط من وجيه أو من له وجاهه للغير؛ لجلب منفعة أو دفع مضرة، وقد تنسب إلى الله تعالى كما في قوله: ﴿ **قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾، (الزمر، الآية: 44)، والله سبحانه هو مالك الشفاعة كلها، وأنه لن يستطيع أحد أن يشفع إلا بإذنه فلا شافع إلا من شفاعته.

وقد ثبتت الشفاعة بالقرآن، والسنة الصحيحة، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** ﴾، (الأنبياء، الآية 28)، أما من السنّة فمنها قوله ﷺ: "شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي "[1].

2-7-1- **أقسام الشفاعة:** والشفاعة نوعان: شفاعة سيدنا محمد ﷺ، وشفاعة غيره.

أولا –أما شفاعته ﷺ، فهي عامة وخاصة.

1–**الشفاعة العامة:** وهي الشفاعة العظمى التي اختص بها سيدنا محمد ﷺ، وتكون **حين** يشتد الكرب يوم القيامة**،** بحيث يتمني الخلق أن ينصرفوا من الموقف ولو إلى النار، وهي المذكورة في الحديث الصحيح: "أُعْطِيتُ خمسا، لم يُعْطَهُنَّ أحد من الأنبياء قبلي: نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلَت لي الأرض مسجدا وطَهُورا، فأَيَّمَا رجل من أمتي أدركته الصلاة فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّت لي المغانم، ولم تحلَّ لأحد قبلي، **وأُعْطِيتُ الشفاعة،** وكان النبي يُبْعَثُ إلى قومه خاصة، وبُعِثتُ إلى الناس عامَة"[2]. وعن أنَسِ بنِ مَالِكٍ، قال: "إذَا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ في بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فيَقولونَ: اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بإبْرَاهِيمَ فإنَّه خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إبْرَاهِيمَ، فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم

1– الترمذي، **كتاب السنن،** أبواب صفة القيامة والرقائق والورع باب منه، وقال أبو عيسى الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وحكم الألباني بأنه حديث صحيح، (مصدر سابق)، ج 4، ص525.

2– البخاري في **صحيحه،** كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، (مصدر سابق)، ج1، ص95.

بمُوسَى فإنَّه كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بعِيسَى فإنَّه رُوحُ اللَّهِ، وكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَيَأْتُونِي، فأقُولُ: أنَا لَهَا، فأسْتَأْذِنُ علَى رَبِّي، فيُؤْذَنُ لِي، ويُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أحْمَدُهُ بهَا لا تَحْضُرُنِي الآنَ، فأحْمَدُهُ بتِلْكَ المَحَامِدِ، وأَخِرُّ له سَاجِدًا، فيَقولُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأقُولُ: يا رَبِّ، أُمَّتي أُمَّتِي، فيَقولُ: انْطَلِقْ فأخْرِجْ منها مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِن إيمَانٍ..." [1]. وهذا هو الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الَّذِي وَعَدَهُ اللهُ إِيَّاهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا** ﴾، (الإسراء، الآية: 79).

2- الشفاعة الخاصة: فتكون بإدخال قوم الجنّة بغير حساب، ولرفع آخرين في درجات الجنة، كما تكون لأهل الكبائر كما جاء في الحديث السابق "شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي"[2]، أو لتخفيف العذاب عمن يستحق.والشفاعة لها موانع حددتها الشريعة، كالتلبس بالشرك، لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾، (النساء، الآية: 48). والشرك محبطٌ للعمل مبطلٌ له، فمهما عمل صاحبه من أعمال فلن تُقبل منه، وستكون هباءً منثوراً، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾، (الزمر، الآية: 65)، ومن موانعها الكفر بالله وجحوده، وكذلك ظلم الإمام للعباد، والغلو في الدين: ويدلّ على هاتين المسألتين حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَا تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي: إِمَامٌ ظَلُومٌ، وَكُلُّ غَالٍ مَارِقٍ "[3]. ويمنع من الشفاعة كل من كذّب

1-البخاري **في صحيحه،** كتاب التوحيد باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، (مصدر سابق)، ج9، ص146.

2- سبق تخريج الحديث.

3- الطبراني، **المعجم الكبير**، المحقق: حمدي السلفي، باب الصاد أبو غالب صاحب المحجن، واسمه حزور، ط2. القاهرة: مكتبة ابن تيمية 1415هـ، ج8، ص 281.وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

بها جزاء وفاقا فقد ورد في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "مَنْ كَذَّبَ بِالشَّفَاعَةِ فَلَا نَصِيبَ لَهُ فِيهَا "[1].

ثانيا- شفاعة غير النبي ﷺ: وقد ورد التصريح بها في أحاديث كثيرة نذكر منها: " فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ"[2].وفي رواية ابن ماجة يشفع الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء بهذا الترتيب قال ﷺ:" يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ "[3]. ويؤيد هذا الحديث ما رواه الترمذي: " إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنَ النَّاسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعَصَبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الجَنَّةَ"[4].

وقد يشكل على البعض فهم قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾، (البقرة، الآية:48). حيث لا تنفع نفس ولو كانت من الأنفس الكريمة كالأنبياء والصالحين عن نفس، ﴿ **وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا** ﴾ شفاعة لأحد، مع قوله: ﴿ **وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ** ﴾، (سبأ، الآية:23). والحقيقة أن لا تعارض بين الآيتين الكريمتين، وإنما هو من قبيل تخصيص العام، فالشفاعة، لا تكون بدون إذن الله ورضاه عن المشفوع له.

1- ابن حجر، **فتح الباري،** (مرجع سابق)، ج11، ص426. قال ابن حجر أخرج الحديث سعيد بن منصور بسند صحيح عن أنس.

2- البخاري **في صحيحه،** كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة، (مصدر سابق)، ج9، ص129.

3- ابن ماجة، **في السنن،** تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، (مصدر سابق)، ج2، ص443. قال المحقق

الحديث ضعيف. ففي الزوائد في إسناده علاق بن أبي مسلم.

4-- الترمذي، **كتاب السنن،** أبواب صفة القيامة والرقائق والورع باب منه، تح: أحمد محمد شاكر، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، (مصدر سابق)، ج4، ص527. و(الفئام) الجماعة الكثيرة.

وأما قوله تعالى: ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾، (المدثر، الآية 48)، فالمقصود بهم الكفار كما يظهر من الآيات التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ** ﴾، (المدثر، الآيات:42- 46)، وفي هذا المعنى يقول ابن كثير: "أي من كان متصفا بمثل هذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلا فأما من وافى الله كافرا يوم القيامة فإنه له النار لا محالة خالدا فيها"[1].

2-8- الحساب و الجزاء أو (الجنة والنار): وهو إطلاع الله الخلق على أعمالهم التي اجترحوها في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾، (الزلزلة، الآيتان:7-8)، وقوله أيضا: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾، (الأنبياء، الآية: 47). وقد ورد عن النبي ﷺ: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَّعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ"[2].

والحساب منه اليسير والعسير، ومنه ما بين ذلك، بل قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: " يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ."[3]

ولا يعني هذا الحديث أيضا أن بقية المؤمنين يدخلون النار لأن مِنْ الْمُكَلَّفِينَ مَنْ لَا يُحَاسَبُ أَصْلًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا فتعرض عليه ذنوبه فيقال له: عملت كذا وكذا ثم يغفر له، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ فيقال له: لم عملت كذا،

1-ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (مصدر سابق)، ج8، ص282.

2-الترمذي، **كتاب السنن**، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، (مصدر سابق)، ج4، ص512.

3-- البخاري **في صحيحه**، كتاب الرقاق باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه، (مصدر سابق)، ج8، ص100.

ومن نوقش[1] الحساب عذب[2]؛ كما قال النبي ﷺ، بل ورد في السنة ما يدل على أن ممن يحاسب قبل دخول الجنة من هو أفضل من هؤلاء السبعين ألفا.

فقد قال الحافظ في الفتح: "عن رفاعة الجهني قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ فذكر حديثا وفيه: وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوؤا أنتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة... فهذا يدل على أن مزية السبعين بالدخول بغير حساب لا يستلزم أنهم أفضل من غيرهم؛ بل فيمن يحاسب في الجملة من يكون أفضل منهم"[3].

ويشهد على الناس يوم الحساب: ألسنتهم، وأيديهم، وأرجلهم، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾، (النور، الآية:24). كما يشهد عليهم سمعهم، وأبصارهم وجلودهم، قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾، (فصلت، الآيتان: 19-20).

وبعد أن يطلع كل إنسان على ما قدَّم، ليكون الجزاء بحسبها، تساق كل طائفة إما إلى جنّة، أو إلى نار، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ** ﴾

1- نوقش من النقش الذي هو استخراج الشوكة، والمراد من المناقشة هو الاستقصاء في المحاسبة، والمطالبة بالجليل والحقير، من غير مسامحة. يقال انتقشت منه حقي: أي استقصيته.

2-عن عائشة أن رسول الله ﷺقال: " لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾ فقال رسول الله ﷺ: إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ". ينظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الرقاق باب من نوقش الحساب عذب، (مصدر سابق)، ج8، ص112.

3- ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (مرجع سابق)، ج11، ص 409.

ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثْنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾، (الزمر، الآيات: 69-73).

والجنة والنار هما المنزل الأخير من منازل اليوم الآخر، وهما دار القرار، يستقر في أحدهما المتقون، وفي الأخرى الكافرون والمنافقون. وقد ورد عن الصادق المصدوق ﷺ أنه: "يُؤْتَى بالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أمْلَحَ، فيُنادِي مُنادٍ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ ويَنْظُرُونَ، فيَقولُ: هلْ تَعْرِفُونَ هذا؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، هذا المَوْتُ، وكُلُّهُمْ قدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنادِي: يا أهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ ويَنْظُرُونَ، فيَقولُ: هلْ تَعْرِفُونَ هذا؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، هذا المَوْتُ، وكُلُّهُمْ قدْ رَآهُ، فيُذْبَحُ، ثُمَّ يقولُ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ فلا مَوْتَ، ويا أهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فلا مَوْتَ"[1].

-والجنَّة سبع درجات بعضها فوق بعض، كلها متصلة بالوسيلة والدرجة الرفيعة التي لسيدنا محمد ﷺ الذي هو أول من يدخل الجنّة، كما ورد في الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ"[2]، وهي ثمانية أبواب، كما جاء في الحديث الصحيح: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ (أَوْ فَيُسْبِغُ) الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْلَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ"[3].

وقد استفاضت النصوص في وصف نعيم الجنة ولذاتها، ففيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ:"قال الله تعالى: "أَعْدَدْتُ

1-البخاري **في صحيحه**، عن أبي سعيد الخدري، سورة كهيعص، باب قوله وأنذرهم يوم الحسرة، (مصدر سابق)، ج6، ص93.

2- مسلم، **في صحيحه** عن أنس بن مالك كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ "أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعا"، (مصدر سابق)، ج1، ص188.

3-مسلم، **في صحيحه**، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، (مصدر سابق)، ج1، ص209.

لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ[1]، مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾، (السجدة، الآية:17).

ولباس أهل الجنّة الحرير، والسندس، والإستبرق، ويحلَّون الذهب والفضة، واللؤلؤ وهاته الحلي لا تبلى ولا تفنى، ففي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: "مَن يُدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ"[2].

وأفضل ما يعطاه أهل الجنَّة رضوان الله والنظر إلى وجهه الكريم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ اللهَ تبارَك وتعالى يقولُ: يا أهلَ الجنَّةِ فيقولونَ: لبَّيْكَ ربَّنا وسعدَيْكَ والخيرُ في يدَيْكَ فيقولُ: هل رضِيتُم؟ فيقولونَ: ما لنا لا نرضى وقد أعطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحدًا مِن خَلْقِكَ فيقولُ: ألا أُعطيكم أفضَلَ مِن ذلكَ فيقولونَ: يا ربِّ وأيُّ شيءٍ أفضَلُ مِن ذلكَ؟ فيقولُ: أُحِلُّ عليكم رِضواني فلا أسخَطُ بعدَه أبدًا"[3].

وقد صرَّح القرآن الكريم، وكذلك السنة المطهرة، برؤية العباد لربهم في جنَّات النعيم قال تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾، (القيامة، الآية:23). والكفار والمنافقون يحرمون من هذا النعيم، كما في قوله تعالى: ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾، (المطففين، الآية:15). وقد روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ. قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ. فَمَا

1-مسلم، **في صحيحه،** كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، (مصدر سابق)، ج4، ص174.

2- مسلم، **في صحيحه،** كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها باب في دوام نعيم أهل الجنة، وقوله تعالى: ﴿ **وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾، (مصدر سابق)، ج4، ص181.

3- ابن حبان، **المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها،** تح: محمد علي سونمز، خالص آي دمير النوع الثامن والسبعون ذكر الإخبار عن وصف رضا الله جل وعلا الذي يتفضل به على أهل الجنة، (مصدر سابق)، ج6، ص 267. وهو صحيح. كما رواه البخاري في صحيحه.

أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ "[1].

-أما النار فهي سبع دركات بعضها فوق بعض، أعلاها جهنَّم لعصاة المؤمنين، وأسفلها النار التي أعدها الله للمنافقين قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴾، (النساء، الآية:145)، ولجهنم سبعة أبواب كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ** ﴾، (الحجر، الآيتان:43-44)، وقوله أيضا: ﴿ **ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾، (الزمر، الآية:71)، وهذه الأبواب تغلق، ولا تفتح أبدا.

وقد استفاض القرآن الكريم في الحديث عن شدة حر النار وعذابها قال تعالى: ﴿ **وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ** ﴾، (الواقعة، الآيات: 41-44). وهذه النار لا تخبو مع تطاول الزمن قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا** ﴾، (الإسراء، الآية:97)، ولذلك لا يجد الكفار، والمنافقون الراحة مهما طال بهم العذاب، ﴿ **فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾، (البقرة، الآية 86).

أما السنة الشريفة فأكتفي بذكر حديث واحد: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال أنَّ: "نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا"[2]. وبين الحساب والجزاء، أي دخول الجنة والنار هناك الميزان والصراط.

2-8-1- الميزان: بعد أن يطلع كل إنسان على صحائف أعماله بما فيها من خير أو شر، ينصب الميزان لوزن أعمال العباد، وفي هذا المعنى يقول القرطبي: "إذا انقضى الحساب كان بعد وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة

1-مسلم، **في صحيحه،** كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، ج1، ص163.
2- البخاري **في صحيحه،** كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ج4، ص121.

فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها "[1].

وهو ميزان دقيق أدق من ميزان الذهب قال تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾، (الأنبياء، الآية:47)، وقال: ﴿ **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ** ﴾، (القارعة:الآيات:6-9).

وأما كيفية الوزن للأعمال وهي أعراض، فنفوض علمها إلى الله سبحانه، بخاصة إذا لم يكن هناك محال عقلي يمنع من وقوعها على الظاهر، وقد مرَّ بنا سابقا الحديث أنه يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فيذبح، والموت عرض، وهذا يدل أن هاته الأعراض، يظهرها الله في صورة قابلة للوزن أو الموت، والنصوص في هذا الأمر متظاهرة، فهو على كل شيء قدير.

وقد ردَّ القرطبي على بعض المتكايسين الذين حاولوا تأويل هذا النصوص وحملها على غير ظاهرها فقال: "قال علماؤنا: ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، وهذا كله فاسد لأنه رد لما جاء به الصادق وفي الصحيحين: فيعطي صحيفة حسناته.فيخرج له بطاقة وذلك يدل على الميزان الحقيقي وأن الموزون صحف الأعمال كما بينا"[2].

2-8-2- الصراط: بعدما ينتهي وزن الأعمال والحساب، ويعرف كل واحد نتيجة عمله، يُساق الخلق إما إلى جنَّة، أو نار، فيمرون على الصِّراط الذي يوصلهم إلى نهايتهم.

1- القرطبي، **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، تح: الصادق بن إبراهيم، ط1. الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، 1425هـ، ص715.

2- المرجع السابق، ص 724.

والصراط جسر مضروب فوق جهنم أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ[1]، ترد جميع الخلائق عليه، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، لا يتخلف عنه أحد، وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا** ﴾، (مريم، الآيتان:71-72). إذ ذكر بعض المفسرين: "في قوله: ﴿ **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا** ﴾ قال: الصراط على جهنم مثل حدّ السيف، فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرّون والملائكة يقولون: اللّهمّ سلم سلم "[2].

وأول من يجوز على الصراط هو نبينا محمد ﷺ ولا يجوزه منفردا، بل مع أمته وهذا من الفضل العظيم لهذه الأمّة المسلمة. فعن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا:" يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: "هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟" قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: "فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟" قَالُوا: لَا. قَالَ: "فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ، فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، **فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنْ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ**، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.."[3].

3 -أثر الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر يبعث في النفس حب العمل، واتخاذ الأسباب، والبعد عن

1-مسلم، **في صحيحه،** كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (مصدر سابق)، ج1نص167.

2- الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** تح: محمود محمد شاكر، (مصدر سابق)، ج18، ص232.

3-البخاري: **الجامع الصحيح،** كتاب الآذان، باب فضل السجود، (مصدر سابق)، ج1، ص160.واللفظ له؛ ومسلم في **صحيحه،** كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (مصدر سابق)، ج1، ص167.

الكسل والتواكل قال تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ** ﴾، (آل عمران، الآية:195).

الإيمان باليوم الآخر يجلب للمرء سعادة الدنيا والآخرة، فهو في الدنيا يخفف وقع الإحساس بالمصائب والمكاره على نفس المؤمن، قال رسولنا الكريم ﷺ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا "[1]. فهذا الصبر وهذا الشكر لا يمكن أن يستقيما إلا بالإيمان باليوم الآخر الذي سيجد فيه المؤمن نتيجة صبره وشكره[2].

والإيمان باليوم الآخر يساوي تماما الإيمان بعدل الله تعالى المطلق في الجزاء، وبأن الكون وما به من مخلوقات لا تترك هملا، تملأ حياتها الفوضى والظلم والفساد، بل لابد من أن يواجه الخير بالخير ويواجه الشر بشر الجزاء. ومن هنا فهذا الركن من الإيمان له أثر بالغ في التزام الإنسان بحدود الخير والنظام والصلاح والاستقامة وعمارة الحياة على الأرض الذي لا يتحقق بصورته المطلوبة من الإيمان بحياة أخرى[3].

ويرتبط الإيمان باليوم الآخر بمسؤولية التكليف الذي اختص الإنسان بها دون غيره من الكائنات إلا الجن وقد خلق الله تعالى فيه القدرة على الفعل وركب فيه العقل وأعطاه حرية الإرادة، ثم كلفه وجعله مسؤولا بذلك التكليف. وهذه المسائلة تقتضي أن تكون بعد انتهاء العمل بانتهاء الحياة، أي أن تكون يوم آخر وقد أخبر الله تعالى عن ذلك اليوم ورسم معالمه لكي يستبين المرء عمله وما يترتب عليه[4].

1- مسلم، **في صحيحه،** كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، (مصدر سابق)، ج4نص295.

2- عائشة المناعي: **أصول العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة**، ط1. القاهرة:(د، ت)، 2000م، ص 359.

3- المرجع السابق، ص358.

4-المرجع نفسه، ص358.

الفصل السادس
الإيمان بالقضاء والقدر

تمهيد:

الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان العقيدة المذكورة في الحديث الشريف: "أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ "[1]، ولا يتم إيمان أحد إلا به، كما دلّ على ذلك كتاب الله وسنة رسولهﷺ وذلك لأنه داخل في الإيمان بالله عز وجل وبربوبيته وأسمائه وصفاته، ومن اعتقده على وجهه الصحيح يصير طامح البصر إلى ما عند الله، يرى الدنيا وما فيها كالظل له، وإذا ما تم لصاحبه ذلك أورثه إيجابية تامة في السلوك والعمل.

1- مفهوم القضاء والقدر :

1-1- القدر لغة: هو الإحاطة بمقدار الشيء. تقول: قدرت الشيء أقدره قدرا إذا أحطت بمقداره. ووضعت الحدود التي ينتهي إليها الشيء، يقول الراغب الأصفهاني: فالقدر هنا من التقدير، ثم يذكر قول بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعَدّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل[2].

أما القدر في اصطلاح الشرع: فهو الإيمان بتقدم علم الله سبحانه بما يكون من

1-رواه البخاري في **صحيحه،** سورة لقمان، باب قوله إن الله عنده علم الساعة، (مصدر سابق)، ج6، ص 115؛ ورواه مسلم، في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (مصدر سابق)، ج1، ص36.

2-الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، ط1. دمشق: دار القلم 1412هـ، ص675-676.

أكساب الخلق، وغيرها من المخلوقات، وصدور جميعها عن تقدير منه، وخلق لها من خيرها وشرّها[1]. لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾، (القمر، الآية: 49). فلا حادث إلا وقد قدره الله تعالى، أي سبق به علمه وتقدمت به إرادته، فكل حادث فهو على وفق ما سبق به علم الله ومضت به إرادته.

2-2- **القضاء في اللغة:** فهو الحكم. والفصل في الأمر والقطع. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا** ﴾، (مريم، الآية:21)، وقوله: ﴿ **كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا** ﴾، (مريم، الآية:21)، وقوله: ﴿ **وَقُضِيَ الأَمْرُ** ﴾. (البقرة، الآية:210)؛ أي: فصل، والقضاء من الله تعالى أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقدير، تنبيهًا أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه[2].

وربما اتضح لنا الفرق بين القدر والقضاء، بمثال "ولله المثل الأعلى": العمارات التي تقام تعلق عليها لوحة فيها: "إن التصميم للمهندس الفلاني، والتنفيذ للمقاول الفلاني"، فالمهندس يرسم الخريطة ويعين علو البناء وسمك الجدران، وما يوضع فيها من الحديد و(الاسمنت) والحجر، ونسبة كل منها، وما يكون فيها من أبواب ونوافذ، يقدر ذلك ويحدده، هذا مثال القدر. والمقاول ينفذ ما قدره المهندس، وهذا مثال القضاء، وكلاهما لله وحده: وكما يمكن للمهندس أن يبدل (إذا أراد) في بعض تفصيلات التصميم، فالله من رحمته جعل الدعاء والصدقة سببا في رفع بعض ما كان مقدرا. قدرها وحده، ورفعها بالدعاء وحده[3]

ورأى فريق آخر من العلماء عكس القول الأول، فجعلوا القضاء هو ما علمه الله وحكم به في الأزل، والقدر هو وجود المخلوقات موافقة لهذا العلم والحكم.

1-أبو بكر البيهقي، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، تح: أحمد عصام الكاتب، ط1. بيروت: دار الآفاق الجديدة 1401هـ، ص132.

2-الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (مرجع سابق)، ص 675-676.

3- علي الطنطاوي، **تعريف عام بدين الإسلام**، (مرجع سابق)، ص152.

وهو ما مال إليه ابن حجر العسقلاني حيث قال: "القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل"[1]

وذهب آخرون من العلماء إلى أن القضاء والقدر بمعنى واحد، ومن ذلك سيد سابق حيث عرفهما تعريفا واحدا بقوله: "وهما: النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة، والسنن التي ربط بها الأسباب بمسبباتها"[2].

2-دليل وجوب الإيمان بالقضاء والقدر:

لم يرد في القرآن التنصيص على وجوب الإيمان بالقدر، وإنما وردت أدلة مجملة تدل على تقدير الله للأشياء، كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾، (القمر، الآية: 49)، وقوله تعالى: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾، (الفرقان، الآيتان: 1-2)، وقوله تعالى: ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا** ﴾، (الأحزاب، الآية: 38).

وإنما ورد التنصيص على الإيمان بالقدر في السنة، في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل عليه السلام الرسول ﷺ عن الإيمان قال: "أَنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ قَالَ: -يَعْنِي جِبْرِيلْ- صَدَقْتَ"[3]. وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه بلغه أن بعض الناس ينكر القدر فقال: "فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي. وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ! لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ

1-أحمد بن حجر العسقلاني، **فتح الباري** تخريج محمد فؤاد عبد الباقي، ط1.بيروت: دار المعرفة 1379هـ، ج11، ص149.

2- سيد سابق، **العقائد الإسلامية**، ط1. بيروت: دار الكتاب العربي 1420هـ، ص95؛ وذهب أبو بكر الجزائري إلى هذا الرأي أيضا: ينظر: **عقيدة المؤمن**، (مرجع سابق)، 432-433.

3- سبق تخريج الحديث فيما تقدَّم.

ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ"[1].

3- مراتب الإيمان بالقدر: القدر الذي دلت عليه الأحاديث المستفيضة، ومضى عليه السلف الصالح، هو القدر الذي يوجد الحوادث على وفق مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته دون خلقه[2]، لا يدفعه هرب، ولا تنفع منه حيلة، وقد وقع ذلك في أربع مراتب وهي:

3-1- مرتبة العلم والإرادة: وهي الإيمان بعلم الله المحيط، وأن الله" قد أجمع في الأزل أن يوجد العالم على أحسن وجه ممكن مراعيا للمصالح، مؤثرا لما هو الخير النسبي حين وجوده، وكان علم الله ينتهي إلى تعيين صورة واحدة من الصور لا يشاركها غيرها، فكانت إرادة إيجاد العالم ممن لا تخفى عليه خافية هو بعينه تخصيص صورة وجوده"[3]، وهو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾، (النحل، الآية: 40).

3-2- مرتبة الكتابة: وهي الإيمان بأن الله قدر مقادير جميع الخلائق في اللوح المحفوظ. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾، (الحج، الآية: 70)، ويُرْوىَ أَنَّه كُتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ - والمعنى واحد- قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ،[4]

1-أخرجه مسلم، **في صحيحه،** كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (مصدر سابق)، ج1، ص36.

2-القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (مصدر سابق)، ج17، ص148، وينظر أيضا: ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، (مرجع سابق)، ج1، ص31.

3-الشاه ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، المحقق: السيد سابق، ط1. بيروت: دار الجيل 2005م، ج1، ص127.

4-أخرجه مسلم، **في صحيحه،** كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ج4، ص1044.

وذلك أنه خلق الخلائق حسب العناية الأزلية، وصوَّر العالم من عرشه إلى فرشه، ومن سمائه إلى أرضه، وهذا معلوم من الدين، ولا شك فيه، وإن كنا لا نعلم كيفية الكتابة، وماهية الكتاب، وكل الذي نعلمه أن الله تعالى قد أبدع هذا العالم على وفق تقدير أزلي عنده، وأنه أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، وأن كل ما يقع في العالم صغيرا أو كبيرا، لابد أن يكون معلوما لله تعالى قبل وقوعه، وموافقا لإرادته، لا فرق في ذلك بين أعمال الإنسان الاضطرارية أو الاختيارية، وبين الأعمال الكونية من حركات الأفلاك، ونزول الأمطار، وإثمار الزروع، وإنبات النبات وغير ذلك، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾، (النمل، الآيتان:74-75)، ﴿ **وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾، (الأنعام، الآية:59).

(أ) هذا العلم المستوعب، والإحصاء الدقيق، الذي تستوي في ذلك أخطر الأشياء وأكبرها، وأقلها وأصغرها لا ينافي الاجتهاد في العمل واتخاذ الأسباب، ومن ثم فالقضاء والقدر لا يتنافى مع العمل، ويدل على ذلك ما روي من أن النبي ﷺ قال: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا؟ قَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ** ﴾، (الليل، الآيات: 5-10)[1].

ومعنى ذلك "أن من قدرت له السعادة قدرت بسبب، فيتيسر له أسبابها وهو

1-رواه البخاري في **صحيحه،** سورة والليل إذا يغشى، باب قوله: وكذب بالحسنى، (مصدر سابق)، ج6، ص171.

الطاعة، ومن قدرت له الشقاوة والعياذ بالله قدرت بسبب، وهو بطالته عن مباشرة أسبابها، وقد يكون سبب بطالته أن يستقر في خاطره إني إن كنت سعيدا فلا أحتاج إلى العمل، وإن كنت شقيا فلا ينفعني العمل، وهذا جهل فإنه لا يدري أنه إن كان سعيدا، فإنما يكون سعيدا لأنه يجري عليه أسباب السعادة من العلم والعمل، وإن لم يتيسر له ذلك ولم يجر عليه فهو أمارة شقاوته"[1].

وعلى أي حال فإن العمل لا يتعارض مع القضاء والقدر، لأن العمل سبب من الأسباب التي تؤدي إلى تحقق المقدور، والله كما كتب المسببات كتب الأسباب، وكما قدر النتائج، قدر المقدمات فهو لا يكتب للطالب النجاح فحسب بحيث يصل إلى هذه النتيجة بأي وسيلة، ولكن يكتب له النجاح بوسائله من جد واجتهاد، وصبر، ومكابدة، ومعاناة إلى آخر هذه الأسباب. فهذا مقدر مكتوب، وهذا مقدر مكتوب وينطبق هذا القانون على الأمم والشعوب، فإذا قدَّر الله هلاك أمة من الأمم فإنه قضى بالأسباب التي تؤدي إلى انهيارها وزوالها، وإذا قضى بازدهار أمة ما قضى في نفس الوقت بعوامل نجاحها وانتصارها سنة ماضية في خلقه ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾، (الرعد، الآية:11)، هكذا جرت سنة الله ولن تجد لسنة تبديلا، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرف هؤلاء البشر؛ وأن تنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم. ليظل الإنسان واعيا لقيمة وجوده، ومكانته الحقيقية في هذا الكون الرحب الواسع.

وإذن فليس لأحد أن يقعد عن العمل بدعوى أن ما قدره الله أزلا فهو واقع لا محالة، و أن يردد المثل الشائع "المكتوب في الجبين تراه العين"، والنتيجة لا جدوى من العمل، وهذا فهم خاطئ إذ أن الذي قدَّر وقضى هو الذي يقول: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ** ﴾، (التوبة، الآية: 105). والذي قدَّر الأرزاق، هو الذي

1-أبو حامد الغزالي، **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، تح: بسام الجابي، ط1. قبرص: الجفان والجابي 1987م، ص97.

طلب منا الجدّ في طلبها بقوله: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾، (الملك، الآية: 15).

ومما يوضح لنا أن القضاء و القدر لا يعني الإجبار ما روي عن سيدنا علي – رضي الله عنه – لما سأله أحد أتباعه عند منصرفهم من صفين فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء وقدر ؟فقال الإمام: "والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة إلا بقضاء من الله وقدره.فقال الشامي: عند الله تعالى أحتسب عنائي إذا يا أمير المؤمنين وما أظن أن لي أجرا في سعيي إذا كان الله قضاه علي وقدره لي.فقال أمير المؤمنين إن الله قد أعظم لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون وعلى منقلبكم وأنتم منقلبون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين ولا عليها مجبرين.فقال الشامي: فكيف يكون ذلك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا؟ فقال له أمير المؤمنين: ويحك يا أخا أهل الشام لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان ذلك كذلك، لبطل الثواب والعقاب.. إن الله أمر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا، ولم يكلف مجبرا، ولا بعث الأنبياء عبثا"[1].

فعلى الإنسان أن يجدَّ ويسعى، وأن يأخذ بالأسباب كما فعل رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة المنورة، فقد كان يسير ليلا، ويتخفى نهارا، ويمحو آثار المشي في مسيره، وأعدَّ الرواحل التي يمتطيها، والدليل الذي يصحبه، وغيَّر الطريق، واختبأ في الغار، لأن هذا لا يتعارض مع الإيمان بقضاء الله وقدره، لأنها كلها داخلة فيه، بل دعا الإسلام إليها. ولهذا حين سئل ﷺ عن الأدوية والأسباب التي يتقي بها المكروه، هل ترد من قدر الله شيئًا، كان جوابه الفاصل: "هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ"[2].

1- أحمد بن المرتضى، **المنية والأمل في شرح الملل والنحل**، تح: توما أرنولد، حيدر آباد الدكن 1316هـ، ص7-8.

2- أبو عيسى الترمذي، **السنن**، أبواب القدر باب ما جاء لا ترد الرقى ولا الدواء من قدر الله شيئا، (مصدر =

وحينما ذهب عمر إلى الشام، وعلم قبل دخولها أن هناك طاعونًا، شاور أصحابه في الرجوع، واستقر الرأي على العودة بمن معه، بعدًا بهم عن مواطن الخطر. فقال أبو عبيدة: أنفر من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله! أَرَأَيْتَ لو كان لك إبِلٌ هبطَت وادِيا له عُدْوَتَان، إحدَاهما خَصِبة، والأُخرى جدْبَة، أليس إن رَعَيْت الخَصْبَة رَعَيْتَهَا بقَدَر اللَّه، وإنْ رَعَيت الجَدْبَة رَعَيْتَها بقَدَر اللَّه؟ قال: فَجاء عبد الرَّحْمَن بن عَوْفٍ-وكان متغَيبا في بَعْض حاجتِهِ- فقال: إنَّ عندي في هذا علما؛ سَمِعْت رَسول اللَّه ﷺيقول: إذَا سَمِعْتُمْ به بأَرْضٍ فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذَا وقَعَ بأَرْضٍ وأَنْتُمْ بهَا فلا تَخْرُجُوا فِرَارًا منه. قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ[1].

(ب) إن القدر أمر مغيب مستور عنَّا، فنحن لا نعرف أن الشيء مقدَّر إلا بعد وقوعه، أما قبل الوقوع فنحن مأمورون أن نتبع السنن الكونية، والتوجيهات الشرعية لنحرز الخير لديننا ودنيانا.وقد عرض الدكتور "محمد إقبال" لهذه القضية في حوار شعري يدور بين الله سبحانه وتعالى وبين إبليس في حضور الملائكة !.إن "إبليس" يظهر أولا إيمانه بوحدانية الله وقدرته، ثم ينفي عن نفسه الكبر والمروق، ويقول: يا رب أنني لم أسجد لآدم إلا لأنك كتبت في علم غيبك، أنني لن أسجد فما ذنبي ؟!، فيرد عليه الخالق سبحانه بما يفحمه فيقول سبحانه: هل عرفت ذلك الأمر وهذا القدر المكتوب، قبل أن تعصى أم بعد العصيان..؟؟، فلا يسع إبليس إلا الإقرار بجرمه، والاعتراف بذنبه، وأنه ليس بريئا من تحمل المسئولية، وها هي القطعة شعرا كما ترجمها الدكتور "عبد الوهاب عزام":

=سابق)، ج4، ص453؛ ورواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم، وقال الترمذي حديث حسن، وفي بعض النسخ حسن صحيح، وله شاهد من حديث حكيم بن حزام رواه الحاكم وصححه، وآخر من حديث كعب بن مالك، رواه ابن حبان في صحيحه.

1-أخرجه البخاري في **صحيحه،** كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، (مصدر سابق)، ج7، ص130.

إبليس:

يا إلها أمره كـن ليس عنه من محيد

كيف أستكبر عن أمرك أم كيف أحيد ؟؟

كان في علمك أني حائد عن ذا السجود

الخالق:

هل عرفت السرَّ هذا قبل أو بعد الجحود

إبليس:

بعد يا من تجليـــ ـه كمالات الوجود[1].

والذي نخلص له من هذا الحوار الشعري أنه وإن كانت أفعال الإنسان داخلة في مجال القضاء والقدر الذي لا يندُّ عنه شيء، فإن هذا لا يعني أن الإنسان مجبر على أفعاله ومقهور عليها، لأن العلم صفة تكشف، لا قوة تجبر، فالله علم في الأزل أن فلانا سيطيع باختياره، فقضى له الطاعة، وعلم أن فلانا سيختار المعصية، فقضى عليه بالمعصية، وليس في ذلك جبر ولا إكراه. ويوضح ذلك ما روي أن رجلا قام إلى عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن إن أقواما يزنون ويسرقون ويشربون الخمر ويقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ويقولون كان ذلك في علم الله فلم نجد منه بدا، فغضب ثم قال سبحان الله العظيم، قد كان في علمه أنهم يفعلونها فلم يحملهم على الله على فعلها.

حدثني أبي عمر بن الخطاب أنه سمع رسول ﷺ يقول: مثل علم الله فيكم كمثل السماء التي أظلتكم، والأرض التي أقلتكم، فكما لا تستطيعون الخروج من السماء والأرض فكذلك لا تستطيعون الخروج من علم الله تعالى، وكما لا تحملكم

1- ينظر: نجيب الكيلاني، **إقبال الشاعر الثائر**، ط1. القاهرة: الشركة العربية للنشر والطباعة، 1957م، ص40-41.

السماء والأرض على الذنوب، فكذلك لا يحملكم علم الله تعالى عليها"[1].

من هذا يظهر أنه لا يجوز للإنسان الاحتجاج بالقدر عند اقتراف معصية أو تقصير في طاعة، لأن هذا وإن دخل في علم الله السابق، وقضائه الأزلي، فإنه لا يقتضي قهرا ولا إجبارا، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن ما ارتكبه من معصية أو تقصير، كان قبل أن يقع في علم الغيب عند الله، لم يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل قال تعالى: ﴿ **قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾، (الأعراف، الآية:188). وإذا كان العبد لا يعرف ما خبأه له لوح الأزل، فمن الحمق أن يحمل معاصيه على القدر؟

ولو كان القدر عذرا للخلق لقبل من إبليس وغيره من العصاة، ولو كان القدر حجَّة للعباد، لم يعذِّب أحد من الخلق، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولو كان القدر حجة لم تقطع يد السارق، ولا قُتِلَ قاتل، ولا أُقيم حد على ذي جريمة، ولا جُوهِدَ في سبيل الله، ولا أُمِرَ بالمعروف، ولا نهي عن المنكر[2].

(ج) والإيمان بالقدر لا يقتضي استسلام الإنسان لما يحل عليه من أقدار، بل عليه أن يعدَّ العدد، ويتّخذ الأسباب التي يواجه بها ما نزل ، وتعجني في هذا المقام كلمة لأحد أئمة السلوك يقول فيها:" أنا أغالب أقدار الحقِّ، بالحقِّ"، وهكذا كان يفعل الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – فنوح صنع السفينة، واتجه إلى الله بالدعاء، لينجيهم من الطوفان الذي أحاط بهم من كل جانب، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ** ﴾، (الصافات، الآيتان:75-76)، وفي

1-القاضي عبد الجبار، **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**، تح: فؤاد سيّد، ط1. بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية 2017م، ص96؛ فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير**، (مصدر سابق)، ج2، ص290.

2- ابن تيمية، **سؤالان في القضاء والقدر**، اعتنى بطبعه أبو المجد حرك، ط1. القاهرة: دار الكتاب اللبنانية، 1993م، ص 13.

قصة ذي القرنين مندوحة، إذ تكرر الثناء عليه بأخذه بالأسباب، قال تعالى في بداية قصته: ﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾، (الكهف، الآيتان:84-85)، وتلك العذراء البتول مريم، تُؤمر بهز جذع النخلة -وهي المحمّلة بأثقال نفسية على إثر حملها بلا زوج- ثم يُطعمها الله ويسقيها لأنها أخذت بالأسباب فتحركت وسعَت، قال تعالى: ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴾، (مريم، الآية:25)، وفي غزواته ﷺ وجدناه يخطط ويأخذ بالأسباب ويحدّد المهام ويوزّع الأدوار؛ أخذًا بالأسباب.

وهذا كله يشير بوضوح إلى أنهم -صلوات ربي وسلامه عليهم - كانوا يؤمنون بوجوب الرضا بما سبق به القضاء، وعدم السخط منه، ووجوب مقاومة ما يحيق بهم من بلاء، باتخاذ الأسباب المناسبة في ذلك. لأنهم كانوا يفرِّقون بين القضاء، والمقضي، فالقضاء مقدور لله فلا يُعترَض عليه، ولا يُجزَع منه، أما المقضي من فقر ومرض وظلم، فلا ينبغي أن يستسلم له، بل عليه أن يقاومه ويواجهه، وأن يتخذ من الأسباب ما يكفل لهم مغالبته، يقول محمد إقبال: "المسلم الضعيف يحتج بقضاء الله وقدره، أما المسلم القوي فهو يعتقد أنه قضاء الله الذي لا يُرَدّ، وقدره الذي لا يُغلب."وهكذا كان فهم الصحابة الأوائل، وبخاصة أنه أخبرهم عليه الصلاة والسلام بأن كلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ[1]، وكان ﷺ يصدع بهذه العقيدة، ويملأ بها القلوب، ويشحذ بها العزائم لتكون لهم جُنّة، لما يصيبهم من عنت وما يلاقونه من متاعب، في دنيا الناس هذه، روي أنه -ﷺ - قال:" الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"[2]. وما قال

1-أخرجه مسلم، **في صحيحه،** كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، ج4، ص1046.

2-أخرجه مسلم، **في صحيحه،** كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ... ، ج4، ص1052.

ﷺ لابن عبَّاس رضي الله عنهما: " واعْلَمْ: أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ؛ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ "[1].وهي كلمات مخلِّصة لقلب المؤمن من قيدي الرغبة والرهبة، وهما أصلا تبعيات، وعبوديات كثيرة، ونعتقد أن هذا القدر من الفهم لهاته العقيدة، فيه غنية وكفاية لصلاح الأعمال.

3-3- حين نفخ الروح في الجنين: فكما أن النواة إذا ألقيت في الأرض في وقت مخصوص، وأحاط بها تدبير مخصوص علم المطلع على خاصية نوع النخل، وخاصية تلك الأرض وذلك الماء والهواء أنه يحسن نباتها، ويتحقق من شأنه على بعض الأمر، فكذلك تتلقى الملائكة المدبرة يومئذ، وينكشف عليهم الأمر في عمره ورزقه، وهل يعمل عمل من غلبت ملكيته على بهيميته، أو بالعكس، وأي نحو تكون سعادته وشقاوته[2].

3-4 - قبيل حدوث الحادثة: فينزل الأمر من السماء إلى الأرض، ثم تنبسط أحكامه في الأرض.وقد بينت السنة بيانا واضحا أن الحوادث يخلقها الله تعالى قبل أن تحدث في الأرض خلقا ما، ثم ينزل في هذا العالم فيظهر فيه كما خلق أول مرة سنة من الله تعالى، ثم قد يمحى الثابت، ويثبت المعدوم، بحسب هذا الوجود قال الله تعالى: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾، (الرعد، الآية:39)، مثل أن يخلق الله تعالى البلاء خلقا ما، فينزله على المبتلى، ويصعد الدعاء، فيرده، وقد يخلق الموت، فيصعد البر، ويرده، والفقه فيه أن المخلوق النازل سبب من الأسباب العادية كالطعام والشراب بالنسبة إلى بقاء الحياة وتناول السم، والضرب بالسيف

1- أبو عيسى الترمذي، **السنن،** أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، (مصدر سابق)، ج4، ص567، وقال حديث حسن صحيح.

2- الشاه ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة،** تح: سيد سابق، (مرجع سابق)، ج1، ص127. بتصرف.

بالنسبة إلى الموت.."[1].

4- فهم خاطئ للقضاء والقدر:

لقد رأينا الأثر العظيم الذي أحدثته عقيدة القضاء والقدر في نفوس الجيل الأول من الصحابة الكرام، على الرغم من هذا، فإن الروح التواكلية بدأت تفعل فعلها في أوصال الأمة، ولعل هذا ما قعد بالمسلمين عن الاستمرار أو الاحتفاظ بموقعهم الريادي على خارطة العالم اليوم، وهذا الفهم الخاطئ هو الذي حدا "بالمسيو هانوتو" أن يقول: إن عقيدة القضاء والقدر هي سبب تخلف المسلمين وتأخرهم، لأنها جعلتهم يخضعون خضوعا أعمى إلى ناموس لا يعرف التحول والتبدل[2].

وكما ضلت بعض الأفهام في تجويزها الاحتجاج أو الاعتذار بالقدر على اقتراف الذنوب، ضلت أفهام أخرى في فهم علاقة القدر بالفعل الإنساني، حيث رأى فريق أن قدرة الله مطلقة، وأن إثبات قدرة للإنسان في أفعاله معه، يتعارض مع إرادته الشاملة.

ورأى فريق آخر هاته المشكلة من جانبها الإنساني مراعيا مسئولية الإنسان وتكليفه، ومن ثم قالوا: باستقلال قدرة الإنسان على ما يصدر منه. وكلاهما يتعلل ببعض النصوص الشرعية، والحقيقة أننا نجد في القرآن نوعين من الآيات التي تتصل بهاته المشكلة:

النوع الأول: آيات قد يفهم منها معنى الجبر الذى يلغى الإرادة الإنسانية، وذلك مثل قوله تعالى عن الكافرين: ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾، (البقرة، الآية: 7)، وقوله: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ** ﴾، (الأنعام، الآية: 107)

1- المرجع السابق، ج1، ص128.

2- محمد رشيد رضا، **تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده**، ط1. القاهرة: مطبعة المنار 1931م، ج2، ص390.

إلى آيات كثيرة أخرى، كما تدل على ذلك الأحاديث التي تتحدث عن أن عمل الإنسان إنما هو فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، فلقد روي أنَّ رجُلًا مِن مُزَينةَ أتى رسولَ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ أرأَيْتَ ما يعمَلُ النَّاسُ اليومَ ويكدَحونَ فيه أشيءٌ قُضِي عليهم ومضى عليهم، أو فيما يستقبِلونَ ممَّا أتاهم به نبيُّهم واتَّخذَتْ عليهم به الحُجَّةُ ؟ فقال: "بل شيءٌ قُضِي عليهم ومضى عليهم "قال: فلِمَ نعمَلُ إذًا؟ قال: "مَن كان اللهُ خلَقه لواحدةٍ مِن المنزلتَيْنِ فهو يُستَعمَلُ لها"، وتصديقُ ذلك في كتابِ اللهِ: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾[1]، (الشمس، الآيتان: 7- 8)، ومنها ما روي عن سُرَاقَةُ بنُ مَالِكِ بنِ جُعْشُمٍ قالَ:يا رَسُولَ اللهِ، بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الآنَ، فِيما العَمَلُ اليَومَ؟ أَفِيما جَفَّتْ به الأَقْلَامُ وَجَرَتْ به المَقَادِيرُ، أَمْ فِيما نَسْتَقْبِلُ؟ قالَ: لَا، بَلْ فِيما جَفَّتْ به الأَقْلَامُ وَجَرَتْ به المَقَادِيرُ[2].

غير أن هناك نصوصا أخرى تثبت استقلال إرادة الإنسان، وأن له استطاعة على العمل من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ** ﴾، (الكهف، الآية:29)، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾، (الإنسان، الآية:3)، وقوله تعالى: ﴿ **مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا** ﴾، (الإسراء، الآيتان:18-19)، وقوله عليه السلام: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ"[3]إلى غير ذلك من النصوص التي يفهم من ظاهرها الاختيار.

1- رواه ابن حبّان، **في صحيحه**، عن عمران بن حصين، تح: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، النوع الخامس والستون ذكر كتبة الله جل وعلا أولاد آدم لداري الخلود واستعماله إياهم لهما في دار الدنيا. رقم الحديث 6182، ط1. بيروت: دار ابن حزم 2012م، ج5، ص286.

2- رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي، في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، (مصدر سابق)، ج4، ص1040.

3- رواه البخاري، في **صحيحه**، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ج2، ص94.

نظر الفريقان المتقابلان لهاته النصوص التي تبدو متعارضة في الظاهر في ضوء ما مال إليه، وما تقرَّر لديه، فمن غلب عليه مشاهدة جانبقدرة الله المطلقة، وإرادته الشاملة، واستغرق في ملاحظة اسمه القهار، والقادر جعل ما لاحظه بمثابة الأصل، وأوَّل الآيات، وردَّ الأحاديث المناقضة لمذهبهم.

وأما من غلب عليه مشاهدة جانب مسئولية الإنسان عن عمله وما يقتضي ذلك من حرية، واستغرق في ملاحظة بعض أسمائه الحسنى كالحكيم والعدل، جعل ما لاحظه بمثابة الأصل، وتأول الآيات الأخرى، وردَّ الأحاديث المناقضة لمذهبهم.

والحقيقة أن كل طائفة أصابت جانبا من الحقيقة، وأخطأت في الجانب الآخر، وهذا يرجع في نظرنا إلى افتقاد الرؤية الكلية في معالجة المشكلة، وغلبة النظرة الجزئية، ولو ردَّ هذان الفريقان الأمر إلى القرآن والرسول مع استحضار للنصوص كلها، دون نظر إلى بعض النصوص دون بعضها الآخر، لوجدا الحق منهما قريبا، وهذا مفهوم من مقتضى قوله تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾، (النساء، الآية:59)، يقول الإمام الشاطبي: "فَلَوْ كَانَتِ الشَّرِيعَةُ تَقْتَضِي الْخِلَافَ لَمْ يَكُنْ فِي الرَّدِّ إِلَيْهَا فَائِدَةٌ. وَقَوْلُهُ: فِي شَيْءٍ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ، فَهِيَ صِيغَةٌ مِنْ صِيَغ الْعُمُوم. فَتَنْتَظِمُ كُلُّ تَنَازُع عَلَى الْعُمُومِ، فَالرَّدُّ فِيهَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِأَمْرٍ وَاحِدٍ فَلَا يَسَعُ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ الْحَقِّ فِرَقًا"[1].

ويتطلب هذا الأمر اليقين بأنه" لَا تَضَادَّ بَيْنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَلَا بَيْنَ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ وَلَا بَيْنَ أَحَدِهِمَا مَعَ الْآخَرِ، بَلِ الْجَمِيعُ جَارٍ عَلَى مَهْيَع وَاحِدٍ وَمُنْتَظِم إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، فَإِذَا أَدَّاهُ بَادِئَ الرَّأْيِ إِلَى ظَاهِرِ اخْتِلَافٍ فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَقِدَ انْتِفَاءَ الِاخْتِلَافِ،

1 -إبراهيم الشاطبي، **الاعتصام**، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط1.الناشر: دار ابن عفان، السعودية 1992م، ج2، ص755.

لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ شَهِدَ لَهُ أَنْ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ"[1].لأن كلام الله لا يتناقض في ذاته، ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾، (النساء، الآية: 82)، ثم لا يتناقض معه كلام رسول الله ﷺ؛ الذي لا ينطق عن هوى نفسه بل إنما ينطق عن أمر ربه ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** ﴾، (الحاقة، الآيات: 44-47).

فإذا وجدت بعض النصوص التي قد تبدو في ظاهرها متعارضة "فَلْيَقِفْ وُقُوفَ الْمُضْطَرِّ السَّائِلِ عَنْ وَجْهِ **الْجَمْعِ** أَوِ الْمُسَلِّمِ مِنْ غَيْرِ اعْتِرَاضٍ... فَإِذَا اتَّضَحَ لَهُ الْمَغْزَى وَتَبَيَّنَتْ لَهُ الْوَاضِحَةُ. فَلَابُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَهَا حَاكِمَةً فِي كُلِّ مَا يَعْرِضُ لَهُ مِنَ النَّظَرِ فِيهَا. وَيَضَعَهَا نُصْبَ عَيْنَيْهِ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ دِينِيٍّ، كَمَا فَعَلَ مَنْ تَقَدَّمَنَا مِمَّنْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ"[2].

وهذا هو شأن الأئمة الراسخين في العلم فإن مأخذ الأدلة عند هؤلاء " إِنَّمَا هُوَ عَلَى أَنْ تُؤْخَذَ الشَّرِيعَةُ كَالصُّورَةِ الْوَاحِدَةِ بِحَسْبِ مَا ثَبَتَ مِنْ كُلِّيَّاتِهَا وَجُزْئِيَّاتِهَا الْمُرَتَّبَةِ عَلَيْهَا، وَعَامِّهَا الْمُرَتَّبِ عَلَى خَاصِّهَا، وَمُطْلَقِهَا الْمَحْمُولِ عَلَى مُقَيَّدِهَا، وَمُجْمَلِهَا الْمُفَسَّرِ بِمبَيِّنِهَا...وَمَا مِثْلُهَا إِلَّا مَثَلُ الْإِنْسَانِ الصَّحِيحِ السَّوِيِّ، فَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ إِنْسَانًا (حَتَّى) يُسْتَنْطَقَ فَلَا يَنْطِقُ؛ لَا بِالْيَدِ وَحْدَهَا، وَلَا بِالرِّجْلِ وَحْدَهَا، وَلَا بِالرَّأْسِ وَحْدَهُ، وَلَا بِاللِّسَانِ وَحْدَهُ، بَلْ بِجُمْلَتِهِ الَّتِي سُمِّيَ بِهَا إِنْسَانًا. كَذَلِكَ الشَّرِيعَةُ لَا يُطْلَبُ مِنْهَا الْحُكْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الِاسْتِنْبَاطِ إِلَّا بِجُمْلَتِهَا، لَا مِنْ دَلِيلٍ مِنْهَا أَيِّ دَلِيلٍ كَانَ"[3].

ومن المفكرين القدامى الذين تفطنوا إلى طريقة الجمع هذه "ابن السيد

1-إبراهيم الشاطبي، **الاعتصام**، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، (المرجع نفسه). ج2، ص822.

2- المرجع نفسه.

3-المرجع نفسه، ج1، ص311.

البطليوسي"[1] المتوفى (521هـ)، في كتابة "الإنصاف"، الذي عني فيه ببيان أسباب الخلاف الذي وقع بين المسلمين حيث ذكر بين هاته الأسباب التي دعت إلى الخلاف ما سماه بالاختلاف العارض من جهة الإفراد والتركيب، وبيَّن أن الحكم الشرعي قد يأتي في آية واحدة، وهذا بيِّن، وقد يأتي في آيات وأحاديث كثيرة، فيحتاج الأمر عندئذ إلى جمع هذه الآيات والأحاديث وترتيبها، وإمعان النظر في سياقاتها المختلفة بغية استخلاص الحكم منها. أما إذا كان النظر مقتصرا على بعض النصوص دون بعضها الآخر، فإن الاختلاف سيقع لا محالة. وقد يقع التضاد في الآراء والمقالات لهذا السبب. وفي هذا المعنى يقول: "إننا إذا تأملنا المقالات والاختلافات التي وقعت بين أهل ملتنا فسنجد أن أكثرها أو كثيرا منها وقع بسبب وجود مقالتين متضادتين كلاهما غلط وخطأ، ويكون الصواب والحق في مقالة ثالثة متوسطة، ترتفع عن حد التقصير. وتنحط عن حد الغلو والإفراط"[2].

وبناء على هذا المنهج الذي رام تطبيقه، نظر في الآيات القرآنية، والأحاديث المروية عن الرسول الكريم ﷺ؛ في قضية حساسة هي قضية القضاء والقدر، حيث قام بجمع آيات وأحاديث كثيرة تخص هاته القضية العويصة، يبدو من ظاهر تلك النصوص التعارض، حيث توهم بعض النصوص الواردة الجبر المحض، وبعضها الآخر يوهم الحرية والاختيار، كما مرَّ بنا سابقا، لكن "ابن السيد البطليوسي"، لم يستخلص حكمه من خلال النظر في المجموعة الأولى وحدها، ولا من خلال النظر في المجموعة الثانية وحدها، وإنما استخلص حكمه من خلال النظر في مقالة ثالثة متوسطة تجمع بين الجانبين وتنتظم الطرفين، وتوفق بين

1- من أهم مؤلفاته: الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة. وشرح الموطأ. انظر في ترجمته: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تح: إحسان عباس، ط1. بيروت: دار صادر 1978م، ج3، ص 96-98.

2- ابن السيد البطليوسي، **الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين**، تح: محمد رضوان الداية، ط1. بيروت: دار الفكر 1403هـ، ص 130.

الإرادتين، ويجتمع فيها الإيمان بمشيئة الله، وقدرته، وتصرفه في ملكه، مع اتصاف الإنسان بالحرية والإرادة اللتين يترتب عليهما الثواب والعقاب. ويتضمن هذا النوع آيات كثيرة يمكن اعتبارها بمثابة "مركز الثقل" الذي ينبغي أن ينظر إلى الآيات القرآنية كلها في ضوئها.

وهذه الآيات من الكثرة بمكان من ذلك قوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾، (الرعد، الآية: 11)، ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾، (مريم، الآية: 76)، ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾، (العنكبوت، الآية:69)، ﴿ **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾، (الصف، الآية:5)، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾، (محمد، الآيات:7-9)، ﴿ **وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا** ﴾، (الإسراء، الآية:74)، وقوله في سورة يوسف عليه السلام ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ** ﴾، (يوسف، الآية:24)، وقوله: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ۚ ﴾، (الإنسان، الآية:30)، فأثبت للعبد مشيئة لا تتم له إلا بمشيئة ربه عز وجل، ووجدوا الأمة مجمعة على قولهم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وفي هذا إثبات حول وقوة للعبد لا يتهان إلا بمعونة الله سبحانه إياه، ووجدوا الأمة مجمعة على الرغبة إلى الله في العصمة والاستعاذة به من الخذلان بقولهم اللّٰهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز، ولا إلى الناس فنضيع[1].

ويبيّن لنا هذا المعنى أكثر حديث رواه البخاري في صحيحه جاء فيه " إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَجَلَسَ

1- المرجع السابق، ص134.

خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ"[1]. وقد نال كل واحد من الثلاثة جزاءه على حسب نيته وعمله كما هو واضح من الحديث، وهكذا فهم المسلمون الأوائل هاته العقيدة، وشغلوا بالتطبيق العملي، ونأوا بأنفسهم عن الجدل، وكانت الروح الإسلامية في أغلبها الأعم روحا عملية، وإلى هذه الروح يرجع ما روي عن جعفر الصادق قوله: "إن الله تعالى أراد بنا شيئا، وأراد منّا شيئا، فما أراده بنا طواه عنَّا، وما أراده منّا أظهره لنا، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منّا "[2]وروي عنه أيضا: " إن رجلا قال له هل العباد مجبرون فقال الله أعدل من أن يجبِرَ عبدَه على معصيته، ثم يعذبَّه عليها فقال له السائل فهل أمرُهُم مفوَّضٌ إليهم فقال الله أعز من أن يجوِّزَ في ملكه ما لا يريد، فقال له السائل: فكيف ذلك إذا ؟ قال: أمرٌ بين الأمرين؛ لا جبرَ ولا تفويضَ"[3]. وكان يقول في الدعاء: " اللّهم لك لحمد إن أطعتك ولك الحجة إن عصيتك لا صنع لي ولا لغيري في إحسان ولا حجة لي ولا لغيري في إساءة"[4].

بهذه الروح الوثابة، والعزيمة التي لا تلين، التي ولدتها في نفوسهم هاته العقيدة، انطلق الصحابة – رضوان الله عليهم – يفتحون الأقطار، وينشرون الدعوة الإسلامية، واستطاعوا في مدة وجيزة أن يؤسسوا دولة قوية مرهوبة الجانب، كل ذلك لأنهم فهموا عقيدة القضاء والقدر فهما صحيحا، فهموها أنها لا

1- البخارى، في **صحيحه،** كتاب الصلاة، باب الحلق والجلوس في المسجد، (مصدر سابق)، ج1، ص102.

2- الشهرستاني، **نهاية الإقدام في علم الكلام،** تح: أحمد فريد المزيدي، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م، ص148.

3- ابن السيد البطليوسي، **الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين،** (مرجع سابق)، ص135.

4- أبو الفتح محمد الشهرستاني، **الملل والنحل،** تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط4. بيروت: دار المعرفة ج1، ص195.

تعني الإكراه أو الجبر، ولا تدفع إلى حياة البطالة والأديرة والكهوف، ولا تتنافى مع الأخذ بالأسباب التي جعلها الله في نظام العالم، ولم يقحموا أنفسهم في الجدل العقلي العقيم لم هذا؟ ولم ذاك؟ فالله لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، وهل يجوز للمخلوق أن يسأل خالقه لم خلقتني كذا وكذا؟!. قل فلله الحجة البالغة على الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

5- آثار الإيمان بالقضاء والقدر: والإيمان بالقضاء والقدر على جانب كبير من الأهمية للإنسان لما له من أثر عظيم في الحياة، كما أنه يحقق أهدافا عظيمة للفرد والمجتمع نرشد إلى أهمها:

5-1- تحقيق الراحة النفسية والسعادة للإنسان في الحياة، وتفجير ينابيع السكينة والرضا، والطمأنينة والأمن، لأن إيمان الإنسان بأن كل شيء في الوجود يسير وفق حكمة عليا، من شأنه أن يصلح النفس الإنسانية، ويجعلها تستقبل أحداث الحياة بثبات واتزان واعتدال، فإذا مسها الضر لا تجزع، لأن ما قد يظنه الإنسان شرا قد يكون في حقيقته خيرا، قال تعالى: ﴿ **وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾، (البقرة، الآية:216)، كذلك إذا صادفها التوفيق والنجاح فلا تبطر، وإنما تستقبله بالحمد والشكر، ومن يؤمن بهذا، كان إنسانًا سويًا متزنًا متحكما في انفعالاته سواء في أحوال الفرح أو الترح، قال تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾، (الحديد، الآيتان:22-23).

5-2- وإيمان الإنسان بأن كل شيء في الوجود يسير وفق قضاء وقدر، من شأنه أن يورث الإنسان الاستعداد إلى ملاحظة التدبير الواحد الذي يجمع العالم، ومن اعتقده على وجهه – كما يقول الإمام الدهلوي – يصير طامح البصر إلى ما عند الله، يرى الدنيا وما فيها كالظل له، ويرى اختيار العباد من قضاء الله كالصورة المنطبعة

في المرآة، وذلك يعد له – لانكشاف ما هنالك من التدبير الوحداني، ولو في المعاد – أتم إعداد[1]، وقد نبَّه ﷺ، على عظم أمره من بين أنواع البر حيث قال: "مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ "[2].

5-3- الإيمان بالقدر هو المحك الحقيقي لمدى الإيمان بالله تعالى على الوجه الصحيح، وهو الاختبار القوي لمدى معرفة الإنسان بربه تعالى، وما يترتب على هذه المعرفة من يقين صادق بالله، وبما يجب له من صفات الجلال والكمال، مسلِّماً الأمر لله، مطمئن النفس، واثقاً بربه تعالى، فلا تجد الشكوك والشبهات إلى نفسه سبيلاً، وهذا ولا شك أكبر دليل على أهمية الإيمان به من بين بقية الأركان.

5-4- من آثار الإيمان بالقضاء تحرير الانسان المؤمن من جميع العبوديات، وتخليصه من جميع التبعيات الكونية والشيئية، فلا يذل لنفسه لمخلوق طلبا لمنفعة، أو دفعا لضرر، لأنه يعلم " أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ "[3].ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر تحويل المحن إلى منح والمصائب إلى أجر؛ كما قال تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾، (التغابن، الآية:11).

5-5- ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: أنه يدفع الإنسان إلى البذل، والجود والشجاعة والثبات، والعمل والإنتاج والقوة والعزة؛ فالمجاهد في سبيل الله يمضي

1-الشاه ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، تح: سيد سابق، (مرجع سابق)، ج1، ص126.

2- رواه أبي يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه ينظر: أبو الحسن الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تح: حسام الدين القدسي، ط1. القاهرة: مكتبة المقدسي، 1994م، ج7، ص206.

3- أبو عيسى الترمذي، **السنن**، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، (مصدر سابق)، ج4، ص567، وقال حديث حسن صحيح.

في جهاده ولا يهاب الموت؛ لأنه يعلم أن الموت لا بد منه، وأنه إذا جاء لا يؤخر؛ لا يمنع منه حصون ولا جنود، ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** ﴾، (النساء، الآية: 78)، والذي يعتقد بأن الرزق مكفول، لا يمتنع عن الإنفاق في سبيل الله تعالى لأنه يعلم أن الله يعطي المنفق الخلف على ما أنفق، قال تعالى: ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة، الآية: 268).

والخلاصة فإن المؤمن بقضاء الله وقدره، شجاع ساعة الخطر، صبور عند الصدمة الأولى، جواد في العطاء، عزيز لا يتذلل، لأنه يعتقد أن كل ما يصيبه من غنى وفقر، ومن حياة وموت، ومن رخاء وشدّة، ومن ضيق وفرج، ومن فرح وقرح، كله مقدر من الله، قال تعالى: ﴿ **قُل لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾، (التوبة، الآية: 51)، إن عقيدة القدر إذا فهمت على وجهها الصحيح تستطيع أن تخلق مسلما قوي الإرادة ، صلب العزيمة، جدير بأن يوجه أمم العالم، ويفرض عليها اتجاهه.

الخاتمة

هذا ما يسَّر الله في بيان أصول العقيدة الإسلامية التي يجب على كل مسلم مكلَّف الإيمان بها، تجنبنا فيه التعقيد، والجدل العقيم، وحاولنا فيه أن نقِّرب أصول هاته العقيدة إلى ذهن القارئ المعاصر بما يتكشف من دلائل الآفاق والأنفس.

ولقد توسعنا في إقامة الأدلة على وجود الله، وإثبات نبوة محمد ﷺ، إيمانا منّا، بأنها جزء من معركتنا مع الإلحاد المعاصر، الذي يمتد في فراغنا، وينتشر في وسائل التواصل الاجتماعي انتشار النار في الهشيم، عسى أن يجد فيها الطلاب ما يقوي إيمانهم، ويزيل قلقهم.

وعنينا عند حديثنا عن هاته الأصول الستة بتبيان الآثار العملية لها في هذه الحياة الدنيا، لعل ذلك يكون باعثا لتثبيت إيمان المؤمن، ومدخلا مقنعا لغير المؤمن، يدلف منه إليها، لما يدرك ما تثمره هاته العقيدة عند من يعتنقها من سعادة وأمن، لم ينله في طريق الإلحاد.

كما أشرنا في المدخل إلى مجموعة من القضايا المهمة والتي نعتقد ضرورة أن يلَّم بها كل من يتصدى للبحث في العقيدة، وذلك كي يتسنى للطالب فهم الإطار المرجعي الذي تقوم عليه النظم والأحكام العلمية والعملية التي تحتويها الشريعة الإسلامية.

ولعل خير ما نختتم به كلمة لابن قيم – رحمه الله– توجَّهَ بها إلى قارئ كتابه، يقول فيها: "فيا أيها الناظر فيه لك غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، ولك صفوه، وعليه

كدره، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك، وبنات أفكاره تزف إليك، فإن صادفت كفؤا كريما لم تعدم منه إمساكا بمعروف، أو تسريحا بإحسان، وإن كان غيره فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المنَّان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله برئ منه ورسوله"[1].

نسأل الله في الأخير أن تحقق هذه الدراسة الهدف المتوخى منها، وأن ينفع بها الدارسين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله المجتبين، وصحابته الميامين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

1- ابن قيم الجوزية، **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، ط1. القاهرة: مطبعة المدني، (د، ت)، ص13.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم على رواية حفص.**
- أنجيل لوقا.ط1. بيروت: المطبعة الأمريكانية 1909م.
- إنجيل متى.

أولا – المصادر:

◈ **الألباني، (محمد ناصر، ت 1999م).**

1- صحيح الجامع الصغير وزياداته، ط3. بيروت: المكتب الإسلامي، 1408هـ.

2- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط1.بيروت: الناشر: مكتبة المعارف.

3- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط1.الرياض: مكتبة المعارف، 1995م.

◈ **البخاري، (إسماعيل، أبو عبد الله ت 256هـ).**

4- الجامع الصحيح، تح: جماعة من العلماء، ط1. بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ.

◈ **البغدادي، (عبد القاهر، ت 429ه).**

5- أصول الدين، ط1. اسطنبول: مطبعة الدولة 1928م.

◈ **البغوي، (أبو محمد الحسين، ت 516هـ).**

6- معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ

◈ **البيهقي، (أحمد، أبو بكر، ت 458هـ).**

7- السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1.بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.

8- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، تح: أحمد عصام الكاتب، ط1. بيروت: دار الآفاق الجديدة 1401هـ.

◈ **التبريزي، (محمد بن عبد الله الخطيب، ت 741هـ).**

9- مشكاة المصابيح، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط1.بيروت: المكتب الإسلامي 1985م.

◈ **الترمذي، (محمد، أبو عيسى، ت 279هـ).**

10- سنن الترمذي تح: أحمد محمد شاكر بالاشتراك، ط1. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م.

◈ **ابن حبّان (أبو حاتم محمد، 345هـ)**

11- المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح

في ناقليها، تح: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، ط1. بيروت: دار ابن حزم 2012م.

◈ **ابن حنبل، (أحمد، ت 261ه).**

12- المسند، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط1. بيروت: دار الرسالة 2001م.

الدرامي، (عبد الله، ت 280ه)

13- السنن، تح: حسين أسد، ط1. الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية 2000م.

◈ **الرازي، (فخر الدين، ت 606ه).**

14- مفاتيح الغيب -التفسير الكبير- ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420ه.

◈ **الطبراني، (أبو القاسم سليمان بن أحمد، ت360ه).**

15- المعجم الكبير، المحقق: حمدي السلفي، ط2. القاهرة: مكتبة ابن تيمية 1415ه.

◈ **الطبري، (محمد بن جرير، ت 310ه).**

16- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح:محمود شاكر، ط1. مكة المكرمة: دار التربية والتراث، (د.ت).

◈ **القرطبيُّ، (أبو العبَّاس، ت 656ه)**

17- المفهِم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محي الدين ديب مستو، وآخرون، ط1.دمشق: دار ابن كثير 1996م.

◈ **ابن كثير، (إسماعيل، ت 774ه).**

18- تفسير القرآن العظيم، تح: محمد شمس الدين، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1419ه.

◈ **طنطاوي، (محمد سيد، ت 2010م).**

19- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1997م.

◈ **القرطبي، (أبو عبد الله أحمد، ت 671ه).**

20- الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط1.القاهرة: دار الكتب المصرية 1964م.

◈ **ابن ماجه، (أبو عبد الله محمد، ت 273ه)**

21- السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

◈ **مالك بن أنس، (الأصبحي، ت179ه).**

22- الموطأ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1.بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1985م.

◈ **مخلوف، (حسنين محمد، ت 1990م).**

23- صفوة البيان لمعاني القرآن، ط1. القاهرة: الشروق بالاشتراك مع لجنة الاحتفالات بمقدم القرن الخامس عشر الهجري، دولة الإمارات 1982 م.

◈ **مسلم (أبو الحسين بن الحجاج القشيري، ت 261هـ).**

24- الجامع الصحيح، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1955م.

◈ **الهيثمي، (أبو الحسن، علي ت 807هـ).**

25- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: حسام الدين القدسي، ط1. القاهرة: مكتبة المقدسي، 1994م.

ثانيا – المراجع:

◈ **ابن الأثير، (أبو الحسن علي، ت 630هـ).**

26- الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1. بيروت: دار الكتاب العربي،1997م.

◈ **أحمد أمين، (حافظ، ت 1954م).**

27- ضحى الإسلام، ط 10، بيروت: دار الكتاب العربي (د.ت).

28- فيض الخاطر، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 2012م.

الأشقر، (عمر سليمان، ت 2012م).

29- عالم الملائكة الأبرار، ط1.الكويت: مكتبة الفلاح، 1983م.

◈ **الأصبهاني، (أبو نعيم، ت 430هـ).**

30- معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط1. الرياض: دار الوطن للنشر، 1995م.

◈ **الأصفهاني، (الراغب، ت 403هـ).**

31- المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان الداودي، دمشق: دار القلم، الدار الشامية 1412هـ.

32- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ط1. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1983م.

◈ **الأصفهاني، (شمس الدين، ت 688هـ).**

33- مطالع الأنظار في شرح طوالع الأنوار، ط1. قم: مركز بخش 1393هـ.

◈ **إقبال، (محمد، ت1938م).**

34- تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، ط. بيروت: دار آسيا، 1985.
35- ديوان الأسرار والرموز، تر: عبد الوهاب عزام، تح: سمير عبد الحميد إبراهيم، ط2. القاهرة: دار الأنصار 1981 م.
◈ **إمام، (محمد علي محمد).**
36- الحق المبين في معرفة الملائكة المقربين، ط1. القاهرة: مطبعة السلام، ميت غمر2007.
◈ **أنيس، (إبراهيم، ت1977م).**
37- المعجم الوسيط، ط2، القاهرة: دار المعارف 1973م.
◈ **الإيجي، (عضد الدين، ت 756ه).**
38- المواقف في علم الكلام، ط. بيروت: عالم الكتاب (د.ت).
◈ **باسكال، (بليز، ت 1662م).**
39- الخواطر، ترجمة ادوارد البستاني، ط1. بيروت: المكتبة الشرقية 1972م.
◈ **بخيت، (أحمد الغزالي).**
40- المدخل إلى الفقه الإسلامي، ط1.المنامة: منشورات جامعة البحرين 2016م.
◈ **بدوي، (عبدا لرحمن، ت 2002م).**
41- إيمانويل كانت، ط1. الكويت: وكالة المطبوعات 1977م.
◈ **البطليوسي، (ابن السيد، ت 521ه).**
42- الإنصاف، تح: محمد رضوان الداية، ط1. بيروت: دار الفكر 1403ه.
◈ **بورت، (جون ديون، توفي بعد 1870م).**
43- الاعتذار إلى محمد والقرآن، تر: عباس الخليلي، ط1. طهران1376ه.
◈ **البيجوري، (برهان الدين، ت 825ه).**
44- تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ط1. القاهرة: دار السلام 2001م.
◈ **البيضاوي، (ناصر الدين أبو عبد الله عمر، ت 685ه).**
45- طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، ط1. قم: مركز بخش 1393ه.
◈ **البيهقي، (أبو بكر، ت 458ه).**
46- الأسماء والصفات، تحق: عبد الله الحاشدي، ط1.جدة: مكتبة السوادي، 1993م.
◈ **التفتازاني، (سعد الدين، ت 792ه).**
47- شرح المقاصد، تح: عبد الرحمن عميرة، ط2. بيروت: عالم الكتب 1998م.
48- شرح المقاصد في علم الكلام، ط1. اسطنبول: مطبعة الحاج محرم صفند البوسنوي

1888م.
49- شرح العقائد النسفية، أحمد حجازي السقا، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية 1987م.
50- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، تح: زكريا عميرات، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).
◈ **ابن تيمية، (أحمد تقي الدين، ت728هـ).**
51- مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، 1415هـ.
52- درء تعارض العقل والنقل، تح: محمد رشاد سالم، ط1. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية 1991م.
53- كتاب الرد على المنطقيين، ط1. بيروت: دار المعرفة، (د، ت).
54- سؤالان في القضاء والقدر، اعتنى بطبعه أبو المجد حرك، ط1. القاهرة: دار الكتاب اللبنانية، 1993م.
◈ **الجرجاني، (علي بن محمد الشريف، ت 816هـ).**
55- التعريفات، ط1. بيروت: لبنان ناشرون 1985م
◈ **الجزائري، (أبو بكر جابر، ت 2018م).**
56- عقيدة المؤمن، ط2. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية 1978م.
◈ **الجوزية، (ابن قيم، محمد ت 751هـ).**
57- مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ط1.بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م.
58- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ط1. القاهرة: مطبعة المدني، (د، ت).
59- مدارج السالكين في منازل السائرين، ط2. الرياض: دار عطاءات العلم، 2019م.
60- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3. بيروت: دار الكتاب العربي 1996م.
◈ **جنيبير، (شارل).**
61- المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، ط1. بيروت: المكتبة العصرية، (د، ت).
◈ **ابن الجوزي، (عبد الرحمن، ت 597هـ).**
62- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تح: عامر حسن صبري، ط1. منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مملكة البحرين، 2013م.

◈ **الجويني، (أبو المعالي عبد الملك، ت 478هـ).**

63- الشامل في أصول الدين، تحقيق: علي سامي النشار وآخرون، ط1. الإسكندرية: منشأة المعارف 1965م.

64- العَقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تح: محمد الزبيدي، بيروت: دار سبيل الرشاد 1992م.

◈ **حبيشي، (طه الدسوقي، ت 2021م).**

65- النبوة في الفكر الإسلامي قضايا وتحليلات، ط1. القاهرة: دون تحديد مكان النشر،1981م.

◈ **حتى، (فليب، ت1978م).**

66- الإسلام منهج حياة، تر: عمر فروح. ط1 بيروت: دار العلم للملايين 1979 م.

◈ **ابن أبي الحديد، (عز الدين عبد الحميد بن هبة الله، ت656هـ).**

67- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2 بيروت: دار الجيل 1996م.

◈ **ابن حزم، (أبو محمد علي، ت 456هـ).**

68- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر وآخر، ط. بيروت: دار الجبل.

◈ **حسب الله، (علي، ت 1978م).**

69- أصول التشريع الإسلامي، ط5. القاهرة: دار المعارف بمصر، 1976م.

◈ **الحنفي، (ابن أبي العز، ت 792هـ).**

70- شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، ط10. بيروت: مؤسسة الرسالة 1997م.

◈ **خان، (وحيد الدين، ت 2021م).**

71- الإسلام يتحدى، تر: ظفر الإسلام خان، ط4. القاهرة: الرسالة 2005م.

◈ **ابن خلدون، (عبد الرحمن، ت 808هـ).**

72- المقدمة، ط بيروت: دار الجيل [د.ت].

73- المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، ط1. دمشق: دار يعرب 2004م.

74- العِبَر وديوان المبتدأ والخبر، تح: خليل شحادة، ط1. بيروت: دار الفكر 1981م.

◈ **ابن خلكان، (أبو العباس أحمد بن محمد، ت681هـ).**

75- وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، ط1. بيروت: دار صادر 1978م

◈ **خليفات، (سحبان، 2012م).**

76- رسائل أبي الحسن العامري- دراسة ونصوص - ط1.عمان: منشورات الجامعة الأردنية 1988م.

◈ **خليل، (عماد الدين)**

77- الفن والعقيدة، ط1 بيروت: مؤسسة الرسالة 1990 م.

◈ **الدسوقي، (فاروق).**

78- محاضرات في العقيدة الإسلامية، ط1، القاهرة: دار الدعوة للنشر والتوزيع، 1983م.

◈ **دراز، (محمد بن عبد الله، ت 1958م).**

79- النبأ العظيم، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، ط. الكويت: دار القلم، 2005.

80- المدخل إلى القرآن الكريم، تر: محمد عبد العظيم علي، ط1. الكويت: دار القلم 1984م.

◈ **الدهلوي، (أحمد ولي الله، ت1176ه).**

81- حجة الله البالغة، تح: سعيد البالنبوري، ط3. دمشق: دار ابن كثير 2017م.

82- حجة الله البالغة، المحقق: السيد سابق، ط1. بيروت: دار الجيل 2005م.

◈ **ابن رشد، (أبو الوليد، ت 595ه).**

83- مناهج الأدلة في عقائد الملة، تح: محمود قاسم، ط2. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية 1964م.

84- فصل المقال، تح: محمد عمارة، ط2. القاهرة: دار المعارف (د، ت).

◈ **رشيد رضا، (محمد، ت 1935م).**

85- تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، ط1. القاهرة: مطبعة المنار 1931م.

◈ **زاده، (طاش كبرى، ت 968ه).**

86- مفتاح السعادة ط. حيدر آباد 1928 م.

◈ **الزرقاني، (محمد عبد العظيم، ت 1948م).**

87- مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3.القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي 1367ه.

◈ **الزركلي، (خير الدين، ت 1398ه).**

88- الأعلام، ط15. بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.

◈ **أبو زيد، (منى أحمد).**

89- الإنسان في الفلسفة الإسلامية دراسة مقارنة في فكر العامري، ط1. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 1994م.

◈ **زيدان، (عبد الكريم، ت 2014م).**

90- المدخل إل دراسة الشريعة، ط1. بيروت: الرسالة ناشرون 2005م.

◈ **سابق، (سيد، ت 2000م).**

91- العقائد الإسلامية، ط1. بيروت: دار الكتاب العربي 1420هـ.

◈ **السعدي، (عبد الرحمن، ت 1957م).**

92- تيسير الكريم الرحمن، تح: عبد الرحمن اللويحق، ط1.بيروت: مؤسسة الرسالة 2000م.

◈ **السفاريني، (محمد، ت 1188هـ).**

93- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ط1. دمشق: مؤسسة الخافقين 1982م.

◈ **السيوطي، (جلال، ت911هـ).**

94- صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تح: علي سامي النشار وسعاد علي عبد الرزاق، ط1. القاهرة سلسلة إحياء التراث، 1970م.

95- الحاوي للفتاوي، ط1. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر 2004م.

◈ **الشافعي، (حسن محمود).**

96- مدخل إلى علم الكلام ط2.القاهرة: مكتبة وهبة 1991 م.

◈ **الشاطبي، (إبراهيم، ت 790هـ)**

97- الموافقات، تح: أبو عبيدة آل سلمان، ط1. القاهرة: دار ابن عفان، 1997م.

98- الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط1. الناشر: دار ابن عفان، السعودية 1992م.

◈ **شلبي، (أمين).**

99- نظرات في آرنولد توينبي، ط1. القاهرة: دار قباء، 2000م.

◈ **شلتوت، (محمود، ت 1963م).**

100- الإسلام عقيدة وشريعة، ط18. القاهرة: دار الشروق، 2001م.

◈ **أبو شُهبة، (محمد، ت 1983م).**

101- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ط1. دمشق: دار القلم 1427هـ.

◈ **الشهرستاني، (أبو الفتح محمد، ت 548هـ).**

102- الملل والنحل، ط1. القاهرة: مؤسسة الحلبي (د، ت).

103- نهاية الإقدام في علم الكلام، تح: أحمد المزيدي، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م.

104- الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط4. بيروت: دار المعرفة.

◈ **الشوكاني، (محمد بن علي، ت 1255هـ).**

105- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط بيروت: دار الفكر.
106- التحف فِي مَذَاهِب السّلف، تح: محمد حلاق، ط1. القاهرة: مكتبة ابن تيمية 1415هـ.
◈ **الشنقيطي، (محمد الأمين، ت 1973م).**
107- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، المحقق: علي بن محمد العمران، ط5.الرياض: دار عطاءات العلم، 2019م.
◈ **صبحي (الصالح، ت1986م)**
108- مباحث في علوم القرآن، ط10. بيروت: دار العلم للملايين 1977م.
◈ **الصنعاني، (محمد، ت 1182هـ).**
109- إجابة السائل شرح بغية الآمل، تح: القاضي حسين بن أحمد السياغي ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة 1986م.
◈ **الطنطاوي، (علي، ت 1999م).**
110- تعريف عام بدين الإسلام، ط11.بيروت: مؤسسة الرسالة 1981م.
◈ **الطيب، (أحمد).**
111- مقومات الإسلام، ط1. القاهرة: مكتبة إحياء التراث الإسلامي 2019م.
◈ **ضميرية، (عثمان، ت2018م).**
112- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط3. جدة: مكتبة السوادي للتوزيع 1999م.
◈ **ابن عاشور، (محمد الطاهر، ت 1284هـ).**
113- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط2. تونس: الشركة الوطنية للكتاب بالاشتراك مع المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (د، ت).
◈ **العامري، (أبو الحسن علي، ت 381هـ).**
114- الإعلام بمناقب الإسلام، تح: أحمد غراب، ط1. الرياض: دار الأصالة 1988 م.
◈ **ابن عبد السلام، (العز، أبو محمد، ت 660هـ).**
115- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، ط1. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1991م.
◈ **عبده، (محمد، ت 1323هـ).**
116- رسالة التوحيد، القاهرة: دار الكتاب العربي، (د، ت).
117- شرح نهج البلاغة للإمام علي، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر 1412هـ.
◈ **عثيمين، (محمد صالح، 2001م).**

118- شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية – ط1. الرياض: مدار الوطن للنشر 1426هـ.

◈ **ابن عساكر، (أبو القاسم علي، ت 499هـ).**

119- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، ط2. بيروت: دار الفكر 1399هـ.

◈ **ابن العربي، (أبو بكر، ت543هـ).**

120- العواصم من القواصم، المحقق: د. عمار طالبي، ط1. القاهرة: مكتبة التراث (د، ت)

◈ **عرفان، (عبد الفتاح، ت 2007م).**

121- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ط1. بغداد: مطبعة الإرشاد 1967م.

◈ **عزام، (عبد الوهاب محمد، ت 1959م).**

122- محمد إقبال وفلسفته وشعره، لندن: مؤسسة هنداوي 2014م.

◈ **العسقلاني، (ابن حجر، ت 852هـ).**

123- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تخريج محمد فؤاد عبد الباقي، ط1. بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

◈ **عياض، (القاضي ابن موسى، ت 544هـ).**

124- الشفا بتعريف حقوق المصطفى- مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، ط1. بيروت: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1988م.

◈ **غارودي، (رجاء، ت 2012م).**

125- الإسلام الحي، تر: دلال ظاهر مع محمد ظاهر. ط1 بيروت: دار البيروني 1995 م.

126- الإسلام دين المستقبل، ترجمة عبد المجيد بارودي، ط بيروت: دار الإيمان 1983م.

◈ **الغزالي، (أبو حامد محمد، ت505هـ).**

127- جواهر القرآن ن ط4، بيروت: دار الآفاق الجديدة 1974م.

128- المنقذ من الضلال، تح: عبد الحليم محمود، ط. القاهرة: دار الكتب الحديثة.

129- إحياء علوم الدين، ط1. بيروت: دار ابن حزم، 2005م.

130- إلجام العوام عن علم الكلام، ط1. بيروت: دار المنهاج 2017م.

131- قانون التَّأويل، تح: محمود بيجو، ط1. المكتبة الشاملة الذهبية 1993م.

132- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تح: بسام الجابي، ط1. قبرص، الجفان 1987.

◈ **ابن فارس، (أحمد، ت 395ه).**

133- معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ط3. القاهرة: الخانجي 1981م.

◈ **الفراهيدي، (الخليل بن أحمد، ت 174ه).**

134- العين، تح: مهدي المخزومي، ط1. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (د، ت).

◈ **القرطبي، (ابن عبد البر النميري أبو عمر، ت 463ه).**

135- جامع بيان العلم وفضله، تح: أبو الأشبال الزهيري، ط2. الرياض:1994م.

◈ **القرطبي (أبو عبد الله، محمد ت 671ه)**

136- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تح: الصادق بن إبراهيم، ط1. الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، 1425ه.

◈ **المباركفوري، (صفي الدين، 2006م).**

137- الرحيق المختوم، ط11. القاهرة: دار الوفاء 2010م.

◈ **ابن كثير، (أبو الفداء إسماعيل، ت 774ه).**

138- البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، ط1. الرياض: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع 1997م.

◈ **كرم، (يوسف، 1959م).**

139- تاريخ الفلسفة الحديثة، ط1.القاهرة: مؤسسة هنداوي 2017م.

◈ **الكندي، (أبو يعقوب يوسف، ت 259ه).**

140- رسائل الكندي الفلسفية، تح: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي 1950م.

◈ **كيلاني، (نجيب، ت 1995م).**

141- إقبال الشاعر الثائر، ط1. القاهرة: الشركة العربية للنشر والطباعة، 1957م.

◈ **اللاهيجي، (عبد الرزاق، ت 1051ه).**

142- إلهيات شوارق الإلهام في تجريد الكلام، تح: أكبر أسد زادة، ط1. طهران: المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلامية، 2018م.

◈ **ماكوري، (جون).**

143- الوجودية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، ط1. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1982م مجموعة من المستشرقين.

144- الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، ترجمة: نور الدين علي ط1.قم: دار الذخائر للمطبوعات 1988م.

◈ **مدكور، (عبد الحميد عبد المنعم).**

145- دراسات في العقيدة الإسلامية، ط1. القاهرة: دار الثقافة العربية 2000م.

◈ **موريس، (بوكاي، ت1998م).**

146- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، تر: حسن خالد، ط3. بيروت: المكتب الإسلامي 1990م.

◈ **ابن المرتضى، (أحمد، ت 840ه).**

147- المنية والأمل في شرح الملل والنحل، تح: توما أرنولد، حيدر آباد الدكن 1316ه.

◈ **المرعشي، (محمد بن أبي بكر، ت 1145ه).**

148- نشر الطوالع، تح محمد يوسف إدريس، ط1. عمان: دار النور المبين للدراسات والنشر 2011م.

◈ **المعري، (أبو العلا، ت 449ه).**

149- ديوان اللزوميات، تح: أمين عبد العزيز الخانجي، ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1342ه.

◈ **محسن عبد الحميد.**

150- المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، طبع ضمن سلسلة (كتاب الأمة)، العدد: (6)، 1985.

◈ **محمود، (عصام السيد).**

151- حوارات النبي مع أهل الكتاب وعلى أي شيء نتحاور؟، مقال منشور ضمن مجلة المدينة العالمية المحكمة، العدد 03، السنة 2012م.

◈ **المقريزي، (أحمد بن علي، ت 854ه).**

152- تجريد التوحيد المفيد، المحقق: طه محمد الزيني، ط1. المدينة المنورة: الناشر: الجامعة الإسلامية، 1989م.

◈ **مقصود، (عبد الغني)**

153- أصول العقيدة الإسلامية، ط1. القاهرة: مكتبة الزهراء 1406ه.

ابن مندة، (الحافظ، 395ه).

154- الرد على الجهمية، تح: علي بن محمد ناصر الفقيهي، ط3. المدينة المنورة: الغراء الأثرية 1994م.

◈ **ابن منظور، (محمد بن مكرم الأفريقي، ت 711ه).**

155- لسان العرب، مادة عقد.ط1. قم: نشر أدب الحوزة، 1405 هـ.

◈ **الميداني، (عبد الرحمن حبنكة، ت 2004م).**

156- العقيدة الإسلامية وأسسها، ط2. دمشق: دار القلم 1979م.

◈ **ابن نبي، (مالك، ت 1973م).**

157- وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، ط1.دمشق: دار الفكر 2002م.

◈ **النجار، (عبد المجيد)**

158- الإيمان بالله وأثره في الحياة، ط1. بيروت: دار الغرب الاسلامي 1997م.

◈ **نخبة من العلماء.**

159- الله يتجلى في عصر العلم، تر: الدمرداش عبد المجيد سرحان، ط1.بيروت: دار القلم (دنت).

◈ **الندوي، (أبو الحسن علي، ت 1999م).**

160- النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ط5، دمشق: دار القلم 1980م.

161- دور الإسلام الإصلاحي الجذري في مجال العلوم الإنسانية. ط.1، القاهرة: دار الصحوة، 1408هـ.

162- بين الدين والمدنية، ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة 1987 م.

163- العقيدة والعبادة والسلوك، ط2. الكويت: دار القلم 1983م.

◈ **نصَّار، (محمد عبد الستار، 2010م).**

164- أصول العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة، ط1. القاهرة: (دون تحديد بيانات النشر)، 2000م.

◈ **النورسي، (بديع الزمان سعيد، ت 1960م).**

165- الكلمات، تر: إحسان الصالحي، ط7. اسطنبول: دار سوزلر للنشر 2013 م.

166- بديع الزمان سعيد النورسي، الآية الكبرى تر: إحسان قاسم الصالحي، ط1. بغداد: مطبعة العاني 1983م.

◈ **النووي، (محيي الدين يحيى، ت 676هـ).**

167- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1392هـ.

◈ **ابن هشام، (أبو محمد عبد الملك، ت 218هـ).**

168- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، ط2. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي

بمصر، 1955م.

◈ **الهمذاني، (القاضي عبد الجبار، ت 518هـ)**

169- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح: فؤاد سيّد، ط1. بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية 2017م.

◈ **الهندي، (المتقي علاء الدين، ت 975هـ).**

170- كنز العمال، المحقق: بكري حياني، ط5. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981م.

◈ **هيكل، (محمد حسين، ت 1956م).**

171- حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ط14. القاهرة: دار المعارف (د، ت).

◈ **وات، (منتجمري، ت2006م).**

172- محمد في مكة، تر: شعبان بركات، ط1. بيروت: المكتبة العصرية 1952م.

◈ **وافي، (علي عبد الواحد، ت1991م).**

173- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط1.القاهرة: دار نهضة مصر 1964م.

ثالثا –المقالات والرسائل الجامعية:

◈ **الأشراف، (جمال).**

174- منهج القرآن في الاستدلال على وجود الله، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم العقيدة، كلية أصول الدين، 2004م.

175- أبو الحسن النّدْوي وبناء علم الكلام الجديد، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العقيدة، جامعة الأمير عبد القادر، قسم: العقيدة ومقارنة الأديان، 2017-2018م.

◈ **نصَّار، (محمد عبد الستار، 2010م).**

176- عناصر العقيدة الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر، العدد 69 -70. أوت وجانفي سنة النشر 1994م.

رابعا –مراجع باللغات الأجنبية والمواقع الالكترونية:

177- -https://www.almsal.com/post/1010332.

178- -Erneste de Bunsen،islam_or_true_christianity ،London,1889.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**5**
الباب الأول **فصل تمهيدي : مدخل نظري**	**9**
1-مفهوم العقيدة	**11**
2- أسماء هذا العلم	**14**
3- موضوع علم العقيدة	**21**
3-1- العقائد الدينية	**22**
3-2- دراسة طبيعة الشبه الموجهة إلى العقيدة	**23**
4- منهج العقيدة	**25**
4-1-الصبغة الدفاعية	**25**
4-2-الصبغة الاستدلالية	**26**
5-مصادر العقيدة	**27**
5-1- القرآن الكريم	**27**
5-2-السنة النبوية	**31**
5-3- العقل والفطرة	**35**
6- أهميّة العقيدة والحاجة إليها	**41**
7- خصائص العقيدة الإسلامية	**48**
7-1- الربانية	**48**
7-2- الثبات	**50**
7-3-الفطرية	**52**
7-4- الواقعية	**55**

الموضوع	الصفحة
7-5- عقيدة مبرهنة	58
7-6- الشمول والتكامل	62
7-7- الإيجابية	66
الباب الثاني **أصول العقيدة**	69
الفصل الأول: الإيمان بالله	71
تمهيد	71
1 – أدلة الإيمان بالله تعالى	71
1-1 – الأدلة الكونية على وجود الله تعالى	71
1-1-1-الخلق والاختراع	74
1-1-2-مظاهر النظام	78
أولا –النظام في مستوى التكوين	78
ثانيا–النظام في مستوى التوازن	79
ثالثا–النظام في مستوى الحركة	82
1-2– الأدلة الأنفسية على وجود الله	83
1-2-1-دليل الافتقار والاضطرار	84
1-2-2-الدليل الوجودي	85
1-2-3-الدليل الأخلاقي	86
1-3- الأدلة الفلسفية العقلية	87
1-3-1- دليل الحدوث	87
1-3-2-دليل الممكن والواجب	88
1-4- دليل الإعجاز والتحدي القرآني	90

الموضوع	الصفحة
2-أثر الإيمان بالله على الفرد والمجتمع	92
2-1- أثر الإيمان بالله على الفرد	92
2-2-أثر الإيمان بالله في المجتمع	96
3-الأسماء والصفات الإلهية	100
3-1- الإيمان بالصفات عموما	100
3-1-1-الضوابط العامة للصفات	100
3-1-2-علاقة الصفات بالذات الإلهية	115
3-2- الإيمان بالصفات تفصيلا	117
3-2-1- الوحدانية	118
أولا- توحيد الربوبية	118
ثانيا- توحيد الألوهية	120
3-2-2- ما يضاد التوحيد وينافيه	122
أولا-حقيقة الشرك	122
ثانيا- أسباب الوقوع في الشرك	123
ثالثا-أنواع الشرك	123
1- الشرك الأكبر	123
2- الشرك الأصغر	125
3-3- أثر الأسماء والصفات الإلهية على سلوك الفرد والمجتمع	125
3-3-1- الجانب النفسي	129
3-3-2- الجانب الاجتماعي	131
الفصل الثاني: الإيمان بالملائكة	135
تمهيد	135

الموضوع	الصفحة
1-التعريف اللغوي	135
2-دليل وجود الملائكة	136
3- دليل وجوب الإيمان بالملائكة	136
4- أسماؤهم وعددهم	137
5-صفات الملائكة	138
5-1- الصفات الخَلْقيّة	138
5-2- الصفات الخُلُقيّة	140
6- وظائفهم	142
6- 1- وظائف للملائكة متعلقة بالله تعالى	142
6 - 2- وظائف للملائكة متعلقة بالكون	143
6-3- وظائف للملائكة متعلقة بالإنسان	144
7- أثر الإيمان بالملائكة	151
الفصل الثالث: الإيمان بالكتب السماوية	153
تمهيد	153
1-حاجة الناس إلى الكتب السماوية	153
1-1-الحاجة المعرفية	154
1-2- الحاجة الاجتماعية	157
1-3- الحاجة النفسية	160
2-دليل وجوب الإيمان بالكتب السماوية	162
3-الوحي	164
3-1-أنواع الوحي	166
3-1-1-الوحي القلبي	166

الموضوع	الصفحة
3-1-2-الوحي من وراء حجاب	167
3-1-3- الوحي بواسطة الملك	168
4-إمكان الوحي	170
4-1-الأدلة الفلسفية على إمكانية الوحي	171
4-1-1- دليل الفارابي (ت339هـ)	171
4-1-2- دليل الغزالي(ت505هـ)	173
4-1-3-دليل ابن خلدون (ت808هـ)	174
4-2-الأدلة العلمية على إمكانية الوحي	176
4-2-1- التنويم المغناطيسي	176
4-2-2- وسائل الاتصال الحديثة	178
5- أدلة وقوع الوحي	179
5-1-الدليل التاريخي	180
5-2-دليل السيرة الذاتية	180
5-3-دليل المعجزة	188
5-4-معجزات الأنبياء	193
5-5- شروط المعجزة	193
5-6-أقسام المعجزة	194
6- ختم النبوة	195
7-أثر الإيمان بالكتب على الفرد والمجتمع	199
7-1-استقرار المجتمعات	199
7-2-تأييد الرسل وإظهار صدقهم	199
7-3-حفظ الدين	200

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع: الإيمان بالرسل	**201**
تمهيد	**201**
1-حاجة الناس إلى الرسل	**202**
2-مفهوم النبوة والرسالة	**205**
3-دليل وجوب الإيمان بأنبياء الله ورسله	**206**
4-دلالات صدق الرسالات الإلهية	**207**
4-1- شاهد سيرة مدعى الرسالة في قومه قبل مبعثه	**207**
4-1-1- الصدق	**212**
4-1-2- الأمانة	**213**
4-1-3 - التبليغ	**213**
4-1-4-الفطانة	**214**
4-2- شاهد محتوى الرسالة التي يدعو إليها	**214**
4-3- شاهد الآيات والمعجزات التي يظهرها الله علي يديه مقرونة بدعوى الرسالة	**216**
5- مقتضى الإيمان بنبوة محمد ﷺ ولوازمه	**221**
6-أثر الإيمان بالرسل على الفرد والمجتمع	**224**
الفصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر	**225**
تمهيد	**225**
1- دليل وجوب الإيمان باليوم الآخر	**226**
2- مراحل اليوم الآخر	**227**
2- 1-عذاب القبر وسؤال الملكين	**227**
2-2- البرزخ	**229**

الموضوع	الصفحة
2-3-النفخ في الصور	229
2-4- البعث	230
2-4-1- مًنكرو البعث	231
2-4-2- أدلة القرآن الكريم على البعث	234
أولا-الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم	234
ثانيا – الاستدلال على البعث ببدء الخلق	236
ثالثا- الاستدلال على البعث بخلق السماوات والأرض	237
رابعا: الاستدلال على البعث بخلق النبات	238
خامسا: الاستدلال باليقظة بعد المنام	238
سادسا: الاستدلال على البعث بأن الحكمة والعدل الإلهي يقتضيانه	238
2-5- الحشر	239
2-6- الحوض	241
2-7- الشفاعة	242
2-8- الحساب و الجزاء أو (الجنة والنار)	245
2-8-1- الميزان	249
2-8-2- الصراط	250
3 -أثر الإيمان باليوم الآخر	251
الفصل السادس: الإيمان بالقضاء والقدر	253
تمهيد	253
1- مفهوم القضاء والقدر	253
1-1-القدر لغة	253
1-2- القدر اصطلاحا	253

الموضوع	الصفحة
2-دليل وجوب الإيمان بالقضاء والقدر	255
3-مراتب الإيمان بالقدر	256
3-1- مرتبة العلم والإرادة	256
3-2- مرتبة الكتابة	256
3-3- حين نفخ الروح في الجنين	264
3-4 - قبيل حدوث الحادثة	264
4- فهم خاطئ للقضاء والقدر	265
5-آثار الإيمان بالقضاء والقدر	272
الخاتمة	275
فهرس المصادر والمراجع	277
فهرس الموضوعات	291